أصُولُ المسيحيّة

كما يصوّرها القرآن الكريم

تأليف
الدكتور داود علي الفاضيي
أستاذ في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية

رسالة دبلوم الدراسات العليا
نوقشت بدار الحديث الحسنية بالرباط
في شهر شعبان 1393 هـ — 1973



ص.ب : 239 . الرباط .
الهاتف: 265.24

أصولُ المسيحيّة

كما يصوّرها القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الايداع القانوني
1986/ 289

نـداء

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .﴾

آية 64 من سورة آل عمران

شكر واعتذار

أتقدم بالشكر إلى كل من له فضل المساعدة في إعداد هذا البحث سواء كان في المشرق أو في المغرب . خاصا جلالة الملك الحسن الثاني (مؤسس هذه الدار) التي تعهدت بحمل مشعل النور والهداية إلى الأمة الاسلامية . وأترحم على واهب هذه الدار السيد الحاج البحراوي ، ثم أشكر أساتذة دار الحديث الحسنية ، ومدير خزانة جامعة القرويين (العلامة العابد الفاسي) والأستاذ محمد المنوني بما قدموه لي من الارشادات والتوجيهات التي تتعلق بهذا المشروع .

وموظفي دار الحديث الحسنية ، خاصا تسهيلات الأستاذ المحترم مصطفى العلوي مدير الدار وأعضاء السفارة الأردنية بالرباط .

وأساتذة الجامعة الأردنية ، خاصا أستاذي الدكتور عبد العزيز الخياط وملاحظاته القيمة . وتشجيع أساتذة كلية الشريعة في الأردن وتسهيلات موظفي مكتبة الجامعة الأردنية الخاصة ، وأمين المعهد الشرعي بعمان .

والمطارنة والخوارنة ، الذين سمحت الظروف بلقائهم خاصا المطران (ثيودورس) والمطران (سابا يواكيم) والخوري موسى العديلي .

ووزارتي الأوقاف والتربية والتعليم الأردنية .

والدي وإخواني الذين سمحوا لي بمواصلة الدراسة رغم العسر المادي الشديد .

وإلى كل من فضيلة الأستاذ الكبير علال الفاسي والدكتور البحاثة ممدوح حقي شكري على ما تفضلا به علي من إرشادات علمية قيمة . وزادوني شرفا حين تكرموا بقبول المشاركة في عناء هذا الاشراف . رغم عظم مسؤولياتهم الجسيمة .

وأخص بالذكر فضيلة العلامة المحدث المحقق العباس الأمراني ، الذي شرفني أولا بقبول عناء الاشراف على هذا البحث ، والذي وسعني قلبه في ظروفه الصعبة بسبب مرضه وفتح لي الطريق وأنار السبيل بدون منة ولا عظمة . وزاد أن شرفني بفتح باب منزله على مصراعيه وغمرني بكرمه وعلمه .

وأعلن بصراحة تامة ، أن ما في هذا البحث من خير وعطاء فهو عطاء أساتذتي ، وثمرة من ثمارهم ، صغتها بأسلوبي وما فيه من خطأ أو سهو فإنه مني .

والله أسأل أن يجزي أساتذتي أحسن الجزاء ، وأن يهبني الحكمة للوصول إلى الحقائق ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

﴿الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين .﴾

المقدمة

كنت أسمع منذ الصغر ، الحديث عن المسيح والمسيحيين والنصارى والنصرانية ، والأب والابن والروح القدس . واستمر بي الحال في المدرسة أسمع من يقول هذا مسلم وهذا مسيحي ، فكنت أسأل عن الفرق بين هذه المباني إلا أن الأجوبة كانت غامضة وغير معقولة ، الأمر الذي دعاني إلى الدراسة والبحث ولكن كيف وبأي أسلوب ؟

ومن صفحات التاريخ بدأت أقرأ وأبحث ، إلا أنني افتقرت إلى الدليل والوقت الذي طغت عليه المناهج في المدرسة .. والجامعة .

ورغم ذلك قمت في السنة الرابعة الجامعية بمحاولة تحت عنوان «**النصارى في القرآن**» راغبا في معرفة ما يقوله القرآن عن المسيح وتعاليمه ، والكتاب الذي أنزل عليه ... كانت تلك المحاولة باعثا على البحث أكثر فأكثر .

وعندما كان لي شرف الالتحاق بدار الحديث الحسنية للدراسات العليا الاسلامية ، أردت أن أواصل البحث من القرآن الكريم فكان موضوعي هذا «**أصول المسيحية كما يصورها القرآن**» الذي شرفني بقبوله فضيلة العلامة العباس الأمراني أكرمه الله .

وبدأت أقرأ وأجمع ... وأفكر في المنهج العلمي الذي سأسلكه لاعداد هذا المشروع بالتعاون مع أصحاب الفضيلة أساتذة دار الحديث

الحسنية .. ثم كانت رحلتي إلى الشرق ... حيث أراد الله لي الاستفادة من بعض الأساتذة والمطارنة والخوارنة ، والمكتبات الخاصة والعامة .

وبدأت بحول الله أبحث عن الانجيل وأصوله وعلومه : ككيفية نزوله ، جملة واحدة أم منجما ؟ ثم عن أسباب النزول وظروفه فآياته هل نزلت ردا على سؤال أو حلا لمشكلة ، أو تشريعا يتبع ؟

ثم عن طريقة التدوين ... وعلى ماذا كان يكتب ، وعند من حفظ ... وكم عدد النسخ المتكررة ... وعلى من وزعت وأين هي الآن

ثم اللغة التي كتب بها ما هي ؟ وهل ترجم إلى لغة أخرى أو لغات بدون تحريف لفظي أو معنوي ؟ ولابد من معرفة المترجم ومكانته العلمية ، وأمانته الشخصية ؟ ثم هل كان واحدا أم لجانا مضبوطة في أسمائها وصفاتها ونظام اعمالها ؟ وهل كانوا يترجمون من النسخ الأصلية أم من النسخ المترجمة إلى اللغات الأخرى ؟

وهذا الانجيل هل كان خاصا بجماعة معينة على أرض معينة ، أم أنه كتاب سماوي صالح لخلقه تعالى في ذلك الزمان الذي نزل فيه على رسول الله عيسى عليه السلام ؟

وإذا قلنا إنه أنزل على عيسى فلابد من أن نعطيه الصفة التي تليق بمقامه هل كان آلها أم كان بشرا ورسولا ؟ حتى ننفي عنه كل لغو مصطنع ، أو حديث مخترع ، ثم نعرف بعد ذلك هل أرسل لجماعة خاصة ، ودعا إلى الرهبنة والعيش في العزلة عن الحياة ؟ أم أن رسالته كانت ذات نظام يجمع بين الدين والدنيا بشكل متين ، يحفظ للفرد شخصيته وكرامته ، وللجماعة حقوقها وسلامتها ، وفق قانون إلآهي أرسل به نبي مرسل .

وهل قال عن نفسه بأنه إلّه أخطأ حين خلق آدم وندم على ذلك ،

فتجسد على الصورة البشرية ، لينقذ نسل آدم من الخطيئة ؟ وفي هذه الفترة ماذا جرى للعالم بما فيه من مخلوقات لا تحصى ؟

وهذا الرسول هل كان بدون تلاميذ ؟ إذ لابد منهم . فمن هم ؟ كم عددهم ؟ وما دينهم ؟ نبحث عن مؤلف جمعهم في كتاب ، أو مؤرخ تحدث عن هؤلاء الأصحاب ؟ وهم أقرب عهدا من سقراط وأرسطو الذين ضبطت حياتهم وظروفهم ومؤلفاتهم .

ولابد من معرفة الدور المقدس الذي قاموا به في مقاومة ملوك الوثنية ، ومجاهدة أهل الظلم والطغيان ، ونعرف من قضى منهم في سبيل الله والمحافظة على كتاب الانجيل ، وهل كانت لهم دولة تحميهم ، وتذود عن حياضهم أم انتهوا ومعهم الكتاب ، أمام جيش الكفر بكافة أشكاله وبيئاته الذي كان يرأسه أحبار الكنيست والروم والفلاسفة ؟

ثم هذه المسيحية هل هي تلك التعاليم التي بشر بها المسيح وتلقاها من ربه — عز وجل — فأصبحت التسمية نسبة إليه فقيل المسيحية ؟ وهل بينها وبين النصرانية خلاف أم اختلفت التسمية والمسمى واحد ؟

وإذا كانت التسمية واحدة ، فلماذا ذكر القرآن «النصارى» وخصهم بصفات خاصة ، وعقائد مباينة تماما لما ذكره عن المسيح عيسى بن مريم ؟ لأننا إذا استقرأنا الآيات التي تحدثت عن المسيح نفهم منها غير ما نفهم من الآيات التي تحدثت عن النصارى . وبنفس الوقت لم يذكر القرآن علاقة بين النصارى ، وبين المسيح على شكل التلمذة أو النقل عنه ، إذ الذي نراه أنه يتحدث عن الحواريين ، ويثني عليهم نظير نصرهم لعيسى يوم قامت ضده قوى الوثنية الباغية ، واليهودية الضالة .

فهل يمكن القول بأن المسيحيين هم النصارى ، هم الحواريون أم أن هذه المباني تختلف في معناها كما ذكر القرآن الكريم ؟ وهل دين هؤلاء يختلف

عن الاسلام الذي ذكره القرآن وأقر به دينا للناس كافة من عهد آدم حتى محمد عليهم السلام [1] .

لعل في هذا البحث ما يصلح للجواب عن هذه الاستفسارات أو يوضح الغموض في كثير من المسائل التي يقف عندها البحث .

وخصوصا بعد الاطلاع على ما كتب عن الانجيل بصفة عامة وخاصة بالفصل والفقرة وبيان ما له وما عليه بالدليل والحجة في غاية من الدقة والاتقان .

وعلى تلك المناقشات والردود [2] بين من لا زلنا لم نعرف حقيقتهم وبين المسلمين والتي نفهم منها خلافا واضحا بين ما جاء به المسيح عيسى بن مريم ـــ على حد قول من انتسبوا إليه ـــ وبين ما جاء به محمد عليهم السلام ، فإذا كان هذا صحيحا فلماذا قال تعالى ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ...﴾ [3]

وعلى من جمع قصصا وسماها (المسيح في الاسلام) والاسلام لا يعترف بهذه القصص ، إلا ما ورد ذكره في القرآن أو السنة ، والباقي فيه غلو في وصف عيسى وتصويره بصورة غامضة [4] .

وعلى من احتكم إلى مصادر قال بأن المسلمين والمسيحيين متفقون

---

(1) قال تعالى ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾ آية 19 من سورة آل عمران.
قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا ظن يقبل منه وهو في آلاخرة من الخاسرين﴾ آية 85 سورة آل عمران.

(2) مثلا : الفارق بين المخلوق والخالق ـــ باجه جي زاده، اظهار الحق، النقد الأعلى للكتاب المقدس وتفصيل ذلك عند ول ديورانت ج 11 ص : 203 ـــ 205.
مثلا الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـــ الاسلام والمسيحية بين العلم والمدينة، تحفة الاريب في الرد على أهل الطيب، أدلة نور اليقين في الرد على ميزان الحق.

(3) آية 81، سورة آل عمران.

(4) د. مشيل الحايك/المسيح في الاسلام.

عليها ، مثل التوراة والعقل ، محاولا في ذلك حل النزاع في المسائل المختلف فيها كالصلب والألوهية [5] .

وعلى دراسات زادت في العمق لمعرفة أساس المشكلة ودور الفكر الاسرائيلي على التعاليم المسيحية ، بأن منها تآمر اليهودية على المسيح وتعاليمه من بعده بأساليب شتى . وامتداد ذلك ليشمل الرسالة المحمدية ، ولا زال هذا التآمر مستمرا في وقتنا الحاضر [6] .

وعلى دراسة للنصرانية بتدرج زمني متحدثة عن أطوارها ومجامعها والتأثيرات الفكرية والسياسية التي مرت بها من نهاية المسيح حتى الوقت الحاضر معتمدها التاريخ والكتاب المقدس ، وما كتبه الآباء عن تاريخ الكنيسة ، كشفت شيئا من الغموض الذي يواجهه الباحث [7] .

وعلى معركة وجود المسيح وعدم وجوده ، التي كانت في القرن الثامن عشر متمثلة بمدرسة الشك المطلق في مقررات العلم القديم ، ووقائع التاريخ المتواتر ، أمثال (بولنجبروك) والملتفون حوله ، و «فلني» في كتابه «خرائب الامبراطورية» الذي نشره سنة 1791 م ، حجتهم في ذلك أن المسيح لم يذكر في التواريخ القديمة التي فصلت أخبار عصره ، وروايات التلاميذ عنه سبقت روايتها عن شخصيات أخرى في الزمن القديم بعضها أقرب إلى الأساطير والفروض [8] .

والذي يلاحظ من هذه الدراسات ، أنها كادت أن تخلو من تفصيل نظرة القرآن الكريم ، ومنها ما اكتفى بنظرة الاسلام الشمولية . لذلك حاولت أن أقف على ما يقوله القرآن عن حقيقة المسيح ، وهو الكتاب المنزل من

---

(5) منصور حسين : دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام.

(6) دراسة عبد الله التل : جذور البلاء، خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية، كتاب أحجار على رقعة الشطرنج، كتاب الحرب غير المسماة، دراسة سعيد الطنطاوي (بنو اسرائيل في الكتاب والسنة).

(7) مثلا : قصة الحضارة، الطبري، الكامل، ابن البطريق، أبو زهرة، أحمد شلبي. متولي شبلي. كما سنوضح ذلك أثناء البحث بشكل موسع.

(8) انظر عباس محمود العقاد، في كتابه « عبقرية المسيح » ص : 87.

عند الله على رسوله محمد عليه السلام ، وتواتر إلينا سنده ، وتعهد تعالى بحفظه حين قال : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [9] .

فما من شك أنه تحدث عن عيسى ورسالته وإنجيله وتلاميذه ونهايته . وهل كان للفترة بين عيسى ومحمد نصيب من الحديث ؟ علنا نجد هذا أو بعضه مع مقارنته لما كتب في التاريخ ، وتناقلته الأخبار ، فلربما نصل إلى درجة نطمئن إليها ، ومخرج من ذلك النزاع الفكري القاتل لروح الوحدة والابتكار ، والدافع إلى التمسك بآراء ومذاهب براقة . لعلها من ضمن تلك التأثيرات الفكرية السحيقة في معاصرتها للمسيح عليه السلام .

وجاءت هذه الموضوعات ذي بابين وملحق ونتيجة .

أما الباب الأول فهو : «المسيح والمسيحية» ويشتمل على ثلاثة فصول :

1 ـــ مولد المسيح عليه السلام .

2 ـــ الرسالة .

3 ـــ نهاية المسيح عليه السلام .

والباب الثاني (المسيحية بعد المسيح) ويشتمل على ثلاثة فصول :

1 ـــ اضطهاد المسيحية .

2 ـــ أثر الفلسفة على المسيحية .

3 ـــ المسيحية والسياسة .

والملحق تحدثت فيه عن المسيحية المعاصرة واشتمل على :

1 ـــ حركة الاصلاح .

2 ـــ تطاول اليهود على الكنيسة .

3 ـــ التبرئة .

---

(9) آية 9 من سورة الحجر.

4 ـــ المسيح في نظر الامريكان .

ثم ختمت ذلك بالنتيجة التي حاولت أن أذكر فيها بعض الحقائق التي وصلت إليها في نهاية هذا البحث .

وكنت في عملي هذا أقبل أن آخذ الفكرة من القرآن الكريم ، أبحث عنها في الكتب المقدسة السابقة والتاريخ ونظرات الباحثين والناقدين ، وعلى الخصوص من غير المسلمين . فتكون الآية الكريمة المعجزة الخالدة في البيان الذي ذكره التاريخ أو أغفله ، أو ذهب من ثنايا الكتب المقدسة .

فكان هذا العمل المتواضع وليد سنتين كاملتين قضيتها في البحث ليلا ونهارا ، وقد قضيتها في تقديم فكرة ، وتأخير أخرى أو نسج عبارة ، أو في البحث عن نقطة غامضة .

بالاضافة إلى تحدي تعقيدات المثبطين الخائرين من هنا أو هناك . أو اتهامات المريضين . والصعوبات المادية والنفسية وأثر ذلك على الحياة العائلية .

وقد احتجت إلى كتب بحثت عنها في بعض المكتبات العامة في عمان ودمشق وبيروت ومكة والمدينة المنورة والرباط والقاهرة ولكني لم أعثر بعد على شيء منها . على أمل العثور عليها في المكتبات الخاصة إن شاء الله .

وحاولت أن أجعل عرض هذا البحث بشكل واضح خال من المناقشات الكلامية ، لأننا لسنا بحاجة إليها طالما كان بحثنا قائما على صفاء النية ، والوصول إلى الحقيقة ، ونحن في عصر السرعة العلمية ، التي لا تقبل المخادعة أو الحسد ، بل تريد الحقيقة بأقل التكاليف وأيسر الطرق ، بغض النظر عن موجدها كيفما كان لأن الحكمة ليست ملكا لأحد . يهب الحكمة لمن يشاء كيف شاء ، آملا التوفيق في هذه المحاولة البكر من نوعها ، وأن أكون عند حسن ظن الباحثين والناقدين ...

اختيار العنوان

أصول المسيحية كما يصورها القرآن

أصول جمع أصل ، وهو ما ينبني عليه الشيء ، والمقصود بالأصول هنا أسس الرسالة التي جاء بها المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل . واقتصرنا الحديث عن الأصول لأنه يكاد أن تكون من المستحيلات أن نقف على المسيحية بالتفصيل ، وبخاصة في هذا المشروع الذي اعتمد على القرآن الكريم كقاعدة انطلاق له ، فاقتضى المنهج العلمي حصر البحث في الأصول المسيحية .

وقلت المسيحية لأنها نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل ، وأنزل عليه كتاب الانجيل مشتملا على الرسالة التي جاء بها في ذلك من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق على ما سنرى ذلك أثناء البحث .

وإذا كانت المسيحية نسبة إلى المسيح فإنني إذا قلت المسيحية فإنني أعني بها الرسالة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، ولذلك قلت المسيحية ولم أقل النصرانية . لأن النصرانية تنسب إلى أولئك الذين ادعوا نصرة المسيح ، والأنصار هؤلاء مختلف في حقيقتهم ، هل هم الأتباع جميعا أم أنهم تلك الجماعة التي صاحبت المسيح عليه السلام أثناء التبليغ .

وإذا رجعنا إلى القرآن ، فإننا نجده يسمي الذين صاحبوا المسيح بالحواريين ، وبأنصار الله ، إلا أنه لم يطلق عليهم النصارى ، مع أنه ذكر

مادة النصارى أربعة عشر مرة وكلها لم يرد فيها ما يدل على أنهم أصحاب المسيح أو أنهم تلقوا عنه رسالة .

وورد ذكرهم في أكثر من موضع بالموازاة مع اليهود وأنهم حصروا الجنة عليهم وعلى اليهود ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم ادعوا النصرانية وأنهم قالوا المسيح ابن الله .

ومثل هذه الآيات تجعلنا نتوقف عن القول بأن المسيحية هي نفسها النصرانية ، لأن المسيحية نسبة مباشرة للمسيح عليه السلام والنصرانية ليست نسبة مباشرة له وإنما هي نسبة إلى النصارى وهم كثيرون لا حصر لهم في الزمان أو المكان أو العدد وبخاصة إذا ما تصورنا الفترة الزمنية التي تفصل بين المسيح وبين نزول القرآن وهي ستة قرون ، والتطور الذي حصل على تعاليم المسيح خلال تلك الفترة كما سنرى ذلك .

وسنتحقق من هذا الفارق في الباب الثاني من هذا الكتاب «المسيحية بعد المسيح» الذي سمينا أحد مباحثه «الفرق النصرانية المجمعية كما يصورها القرآن» وذلك لشدة التباين بينها وبين تعاليم المسيح عليه السلام الذي قامت رسالته على التوحيد ، بينما كان يقول هؤلاء بعقائد لا صلة لها بالمسيح مثل عقائد البنوة ؛ أي أن المسيح ابن الله والألوهية أي أن المسيح هو الله والتثليث أي الأب والابن وروح القدس ، فكيف يمكننا أن ننسب هؤلاء إلى المسيح عليه السلام وهو المرسل بالتوحيد .

وبذلك يظهر لنا الفارق بين المسيحية المنسوبة إلى المسيح عليه السلام والنصرانية المنسوبة إلى الأتباع عبر ستة قرون بما فيها من تطور وتأثير .

وقلت كما يصورها القرآن ، لأن القرآن يعترف بها كرسالة زمنية جاء بها المسيح عليه السلام لهداية بني إسرائيل ، ثم ذهبت بفعل عوامل الاضطهاد والفلسفة والسياسة ، ولم تبق حقيقتها كما أنزلت على عيسى عليه السلام على ما سنرى ذلك في الباب الثاني ، ولذلك صور القرآن أصولها كما أنزلت .

م

الباب الأول

المسيح والمسيحية

ــ الفصل الأول : مولد المسيح عليه السلام .
ــ الفصل الثاني : الرسالة .
ــ الفصل الثالث : نهاية المسيح عليه السلام .

الفصل الأول

المولد

ـ المبحث الأول : مريم.
ـ المبحث الثاني : يحيى.
ـ المبحث الثالث : مولد عيسى عليه السلام.

المبحث الأول

مريم

قرآن كريم

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ، إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله ، وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء ، قال رب اجعل لي آية ، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار . وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ .

سورة آل عمران آية 43/33 .

1 ـ النسب

قال تعالى : ﴿إن الله اصطفى آدم وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ [1] مشيرا إلى أن آل عمران أسرة مختارة ومفضلة مع من فضل على العالمين .

وكان سبب هذا البيان ، حينما ادعت اليهود أنها من أبناء ابراهيم وإسحاق ويعقوب وأنها على دينهم [2] فبين تعالى أفضل خلقه واصطفاهم في النية والعمل والاخلاص [3] .

وأشار الطبري إلى سبب هذا الاختيار ، بأنه الدين الواحد حيث كان هؤلاء جميعا على دين واحد معروف وهو الاسلام [4] ، وإن أشار بعضهم إلى سلسلة النسب المعروف مع التناصر على الدين [5] .

ولا مانع من القول بأن الله قد اختار هذه السلسلة من بني آدم لرسالاته وحمل لواء دينه ، فكانوا خالصين من الصفات الذميمة ، مزينين بالخصال الحميدة ، التي تليق بما اختيروا له من هداية البشر إلى طريق الحق كما أمرهم الله سبحانه وتعالى .

ومريم هي من آل عمران ، فهي من عائلة كريمة في النسب والدين ، عظيمة في الخلق لا يمكن لقادح أن يتعرض لها بسوء . والآية الثانية أكدت هذا المعنى المقصود من الطهر والعفاف ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ .

---

(1) من سورة آل عمران الآيات (33 ، 34).

(2) تفسير البغوي على حاشية تفسير ابن كثير ج 2 ص (127 وكذلك تفسير زاد المسير لابن الجوزي ج 1، ص : 374.

(3) الطبري في تفسيره الجزء 6 ص : 328، الرازي في تفسيره ج 8، ص : 24.

(4) تفسير الطبري، ج 6، ص : 326.

(5) تفسير البغوي على حاشية ابن كثير ج 2، ص : 128.

فكان تقديم النسب هذا غاية الأهمية لهؤلاء القوم ومنهم آل عمران الذين سيكون لهم شأن في استمرار الرسالة ، والدعوة إلى الله .

2 ـــ الحمل بمريم

قال تعالى ﴿إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾ [6] .

الحديث هنا عن أم مريم الحامل ، وقد نذرت بأن يكون ما في بطنها خالصا لله [7] ، ورجت القبول من الذي يسمع الدعاء ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

أما ظروف هذا النذر فقد أغفلها القرآن ، إن كانت هناك ظروف . فقد ذكر الطبري [8] قصة بهذا الخصوص وجد من عارضه وقال بأنها ليست من التاريخ [9] وإذا كان القرآن لم يذكر ذلك فلماذا نتعب أنفسنا في شيء لم يشأ الله أن يذكره . وليس فيه كبير فائدة وهو أدرى سبحانه بما ينفع .

ظروف عادية ، الوالدان موجودان ، والحمل حاصل ، والوالدة نذرت أن يكون المولود خالصا لعبادة الله ، وفي سبيل الله .

وأقرب ما يقال أنها إنما فعلت ذلك بإلهام من الله ، ولولاه ما فعلت كما رأى ابراهيم ذبح ابنه في المنام ، فعلم أن ذلك أمر من الله وإن لم يكن عن وحي ، وكما ألهم أم موسى فقذفته في اليم [10] .

---

(6) الآية 35 من سورة آل عمران.

(7) الطبري في تفسيره ج 6، : 328.

(8) الطبري في تفسيره ج 6 ص : 330 وذكرها البغوي في تفسيره ج 2. ص : 128.

(9) دكتور مشيل الحايك، المسيح في الاسلام ص : 42.

(10) الرازي في التفسير الكبير ج 8 ص : 26، رشيد رضا في الوحي المحمدي، ص : 34.

وهذا ملاحظ من قوله تعالى : ﴿ نذرت لك ما في بطني محررا...﴾ أمر سيقع ، أراده الله لهذا المولود ، فكانت الأمور على ما هي عليه .

3 ــ الوضع :

ويتابع القرآن ذكر القصة «فلما وضعتها قالت ربي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وإني سميتها مريم ، وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم [11] .

وهنا تظهر حالة أم مريم ، حينما وضعت ما في بطنها فكانت أنثى فقالت متأسفة : « إني وضعتها أنثى» لأن الأنثى لا تكون كالرجل فيما خصص له من العمل [12] ، وهو يعلم أن المولود أنثى ، بل يعرف ذلك والمولود في بطنها ، فهو ليس بحاجة إلى من يعرفه على المولود .

وبعد أن هدأ الروع «قالت إني سميتها مريم» ومعنى هذا الاسم في لغتهم «العابدة والخادمة» [13] . وقد لاحظ الرازي من تسمية الأم هذه أن والدها كان قد توفاه الله ، لأن العادة كما يقول إن الوالد هو الذي يسمي المولود [14] ، ثم طلبت من الله أن يعصمها وذريتها من الشيطان الرجيم ، ونلاحظ في الآية ما يؤكد إيمان الوالدة العميق ، الذي لا يشوبه شك ، أو يعتريه نقص ، وهذا لا يكون في كل قلب بهذه الصورة . نذرت متطوعة لله ثم لما كانت أنثى اعتذرت إلى ربها وما كان من استمرارها على وعدها وطلبها من الله أن يحفظها من الآفات والمصائب ، وسلمت بها إلى بيت الله . هذه الشواهد تؤكد لنا الملحظ وبالتالي فمريم من بيت مسلم طاهر في عقيدته وخلقه .

---

(11) سورة آل عمران آية 36.

(12) الطبري في تفسيره ج 6، ص : 374، الطوسي في تفسيره ج 2،ص : 444.

(13) وذكر العلة وهي لما يلحقها من الحيض والنفاس وزاد الطوسي والصيانة من التبرج للناس، وأقول هذا سبب من أسباب أخرى.

(14) البغوي، ج 2،ص : 129.

وأجاب الله دعوة السائلة الوالدة فأعاذ المولودة وذريتها من الشيطان الرجيم [15] .

4 ـــ القبول :

ثم ماذا كان بعد الوضع ، وكيف كانت حال المولودة ، هل بقيت في رعاية أمها ، أم أن الله تقبل هذا المولود رغم أنه أنثى ؟ في نظرة إلى السياق القرآني «فتقبلها ربها ...» نفهم قبوله تعالى لهذا النذر ، وليس مجرد قبول فقط بل ذكر لنا نوع هذا القبول وصفته فقال : « ....بقبول حسن ....» دلالة على العناية الالهية التي ستكون لهذا المخلوق ، لا كبقية البشر ، بل أكثر لما سنرى فيما بعد من شأن مريم وولادة عيسى عليه السلام بالآية العظمى .

ولم يكن هذا القبول بدون عناية ، فقد يسر الله لها من يكفلها من البشر [16] الذين عرفوا بالنبوة ، أضف إلى ذلك القرابة ...وفي بيت الله ، فهي مع أطهر خلق الله في زمنها ـــ زكريا ـــ وفي أطهر بقعة في المسجد ـــ المحراب ـــ ولا يغيب عن البال اختصام القوم في شرف خدمتها ورعايتها حتى حلت المشكلة بالقرعة [17] التي ذكرها القرآن ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ...﴾ [18]﴿وأنبتها نباتا حسنا ...﴾

وقد فصل بعضهم [19] في كيفية النمو تفصيلا لا حاجة له ، لأن الله طالما تعهد بعد أن قبل النذر بالتربية والرعاية والنبات الحسن ، ما الداعي إلى الخروج عن هذا والتفصيل فيه ، ولم يرد به نص موثق من القرآن

---

(15) الرازي في تفسيره، ج 8، ص : 22.

(16) الطبري في تفسيره، ج 6، ص : 374.

(17) الطبري في تفسيره ج 6، ص 345 والرازي في تفسيره ج 8، ص : 31 قال معنى الكفالة الذي ينفق على إنسان ويهتم باصلاح مصالحه.
وفي الحديث ﴿انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين﴾.

(18) الطبري في تفسيره، ج 6، ص : 353.

(19) سورة آل عمران آية 44.

أو السنة ، وأي شيء أعظم من أن يتولى الله سبحانه بالرعاية ويعترف بذلك ، وقد هيأ لها الأسباب ؟

وبخاصة أن القرآن قد سكت عن فترة طويلة من عمر مريم لم يذكرها ، من طفولتها حتى بلغت واكتملت في النمو . واكتفى بأن العناية الالهية تحوطها وترعاها ، حين كان زكريا يدخل يتفقدها فيجد عندها الرزق فيسألها عن ذلك فلا تزيد على أن تقول «هو من عند الله ...» وأكثر من هذا تعقل الأمور بقولها «إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.» [20] .

وقد فهم ابن جرير من قوله تعالى «وكفلها زكريا» [21] ضمها إلى خالتها أم يحيى فكانت معهم حتى إذا بلغت أدخلوها الكنيسة تنفيذا لنذر أمها لتكون خادمة بيت الله ، ولم يورد لنا القرآن أنها خرجت ، بل ذكر لنا أن الرزق كان يأتيها من عند الله تأكيدا على بقائها في المحراب مكان العبادة والتقرب إلى الله ، بالصفاء والنقاء [22] .

ولو كانت لها حياة أخرى أو خروج إلى بيت آخر ، لعرفنا ذلك من الآي الكريم ، ولذلك فإنه لا يمكننا أن نفهم عن حياتها حتى البشر غير ما سبق ذكره .

5 ــ بشرى الملائكة :

بعد أن تحدث القرآن عن حياة مريم الكريمة ، والرعاية الالهية لها تحدث عن بشرى الملائكة لها بالاصطفاء العام ، والطهارة والاختيار على نساء العالمين [23] .

---

(20) البغوي في تفسيره ج 2، ص : 131.

(21) سورة آل عمران آية (37).

(22) الطبري في تفسيره، ج 6، ص : 353.

(23) آية آل عمران رقم : 42 ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾.

وقد ذهب المفسرون في المغنى مذاهب، أشهرها ما قاله ابن الجوزي[24] حين فسر الاصطفاء بالاختيار، والطهارة إما من الحيض أو النفاس أو من الرجال أو من الكفر أو من الفاحشة والاثم، وقد طهرت من هذا كله. أما قضية الحيض فإنها بعيدة لأنها طبيعية وكذلك النفاس لأنه لا يكون إلا بعد الولادة وهي لا زالت لم تحمل بعيسى.

أما الاصطفاء الأول فهو اختيارها للعبادة. والثاني اختيارها لأن تكون أما لعيسى عليه السلام. فورد الاصطفاء الأول عام، والثاني خاص على النساء. وقال ابن الانباري بل اصطفاها على خالص زمانها وهو قول الأكثرين.

والسؤال الذي يمكن أن يطرح ما الهدف من هذه البشرى؟ ويمكن الاجابة عنه بأن البشرى ربما كانت توطئة لنفس مريم لأمر هام سيقع، لأن مثل هذه العناية لا تكون عبثا وكذلك البشرى إن هي إلا مقدمات لشيء هو آت.

ولذلك أمرها الله بالعبادة حين قال: ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[25]. فما هدف هذا الأمر؟

قال الطبري[26]: «يا مريم اخلصي عبادة ربك لوجهه خالصة، واخشعي لطاعته وعبادته، مع من خشع له من خلقه، شكرا على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الادناس والتفضيل على نساء عالم دهرك.»

وقال الرازي بوجوب الشكر بعد هذه المواهب والعطايا.

(24) ابن الجوزي في تفسيره زاد السير، الجزء الأول ص: 387.
(25) سورة آل عمران آية 43.
(26) الطبري في تفسيره ج 6، 404. وهو اختيار ابن الجوزي في تفسيره، ج 1، ص: 387.

المبحث الثاني

يحيى

قرآن كريم

﴿هنالك دعا زكريا ربه ، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء ، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك ، الله يفعل ما يشاء . قال رب اجعل لي آية ، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار﴾.

آل عمران آية 41/33 .

﴿كهيعص ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا ، قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا ، فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا ، يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا . قال رب أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا ، وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا . قال رب اجعل لي آية ، قال آيتك

ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا . فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا . يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا ، وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.﴾

سورة مريم آية 15/1 .

﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين.﴾

سورة الانعام ، آية 85 .

﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين .﴾

سورة الأنبياء آية 90/89.

1 ــ زكريا وطلب الولد :

لقد مرت بنا في المبحث السابق قصة مريم ، بما فيها من العبرة والدرس . وقد استفاد منها أول من كفلها بالتربية والرعاية نبي الله زكريا عليه السلام . كان يدخل إليها فيجد عندها الرزق فيسألها مستغربا فتجيبه بخشوع هو من عند الله ، وتؤكد له حين تقول إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . ويأتي النص مباشرة فيقول «هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ...» (27) .

وفي آية أخرى من سورة آل عمران (28) طلب زكريا من الله الولد خفية ، ويعلل هذا الطلب بقوله :« وإني خفت الموالي من ورائي وكانت

---

(27) التفسير الكبير، ج 8، ص : 46.
(28) آل عمران آية 38.

امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ، يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا» فهو يسأل الله وريثا في حمل هذه الرسالة والدعوة إلى الله [29] .

وفي سورة الأنعام [30] ورد ذكر ليحيى على أنه من ذرية ابراهيم عليه السلام مؤكدا أن الجميع كانوا من الصالحين . وفي سورة الأنبياء [31] ورد ذكر زكريا كذلك في معرض ذكر نعم الله على الرسل والأنبياء .

وبالنظر إلى الآيات التي ورد فيها إسم زكريا عليه السلام حين طلب الولد ، يبدو لنا أن الطلب كان واضحا في سورتي آل عمران ومريم ، إلا أن ظروف الطلب المباشرة لم ترد في سورة مريم ، وفي سورة آل عمران ، كان طلبه بعد دخوله على مريم ورؤية الرزق عندها ، فكيف نفسر هذا الطلب ؟

قال الطبري [32] «عندما رأى زكريا من آيات ربه ما حصل لمريم من الرزق الذي أتاها من غير تسبب أحد من الآدميين مع الحال التي هي بها ، رجا أن يرزقه الله الولد مع كبر سنه من المرأة العاقر» . وزاد البغوي [33] إنه دخل عند ذلك المحراب وصار يناجي ربه الولد الصالح والذرية الطيبة . بإيمان النبوة الذي لا يستبعد القدرة الالهية ، ولو كان قد شارف على الموت ، وازداد يقينا حين رأى ما رأى من عنايته تعالى لمريم بالرزق بدون تسبب أحد من الآدميين .

ولاشك أنها النبوة التي رأت الآية وسألت الولد الذي سيكون مولده على غير العادة تمهيدا لأمر جلل سيحدث ، يتهيأ الناس لاستقباله .

---

(29) مريم آية 5 و 6.

(30) لم يخف زكريا إرث المال، ولا رجاه من الولد، وإنما أراد إرث النبوة وعليها خاف أن تخرج من عقبه، فقد قال النبي ﷺ ﴿انا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا، صدقة﴾ من أحكام ابن العربي، ج 3 ص : 1238.

(31) آية (85).

(32) آية (89).

(33) تفسير الطبري، ج 6، ص : 359.

على أن ما سنرى في آيات استجابة الدعاء .

وأما علة دعائه الخفي ، فقد أجاب عنه الرازي [34] من وجهين :

الأول : انه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت ، إلا أنه كان ضعيفا لنهاية الضعف بسبب الكبر فكان خفيا نظرا للواقع .

الثاني : انه دعا في الصلاة لقوله تعالى ﴿ونادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾ وأجابه تعالى في الصلاة ، فوجب أن يكون الدعاء والنداء خفيا .

2 ـــ استجابة الدعوة :

وجاءت البشرى من الله لزكريا على لسان الملائكة [35] كما في سورة آل عمران [36] ، وفي سورة مريم ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى [37]...﴾ .

ومن شدة الفرح يتوجه الشيخ بالسؤال ، كيف يكون له الولد أمن زوجته ؟ فهي عاقر وأنا شيخ ، أم من غير زوجته ؟ كما قال الطبري [38] أم أن توجهه هذا بالسؤال كان مجرد استبعاد من حيث العادة كما قال الزمخشري [39] .

وكان الجواب ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ [40] هين أن يخلق ولدا من الكبير الذي يئس من الولد ، ومن العاقر التي لا يرجى من مثلها الولادة ، كما خلقك يا زكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيئا ، لأنه الله الذي لا يتعذر عليه خلق شيء

(34) في تفسيره على حاشية تفسير ابن كثير ج 2 ص : 132.
(35) التفسير الكبير، ج 21، ص : 180.
(36) آل عمران، آية (39).
(37) مريم آية (7).
(38) في تفسيره ج 6، ص : 383.
(39) الكشاف ج 1، ص : 144.
(40) مريم آية 9.

أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه ، لأن قدرته القدرة التي لا تشبهها قدرة [41] .

وعندما تحقق الشيخ من الأمر تقدم بدعاء آخر ، فقال : ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ [42] . وفي سورة آل عمران [43] ﴿...إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار﴾ أي علامتك أنك لن تستطيع أن تكلم الناس مدة ثلاث ليال إلا رمزا . وفي هذا التخصيص «ألا تكلم ...» ليعلمه [44] أنه تعالى يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ، ولذلك قال ﴿واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار﴾ يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس ، وهي من الآيات الباهرة . وتحققت البشرى له من الله بالولد إذ قال تعالى ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [45] .

3 ـــ يحيى عليه السلام :

كان يحيى طلبا يرتجى ، فأصبح حقيقة رحمة من الله ، كما سماه تعالى ﴿... ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ [46] وكان رحمة لوالده ، وبني جنسه حينما أعطاه تعالى الكتاب والحكم والسيادة . وتحقق حلم زكريا المنشود في الوريث الصالح .

---

(41) الطبري في تفسيره ج 6، ص : 383. وأخذ به الرازي الجزء الأول : 144، في تفسيره.

(42) مريم آية 10.

(43) آل عمران آية 41.

(44) قال الزمخشري في الكشاف ج 1ص : 144 فإن قلت لما حبس لسانه عن كلام الناس، قلت ليخلص مدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسمية وشكرها الذي طلب الآية من أجله، كأنه لما طلب آلاية من أجل الشكر قيل له ايتيك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه.

(45) سورة الأنبياء آية 90.

(46) سورة مريم الآية 2.

ولذلك قدم تعالى قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام لأن خلق الولد من شيخين فانيين أقرب لقبول الناس من خلق الولد بدون أب . وأحسن الطرق في التعليم والتفهيم ، الأخذ من الأقرب فالأقرب مترقيا إلى الأصعب فالأصعب . فهي آية صغرى لوقوع آية أكبر [47] .

هكذا أراد الله ، ليصدق بكلمته سواء في قصته العجيبة من الشيخين الفانيين ، حتى إذا ما كانت «الكلمة» «كن» لخلق عيسى كان القوم قد عرفوا مولدا على غير العادة ، هو مولد يحيى عليه السلام . أو ناصرا لعيسى وداعيا بدعوته ، دعوة الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله إلى عباده .

ولكن هذا التصديق ممن يكون ؟ وما صفاته ، حيث لابد للشهادة من صفات خاصة حتى تقبل الشهادة .

هذا ما ذكره تعالى قاطعا الطريق على كل من تسول له نفسه في الطعن بهذا المصدق ، فكان الذكر الحكيم قد ذكر هذه الصفات «وسيدا» وفي السيادة الاشارة [48] إلى ضبط مصالح الخلق فيما يخصهم من أمور الدين والدنيا . وهي الرئاسة والامامة في الخير . ولا تكون هذه لأي مخلوق وعلى الخصوص إذا كان التعيين من الله فهو يعرف أين يجعل رسالته .

«وحصورا وهو الذي عصمه الله من الوقوع في الذنوب ، بما أعطي من ضبط لنفسه عفة وزهدا . حاكما لها غير محكوم [49] ».

---

(47) الرازي في التفسير الكبير ج 2 ص : 195.
ابن كثير في تفسيره ج 5ص : 352.

(48) أجمع المفسرون على أن المراد بالكلمة عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى «كن» فوقع عليه اسم الكلمة، انظر تفسير الطبري ج 6 ص : 371. والبغوي على حاشية ابن كثير ج 2، ص : 130 والتفسير الكبير للرازي، ج 8، ص : 38.

(49) انظر تفسير الطبري ج 6، ص : 374. والبغوي ج 2، ص : 136 وابن الجوزي في زاد السير ج 1، ص : 383. والرازي في التفسير الكبير ج 8 : 38. حيث أسهبوا في تفسير هذه الكلمة.

وأكثر من هذا حين قال تعالى ﴿... ونبيا من الصالحين﴾ وماذا بعد النبوة المصطفاة من سلالة الأنبياء ﴿إن الله اصطفى آدم ونوح وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾[50] ومع هذا الاختيار وطهارة النسب يكون العطاء والهبة ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾[51] على الفهم للحكمة الالهية بحرص عليها واجتهاد في أخذها رغم صغر السن ﴿... وآتيناه الحكم صبيا بدون حاجة إلى فترات زمنية ، حتى يكتمل النضج العقلي لفهم الحكمة من غير نقصان وهذا لا يكون حتى لناضجي العقول ... إنه للنبوة التي أرادها الله .﴾[52]

ولم تقف الأمور عند الحكمة والعلم ...بل أعطاه الله أكثر ﴿وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا﴾[53] حين طهره ورعاه وتولى عنايته ليكون على الصورة الملائمة للنبوة . وعلى جانب عظيم من الخلق[54] وحسن السيرة ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا﴾[55] .

(50) آلايات (33 ، 34) من سورة آل عمران.
(51) آلاية 12 من سورة مريم.
(52) تفسير الطبري، ج 16، ص : 42.
(53) آلاية 13، من سورة مريم.
(54) تفسير ابن كثير، ج 3، ص : 113.
(55) سورة مريم الآية 14.

المبحث الثالث

ولادة عيسى عليه السلام

قرآن كريم

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر . قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون .﴾

آل عمران 47/45 .

﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت أنى يكون لي غلام ، ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع

النخلة ، قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا . وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلي واشربي وقري عينا . فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرىء سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إني عبد الله ، آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا .﴾

سورة مريم 33/16 .

1 ـ ظروف الحمل :

أ ـ مجيء الملائكة :

ورد في سورة آل عمران [56] ذكر لقدوم الملائكة ، ولكنه كان بصورة مجملة فصلت في سورة مريم [57] حين قال تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ .

فهذه مريم قد انفردت إلى مكان شرقي البيت المقدس ، واتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس . أما سبب هذا الانتباذ فلا نعرفه بالتأكيد [58] ، وإن علله البعض [59] أنها أرادت العبادة متنحية عن الأهل والناس ، زيادة في الخشوع والتعبد .

---

(56) آية 45.
(57) آية 16، 17.
(58) انظر الرازي في تفسيره ج 16، ص : 196.
(59) انظر المراغي في تفسيره ج 16، ص : 41.

...وفي هذه اللحظات كان قدوم الرسول المبلغ ، على هيئة إنسان سوي ، وما كان من مريم الطاهرة إلا أن استعاذت بالله من هذا المنظر ، حين قالت «إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا» .

فأجابها ليزيل ما حصل لها من الخوف على عفتها : «لست ممن تضنين ولا يقع مني ما تتوهمين من الشر ، ولكني رسول ربك بعثني إليك» قال «إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا» . وفي هذه الحالة تتغير الصورة عند مريم ، إلى صورة أخرى .

ب ـــ البشرى بالولد :

فتبدأ المحادثة بينها وبين هذا الرسول «قال إنما أنا رسول ربك ، لأهب لك غلاما زكيا» (60) «قالت أنى يكون لي غلام...» ولكن كيف يكون هذا الايجاد ؟ الجواب في آية آل عمران (61) ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ...الآية﴾ فاتضح أن هذا الغلام إنما يكون بصدور أمر آلهي بوجوده . فقط ما جئت إلا للبلاغ ، أن سيكون منك ولدا لأن الله أراد ذلك . وهذه الارادة مجرد كلمة (62) تصدر عن الحق كأن يقول «كن» ولم يقف الرسول عند هذا القول بل أضاف يقول «...اسمه المسيح عيسى ابن مريم» (63) ذاكرا الصفة الخاصة ، ثم الاسم ولمن ينسب ومن بعد قال صفات تكون في هذا المخلوق «وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ،

---

(60) آية 19، من سورة مريم.

(61) آية 19، سورة مريم. والزكي الطاهر من الذنوب وتقول العرب زاكي وزكي. الطبري في تفسيره ج 16، ص : 46.

(62) آية 45 ، 46.

(63) نقل ابن الجوزي في زاد المسير ج 1، ص : 389 في معنى الكلمة معان ثلاثة 1 ـــ قول الله تعالى كن. 2 ـــ بشرى الملائكة لمريم بعيسى. 3 ـــ اسم لعيسى. وسمى كلمة لأنه كان عن الكلمة. وقال القاضي أبو يعلى لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله.

ويكلم الناس في المهد ، وكهلا ومن الصالحين» [64] .

فهو سيكون من ذوي القدر والمكانة في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين عند الله ، وأكثر من هذا سيكلم الناس وهو في مهده بالاضافة إلى كلامه في كبره . وهو من أهل الصلاح والتقوى .

وكانت البشرى لمريم بولادة عيسى الرسول قبل وجوده حكمة إلآهية حتى لا يكون الأمر مفاجأة لمريم وهي التي ستكون أما لهذا الرسول ، فأكرمها تعالى بالخبر مقدما ، أن كوني على بال ، مما سيحدث في القريب العاجل .

ج ـ سؤال وجواب :

وبعد أن أنهى الملك من الادلاء بالبشرى ومريم تسمع ، قالت مستفسرة عن الطريقة التي سيكون بها هذا الولد ، وهي لم تمس البشر كما في آية آل عمران [65] ، وزادت في سورة مريم [66] ، ولم أكن من أهل الفساد والبغي .

فأجابها الرسول كما في سورة آل عمران [67] ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ وفي سورة مريم [68]﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين...﴾ وفي كلا النصين يتضح أنه أمر من الله وإرادته التي قضى بها .

---

(64) بدأ بالمسيح قبل عيسى لأنه الأشهر. وقل أن يقع على غيره على عكس عيسى فقد يقع، قدمه لشهرته ونسبه إلى أمه، لينتفي ما قاله الملحدون من النصارى إذا أضافوا إلى الله تعالى. من زاد المسير لابن الجوزي ج 1، ص : 389.
وقال الزمخشري في الكشاف ج 1، ص : 190 : لما قيل اسمه .../...اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء : الاسم عيسى وأما المسيح والابن فلقب «قلت» الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره، فكأنه قيل الذي يعرف به، ويتميز عمن سواه مجموع هذه الثلاثة.

(65) آل عمران (45 ، 46).

(66) آية 47.

(67) آية 20.

(68) آية 47.

فتقبلي الأمر الواقع ، وانصتي كذلك لمقصود الخالق من هذا الأمر وقد وصف هذا الانسان بصفات ذكرها في سورة آل عمران (69) ﴿... ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾ (70) فهو في وجوده هذا بلا أب آية للناس على قدرة الله (71) وهو رحمة لمن تبعه وآمن به ، وخلقه هذا أمر مفروغ منه سبق في علمه تعالى وانتهى ولا راد لحكمه وإرادته وهو يعلم ولا نعلم ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا﴾ (72) .

2 ـــ الوضع :

ذكر القرآن الكريم حمل مريم بعيسى عليه السلام ، ثم ذكر الوضع ، بدون أن يتعرض للحمل وكيفيته (73) ، لأن القرآن يقف على الحقائق البارزة ذات الدرس والعبرة ، وليس القرآن كتابا قصصيا أدبيا يتناول الصغيرة والكبيرة ، ولذلك فإما أن نحمل فترة الحمل على العادة (74) أو على غير العادة (75) كما كان حمل يحيى ، وإن كنت أميل إلى سياق النص القرآني الذي ذكر الحمل ثم ذكر الوضع ، فحمله آية ووضعه آية ، وما ذلك على الله ببعيد (76) وقد خلق آدم من قبل بدون أب ولا أم على ما سيأتي بيانه .

---

(69) آية 21.

(70) آية 21 سورة مريم. (45 ، 46).

(71) ابن الجوزي في زاد المسير ج 5، ص : 218.

(72) آية 22 من سورة مريم.

(73) الرازي في تفسيره ج 21 ص : 201. وذكر وجوها لعلة الانتباذ.

(74) لقد ذكر الطبري في تاريخه ج 2 ص 723 والثعالبي في عرائسه ص 514 والنجار في قصصه ص 378، وينقل عن هؤلاء الدكتور مشيل حايك في كتابه المسيح في الاسلام (ص : 67). تناقلوا كيفية الحمل بعيسى ومدة الحمل ومنهم من ذكر قصصا طويلة. والعجيب أن هذا لم يرد في القرآن. فإذا كان عيسى بحمله آية وبوضعه آية بنص القرآن ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾ مريم (21) عند هذا النص انتهى الكلام. ولا حاجة بنا إلى هذه القصص المقطوعة السند.

(75) أبو زهرة في محاضرات في النصرانية ص (14). عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء ص : 378، ط 2.

(76) انظر الثعلبي في عرائس المجالس، ص : 518، ط الأخيرة.

﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا﴾ حياء من قومها وهي من سلائل بيت النبوة ولأنها استشعرت منهم اتهامها بالريبة (77) ، ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ...﴾ . وبعد أن وضعت قالت ﴿...يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾ .

ب ـــ كلام عيسى مع أمه :

في اللحظة التي ولد فيها عيسى عليه السلام ، كانت مريم تتمنى الموت (78) أو أنها لم تخلق من قبل حتى لا تكون في مثل هذه الحالة العصيبة . حقا إنها حالة حرجة جدا لولا أنها إرادة إلهية سابقة .

ولكونها حق نطق المولود بالحق ، وأبان لها براءتها وعفتها مرة أخرى ، لعلها تتمالك نفسها ، ويهدأ روعها ويتيقن قلبها بهذه الآية العظمى التي لم تكن من صنع البشر ، أو الجن ، إنها القدرة الآلهية وإن كان الأمر ليس فيه كبير عجب إذا نظرنا إلى آدم كيف خلق . وفي سورة مريم (79) .

﴿فناداها من تحتها ألا تحزني (80) قد جعل ربك تحتك سريا﴾ (81) كلام وحقيقة لا مجال للمراوغة أو الشك ﴿وهزي (82) إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا...﴾ هذه النخلة قطوفها

(77) انظر عبد الوهاب النجار قصص الأنبياء ص 378 في الهامش ذكر قصة بعنوان « أم في الخامسة من عمرها » وضعت طفلة وزنها ستة أرطال.

(78) انظر المراغي في تفسيره ج 16، ص : 44.

(79) سورة مريم آية 24.

(80) قيل في المنادى جبريل وقيل عيسى عليه السلام. قال الطبري في تفسيره ج 16، ص : 52 وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال الذي ناداها ابنها عيسى وذلك أنه يفهم من السياق قوله فحملته فانتذبت به مكانا قصيا، يعني به حملت عيسى والخبر عنه، ، ثم قيل فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه. ولعلة أخرى وهي قوله فأشارت إليه ولم تشر إليه، إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك.

(81) في معنى سريا خلاف هل هو نهر أم جدول، قال أبو جعفر والأولى الجدول في تفسيره ج 16، ص : 54.

(82) هزي يعني قيل لمريم حركي (بجذع النخلة) تقول العرب هزه وهز به، رطبا جنيا ـــ مجنيا. وقيل الجني هو الذي بلغ الغاية، وجاء أوان الاجتناء، قال الربيع ابن خيثم ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل من تفسير البغوي، ص : 359.

دانية ما عليك إلا تحريك الجذع لتحصلي على الغذاء وهذا الماء العذب لتشربين ، فطيبي نفسا وابعدي عنك الأحزان فإن الله قادر على أن ينزه ساحتك ويبعد عنك تخرصات المبطلين ، فسيقفوا على حقيقة أمرك ، ويثبتوا لك القداسة والطهر (83) .

﴿...فأما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ (84) .

هذا منهج اسلكيه حين رجوعك إلى القوم فإذا خفت من كلام الناس أو رأيت في طريقك ممن تعرفين فسألك عن أمرك أشيري بأنك صائمة ولا تكلمي أحدا ، لأن الله يعرف أن كلامك يقبل الرد والرفض (85) ولكن إذا تكلم المولود الصغير ، فهذه آية لا يمكن أن يتكلم أحد بعدها ، أو يطعن في صحتها أحد مهما كان نوعه من الفهم والقدر .

2 — مريم وقومها :

أ — المواجهة :

هذه مريم قد سمعت كلمة الحق التي انطق الله بها المولود ، حين أمرت أن تصوم يومها ، ولا تكلم أحدا من البشر ، وأنها ستكفي أمرها ويقام بحجتها ، سلمت أمرها إلى الله (86) ، واستسلمت لقضائه حتى أخذت ولدها ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ (87) ، وكان ما توقعته مريم ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا﴾ (88) أي لقد جئت بأمر عجيب وأحدثتي حدثا عظيما .

(83) قري عينا يعني طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك عيسى. يقال قر الله عينك، يعني صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك من النظر إليه، تفسير البغوي ج 5 ص : 360.

(84) تفسير المراغي ج 16، ص : 48.

(85) نذرت للرحمن صوما : يقول الطبري فإن رأيت من بني آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شيء من أمرك وأمر لديك وسبب ولادتك فقولي إني نذرت للرحمن صوما يقول فقولي إني أوجبت على نفسي صمتا أن لا أكلم أحدا من بني آدم. من تفسيره ج (16)، ص : 56.

(86) تفسير المراغي، ج 16، ص : 48.

(87) انظر تفسير الطبري، ج 16، ص : 57. وتفسير المراغي ج 16، ص : 47.

(88) سورة مريم آية (27).

وأكثر من هذا بدأوا يستعيدون معها سيرتها الطاهرة وتربيتها العجيبة ... ولقد كنت في الهدى والتقى كما كان هارون ودرجتك التي نعرفها هي درجة الأنبياء وأنت من أصلاب الأنبياء فما هذا العمل ؟ وما هذا الولد؟ .

لئن ذكر القرآن هذه السورة ، فهي كافية في تصوير تلك اللحظات التي عاشتها الطاهرة مع قومها الذين لم يعرفوا الحقيقة بعد . ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرىء سوء وما كانت أمك بغيا﴾ [89] لو لم تكن حالة مريم آية من الله لما استطاع أحد أن يقف هذا الموقف وهذه صفته من الطهارة والنقاء .

ب ــ رد مريم :

ولم يكن أمام مريم إلا أن تطبق الوصية ؛ أن تبقى صائمة عن الكلام ، لأن الحديث مع قومها عبث ولن يقنعوا...إلا بآية عظيمة .

﴿فأشارت إليه ...﴾[90] إلى عيسى أن كلموه ، فهو الذي يقول الحقيقة ، وأشارت إليه لأنها كانت صائمة ، ولم تأمره بالنطق واقتصرت على ذلك للمبالغة في إظهار الآية العظيمة [91] . وأن هذا المولود يفهم الاشارة ويقدر على العبارة .

فجن جنونهم أكثر وظنوها تهزأ بهم حين قالوا ﴿...كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ [92] وهو لا زال في حجر أمه ، ولم يعهد في مثله ... فكيف سيتكلم ؟ [93] .

---

(89) كل عمل أجاده صاحبه وأتقنه فقد نراه. تفسير الطبري ج (16) ص 58، وقال البغوي في تفسيره ج 5 ص : 361. شيئا فريا : عظيما منكرا. وفصل ابن الجوزي في زاد المسير الجزء الخامس ص : 225، فقال فيه ثلاثة أقوال 1 ـــ الفري : العظيم قاله الفراء، 2 ـــ فريا : عجبا فائقا، 3 ـــ شيئا فريا : شيئا مصنوعا.

(90) آية 28 من سورة مريم.

(91) سورة مريم من آية 29.

(92) سورة مريم الآية 29.

(93) تفسير المراغي ج 16، ص 47.

ج ـــ كلام عيسى :

عندها نطق المولود ... وكانت الآية العظيمة حين قال : ﴿إني عبد الله﴾ أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل حتى لا يكون للقوم مجال للقول بأنه آله [94] . «آتاني الكتاب» اخبار مما سيقع وما هو كائن في اللوح المحفوظ بأن هذا الآله الذي اعترف بالعبودية له سينزل عليه الكتاب [95] ﴿وجعلني نبيا﴾ لأني سأكون نبيا ، وهنا تبرز براءة أمه لأن الله لا يصطفي للنبوة أولاد سفاح [96] . ﴿وجعلني مباركا أينما كنت﴾[97] أي سيجعلني نفاعا للناس [98] ، هاديا لهم إلى سبيل الرشاد في أي مكان كنت ، وقد جعل هذه الصفات كأنها حدثت له فعلا وهي لم تحصل بعد ، من قبيل [99] انها لما كانت واقعة حتما نزلت منزلة ما قد حصل . ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ أي وأمرني بالصلاة [100] إذ في إقامتها وإدامتها على الوجه الذي سنه الدين تطهير النفوس من الارجاس ومنع لها من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ﴿وبرا بوالدتي﴾ وهل تظنون أني أنكر أمي أو أعقها مع هذه الصفات ؟ لا وجعلني برا بها . وفي هذا رمز إلى نفي الريبة عنها إذ لو لم تكن كذلك لما أمر الرسول المعصوم بتعظيمها [101] . ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾[102] ولم يجعلني جبارا [103] مستكبرا عن عبادته ولا شقيا بعقوق

(94) الطبري في تفسيره ج 16، ص : 60.

(95) الطبري في تفسيره ج 16، ص : 60 وبه أخذ ابن الجوزي في زاد المسير، ج 5، ص : 228، وكذلك المراغي في تفسيره ج 16، ص : 47.

(96) نفس المرجع السابق.

(97) المراغي في تفسيره، ج 16، ص : 47.

(98) سورة مريم آية 31.

(99) مباركا أي نفاعا حيثما توجهت. وقال مجاهد معلما للخير، وقال عطاء ادعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته. وقيل مباركا على من تبعني. من تفسير الطبري، ج 16، ص : 60.

(100) المراغي في تفسيره، ج 16، ص : 47.

(101) وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة قال به الطبري في تفسيره ج 16، ص : 61، والبغوي في تفسيره ج 5، ص : 364، وابن الجوزي في زاد المسير، الجزء 5، ص : 229.

(102) المراغي في تفسيره، ج 16، ص : 47.

(102) سورة مريم آية (32).

(103) أي عاصيا لربه، وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب، تفسير الطبري، ج 16، ص : 61.

والدتي وعدم البر بها . ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾[104] أي والامنة من الله علي فلا يقدر أحد على ضري في هذه المواطن الثلاثة [105] التي هي أشق ما تكون على العباد .

3 ــ إنكار كلام عيسى :

ذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع أن المسيح تكلم في المهد وذلك ليكون آية على طهر أمه وعفافها ، وبراءة عرضها من أن يعلق به شيء مما تلوكه الألسنة ، وتوسوس به الظنون ، في حال كحال مولود يولد من غير زواج معترف به شرعا أو عرفا .

وقد تعرضنا إلى بشارة الملائكة لمريم بكلام المولود الذي سيكون والآية من سورة آل عمران ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾[106] . وتكلم كذلك حين وضعته [107] ، ليثبت لمريم يقين البشرى التي كانت وأنها إرادة الله قضت بهذا فلا مجال للحسرة أو الحزن .

وحين المواجهة مع القوم كذلك نطق [108] بما لا يدع مجالا للشك في طهارة مريم ، وثبوت الآية العظمى . وأخبرهم بصفاته ورسالته ، وذكر الرازي [109] أن قوما كانوا ينكرون كلام عيسى عليه السلام بحجة : أن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها ، فلو وقعت هذه الواقعة لوجب هذا الوقوع في حضرة جمع عظيم يحصل القطع واليقين بقولهم . لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والاثنين لا يجوز ومتى حدثت الواقعة العجيبة جدا عند حضور الجمع العظيم فلابد من أن تتوفر الدواعي على

---

(104) مريم آية 33.

(105) هي (أ) يوم ولدت، أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان. (ب) ويوم أموت : أي عند الموت من الشرك. و(ج) ويوم أبعث حيا أي من الأهوال. من تفسير الطبري ج 16، ص : 60.

(106) آية 46.

(107) سورة مريم آية (24 إلى 26).

(108) سورة مريم آية (22/20).

(109) تفسير الرازي ج 8، ص : 55.

النقل فيصير ذلك بالغا حد التواتر ، وإخفاء ما يكون بالغا حد التواتر ممتنع ، فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى ولما اطبقوا على إنكارها .

وأجاب المتكلمون المسلمون على هذا الانكار حين قالوا إن كلام عيسى عليه السلام في المهد إنما كان للدلالة على براءة مريم عن الفاحشة . وكان الحاضرون جمعا قليلين . فالسامعون قلة ولا يبعد في مثله التواطىء على الاخفاء .

وبتقدير أن يذكروا ذلك ، إلا أن اليهود كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبون لهم البهت . فهم أيضا قد سكتوا لهذه العلة . فلأجل هذه الأسباب بقي الأمر مكتوما مخفيا ، إلى أن أخبر الله سبحانه وتعالى محمدا بذلك . واحتج المسلمون [110] كذلك بأن قالوا كفى إثباتا نص القرآن القاطع والعقل يرشد إليه إذ لولا كلامه الذي دلهم على براءة أمه من الزنى لما تركوا عليها الحد .

ثم إنه ليس كل النصارى ينكرون ذلك ، فإنه نقل عن جعفر بن أبي طالب : لما قرأ على النجاشي سورة مريم ، قال النجاشي : «لاتفاوت بين واقعة عيسى وبين المذكور في هذا الكلام بذرة» [111] وسورة مريم تتحدث عن كلامه عليه السلام مع أمه أولا ومع قومها ثانيا [112] .

---

(110) المراغي في تفسيره، ج 16، ص : 9.

(111) الخطيب في تفسيره، المجلد 1، ص : 449.

نقله الرازي في تفسيره الجزء الثامن، ص : 55.

(112) الآيات مريم (24 ــ 26 ــ 30 ــ 33).

الفصل الثاني

الرسـالة

- المبحث الأول : بيئة المبعث.
- المبحث الثاني : الرسالة.
- المبحث الثالث : التبشير بمحمد عليه السلام.
- المبحث الرابع : المعجزات.
- المبحث الخامس : الحواريون.

المبحث الأول

بيئة المبعث

كان سيدنا موسى عليه السلام قد حذر بني اسرائيل أن ينحرفوا عن طريق الله حتى لا يتعرضوا لما جرت عليه السنة الإلهية من التفرق والتشتت لمن يضل عن طريقه وهديه ، حين أخبرهم بذلك كما ورد في سفر التثنية [113] .

إلا أنهم مع هذا التحذير تردوا في الآثام والخطايا فحق عليهم غضب الله . وقد نفذ الله قضاءه فيهم كما جاء في أشعيا [114] ثم يعود فيحاجهم

(113) فصل أربعة من 27/25 « إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان في الأرض، وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شيئا ما، وفعلتم الشر في عيني الرب آلاهكم لاغاضته أشهد عليكم اليوم السماء والأرض لأنكم تبيدون سريعا من الأرض التي أنتم عابرون إليها لتملكوها، لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة، ويبددكم الله في الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم يسوقكم الرب إليها ».

(114) فصل 42 من 25/23 « من منكم يسمع هذا ويصغي ويسمع لما بعده، من دفع يعقوب إلى السلب، وإسرائيل إلى الناهبين، أليس الرب الذي إليه أخطئنا ولم يشأوا أن يسلكوا في طرقه ولم يسمعوا لشريعته.

بكثرة ذنوبهم وآثامهم ، وأنهم استحقوا العذاب والبعد عن الله [115] كما تنبأ عنهم ارميا [116] في تدمير بيت المقدس ، وتشتت اسرائيل في الأرض .

أما عن الحالة قبل عيسى عليه السلام ، فقد كانت تنبؤات الأنبياء عن قدوم السيد شائعة بين اليهود ، وكان الآلاف ينتظرون على أحر من الجمر [117] مجيء منقذ اسرائيل ، وكان السحر والشياطين والملائكة وحلول الشياطين من أجسام الآدميين ، وإخراجها ، والمعجزات والنبؤات واالاطلاع على الغيب ، والتنجيم ، كانت كل هذه عقائد مسلما بها في كل مكان .

وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثير من المجانين [118] ، وربما كان ذلك ناشئا عن شدة الحماس الديني الذي أشعل النفوس وكان هؤلاء المجانين يأوون إلى المغاور في الجبال والأودية ، حتى ظهرت فرق سرية لمقاومة من يخالف الشريعة ، في أيام سيطرة الرومان حيث ألف «يهود ابن ساريفيا» و «متياس بن مرغلوثة» فرقة لمقاومة أصحاب البدع الرومانية ، فأمسك عليهما وقتلا ولكن خزيهما بقي بعدهما .

قال «رينان» «أما الوسط المضطرب الذي ربى فيه السيد فلا مثيل له في الاضطراب في تاريخ العالم ...[119]» ، بيئة كلها خرافات وشعوذة ، وأحزاب ... وسيطرة وثنية الرومان .

وكان اليهود بعد رجوعهم من السبي البابلي منقسمين إلى فرقتين إحداهما تتمسك بالكتب المقدسة فقط سميت «صاديكم» أي الصديقين ومنها تناسل السامريون والصدوقيون .

---

(115) فصل 59 من 4/1 « ها إن يد الرب لم تقصر من أن تخلص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين آلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع ».

(116) فصل 22 من 9/8 « ويعبر أمم كثيرة في هذه المدينة، ويقول الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون من أجل أنهم تركوا عبد الرب آلاهكم، وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها ».

(117) ول ديوانت / قصة الحضارة، ج 11 ص 215.

(118) حياة المسيح / رنيان نقلا عن مجلة الجامعة سنة 1901، ص : 302.

(119) حياة المسيح / رنيان نقلا عن مجلة الجامعة سنة 1901، ص : 164.

والأخرى أضافت إلى ذلك تقليد المشايخ بسبب ما ظن فيها من القداسة قيل لها «خاسيديم» أي التقيون ، ومنها تناسل الفريسيون و «الاسينيون» .

وصادف هذا الانقسام في ذلك الوقت امتداد الفلسفة اليونانية بين اليهود مما زاد في تشعب اليهود في آرائها إلى فرق متعددة وطوائف شتى ، أشهرها :

أ ـ الفرق الصاديكمية :

1 ـ السامريون :

لما شرع مسبيو مملكة يهودا في قيام الهيكل بأورشليم بعد رجوعهم من بابل كان السكان خليطا من اليهود والأشوريين ، ورفض هؤلاء الاشتراك مع العائدين في عبادتهم الذين اتهموهم بعبادة الأوثان ونشأت بينهم وبين بقية اليهود عداوة كبيرة من ذلك العهد ، فعمد هؤلاء إلى بناء هيكل خاص لهم في جبل جرزيم .

2 ـ الصدوقيون :

زعم بعض علماء اليهود أنهم تسموا بذلك نسبة إلى رئيسهم صادوق الكاهن سنة 280 ق .م ، وكانوا أقرب اليهود إلى الأخذ بالحضارة اليونانية وعادات المعيشة في البيئات الرومانية ، ومنهم من كان يدين ببعض المذاهب الفلسفية كمذهب «ابيقور» وكانت الحملة على المسيح بقيادة اثنين من كبار الكهنة ، «حنانيا» و «قيانا» لأنهم يحافظون على سلطان الهيكل .

ب ـ الفرقة الخاسيديمية :

1 ـ الفريسيون :

التسمية مأخوذة من العبرية «فروشيم» ومعناها الاعتزال يقابلها بالعربية كلمة «الفرز» وجاء عصر الميلاد وهم ينقسمون إلى فريقين : فريق

يتبع الحكيم «هلل» الذي قدم من بابل إلى فلسطين ، وهم الفريق السمح ، وفريق يتبع الحكيم «شماي» وهم أقرب إلى التحرج والتضييق وهؤلاء جمعوا بين النقل والعقل ، والقدرة عندهم إرادية وغير إرادية .

2 ــ الأسينيون :

التسمية من «آس» بمعنى الطبيب أو النطاسي في اللغة الأرامية ، وهي في العربية تفيد هذا المعنى ، ومن المعقول أنهم تسموا بهذا لأنهم كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد كما يدعون العلم بخصائص العقاقير .

تأثروا كما يقول العقاد بمدارس الأسكندرية ببعض أنظمة العبادة والمذاهب الفلسفية كمذهب فيثاغورس ، ويقول عنها العابدي هي فرقة بلغت أعلى درجة في الفضيلة والصلاح .

3 ــ الجليليون :

أتباع يهودا الجليلي وهم عبارة عن فرقة دينية وسياسية ثائرة منذ سنة 11 م وكانت تخالف أمر أغسطس قيصر في اكتتاب اليهود .

4 ــ طائفة النذريين :

هؤلاء وهبوا أنفسهم لحياة القداسة ، وخدمة الله ، والتبشير بالموعود يوم الخلاص من الظلم والجور ، والتطهر من الذنوب ، وكثروا قبل عيسى عليه السلام لأن الوقت قرب لمجيء المسيح المنتظر ، فهم شباب الفتوة الذين اعتبروا أنفسهم رواد الدعوة للمسيح يترقبون ظهوره ، وكان من هؤلاء يحيى عليه السلام .

وفرق أخرى مثل :

الهيروديون :

طائفة سياسية لا دينية قيل إنهم كانوا يستعملون كثيرا من عادات

الوثنيين لكي يتعطف بهم هردوس والرومانيون .

اللبرتيون :

يظن أنهم من اليهود أو من المتهودين من الأمم الذين تمتعوا بحقوق الرومانية ، وقيل إنه كان لهم مجتمع خاص بهم في أورشليم (القدس) .

المسريميون :

الذين تعلموا السحر (كبالا) وهؤلاء يشبهون عيسى بالحية ويزعمون أن السحر منزل من الله عن طريق الأنبياء الذين نقلوه إلى الحكماء[120] .

فما كان قدوم عيسى عليه السلام ، إلا بعد أن آلت الحالة إلى التدهور ، والانهيار في العقيدة والأخلاق ، والسلوك وصار الناس[121] بحاجة إلى قائد يردهم إلى عبادة الله ، ويوجههم نحو الطريق الموصل إلى الخير والسعادة .

---

(120) ظفر الاسلام / التلمود وتعاليمه وتاريخه، ص 37.

(121) عباس محمود العقاد / عبقرية المسيح، ص : 101.

المبحث الثاني

الرسـالة

قرآن كريم

﴿قال إني عبد الله ، آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا .﴾

سورة مريم 32/30 .

﴿وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٓهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾

سورة المائدة 117/116

﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾

سورة آل عمران ، آية 51 .

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلّه واحدا ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ .

سورة التوبة ، آية 31 .

﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون . إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ .

سورة الزخرف آية 64/63 .

1 ـــ التوحيد :

نص القرآن الكريم على أن أول ما جاء به عيسى عليه السلام هو التوحيد الكامل ، التوحيد في العبادة ، فلا يعبد إلا الله ولا يتقرب بشيء إلا إلى الله ، فالله هو الخالق لكل شيء ، مدير الأمر كيف شاء ، وهو رب الكل ، لا يختص بجماعة دون أخرى ، ولا بجنس دون آخر ، إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم [122] .

ونص القرآن على توحيد ذاته تعالى ، فليست ذاته بمركبة ، فهو الله الواحد الذي لا يتجزأ ، يغير ولا يتغير ، لا يشبهه أحد ، ولا يشبه أحد ، ليس كمثله شيء وهذا ما قاله عيسى ابن مريم ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلّهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ...﴾ [123] .

(122) الآية 51 من سورة آل عمران و 36 من سورة مريم.
(123) الآية (116 ، 117) من سورة المائدة.

ثم أكد فيما بعد أن عيسى لا يعلم ما في علم الله لأنه عبد الله وكيف يساوى العبد بالإله ، وانه كان دائما يقول لقومه اعبدوا الله ربي وربكم ، ولا اتميز عنهم بشيء ، أعبد كما تعبدون إنما أنا مرشد فقط ..﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم...﴾ الآية .

وهذا ما ورد في إنجيل متى [124] «لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد...» وقوله « أنت الإله الحقيقي وحدك» وهو في رسائل بولس ويعقوب ، وانجيل برنابا .

2 ـــ التصديق بالرسل :

ذكر القرآن أن المسيح ، صدق برسالة موسى ، واعترف بالتوراة ، ولكنه جاء ليبين لهم بعض الذي حرم عليهم ، وما أحله الله لهم بما يوافق زمانهم وحياتهم ، ﴿ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون﴾ [125] .

وفي سورة الزخرف جاء عيسى بالبينات والحكمة وبيان قول الفصل في مسائل الخلاف بين الفرق والأحزاب ، حتى يستقر الأمر على الوحدة ، ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون﴾ [126] .

وعيسى كان يثني على موسى ودعوته ، والتوراة ﴿...مصدقا لما بين

---

(124) فصل 4 رقم 10، فصل 17 رقم 2. رسالة بولس إلى أهل رومية « لأن الله واحد » فصل 3 رقم 30. ورسالته إلى أهل الغلاطية « ولكن الله واحد » فصل 3 رقم 20. رسالة يعقوب فصل 2 رقم 19 « أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل » وفي فصل 4 رقم 12 « واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك ».
وفي برنابا فصل 90 و 104 و 105.

(125) سورة آل عمران آية 52.

(126) سورة الزخرف، آية 62.

يدي من التوراة..﴾ ولم يقف عند هذا الحد بل بشر بالرسول الذي سيأتي من بعده ﴿...ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ...﴾ [127] . وسنعرض لتبشيره بمحمد عليه السلام بشكل أوسع بعد قليل .

3 ــ لا وساطة بين المخلوق والخالق :

لقد جاء المسيح فوجد الذين يعملون بخلاف ما يعملون به من التوراة والشعب منخدع بهم ومصدق لهم . وكان الفريسي[128] في اعتقادهم رجلا معصوما عن الخطأ ، فإذا جادل كان الحق في جانبه دائما ، وإذا دخل إلى المجلس طلب المجلس الأول وإذا فعل خيرا بوق به تبويقا ... حتى أن الناس آمنوا بعيسى ولكن الكثير لم يجرؤ على إعلان ذلك خوفا من الفريسيين . لأن ذلك يفضي إلى الطرد من المجامع (المعابد) والحرمان من الحقوق الدينية ، وهذا الحرمان يستوجب من الشريعة اليهودية حجز الأملاك ، ولا يخفى ما في ذلك من الاهانة والخسارة .

وكان المسيح يدعو إلى نقاء الباطن والاتصال بالله بدون وساطة أحد ، قال تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلٰهاً واحدا لا إلٰه إلا هو سبحانه عما يشكرون﴾ [129] .

4 ــ الأمر بالعبادة :

وكان عيسى يدعو إلى إخلاص العبادة سواء كانت معاملات فيما بينهم من المحافظة على الحقوق واحترام الفرد ، والاخلاق الفاضلة أو كانت في إقامة الصلاة شكرا لله ، أو دفع الزكاة للفقراء والمساكين وقد نص القرآن على ذلك ﴿وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ [130] .

(127) سورة الصف آية 6.

(128) رينان / حياة المسيح، نقلا عن مجلة الجامعة سنة 1901 ص : 306 ــ 308.

(129) الآية 31 من سورة التوبة.

(130) الآية 31 و 32 من سورة مريم.

ولا يمكن أن ينفك عنصر العقيدة الايمانية عن الشعائر التعبدية ، عن القيم الخلقية ، عن الشرائع التنظيمية في أي دين يريد أن يصرف حياة الناس وفق المنهج الإلهي ، وأي انفصال لهذه المقومات يبطل عمل الدين في النفوس وفي الحياة ، ويخالف مفهوم الدين كما أراده الله [131] .

5 ــ التبشير بمحمد عليه السلام :

قرآن كريم

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ .

سورة آل عمران 85/81 .

﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ .

سورة النساء الآية 162 .

﴿الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوبا عنده في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث

(131) سيد قطب في ظلال القرآن، ج 3، المجلد الأول، ص : 590 الطبعة الأولى.

ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعززوه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ .

سورة الأعراف آية 157

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

سورة الصف ، 6 و 7 و 9 .

ذكر القرآن [132] أن الله أخذ الميثاق على النبيين انه كلما جاء رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولابد من نصره ، ومن خرج عن هذا الطريق فلا يعتبر من الأنبياء ، لأن الأنبياء دينهم واحد ورسالتهم واحدة من عهد آدم إلى محمد عليه الصلاة والسلام .

كما ذكر القرآن أن عيسى عليه السلام كان واحدا من هؤلاء الأنبياء وبشّر برسول سيأتي من بعده اسمه أحمد ، اعترف بنبوة موسى وكتابه و ﴿إذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشّرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [133] .

---

(132) وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتينكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال اقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » سورة آل عمران 82/81.
قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ». سورة آل عمران، 85/84.

(133) سورة الصف آية 6.

وأكثر من هذا فقد ذكّرهم القرآن أنه مكتوب عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فمن يؤمن به وينصره ويأخذ بما يقول فهو من المفلحين ، قال تعالى ﴿ الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [134] .

وتكلم على هذه الشواهد والادلة التي تبشر برسول الله محمد عليه السلام في التوراة والانجيل عدد من العلماء منهم :

1 ـــ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي في الأجوبة الفاخرة على هامش الفارق بين المخلوق والخالق .

2 ـــ ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى من اليهود والنصارى على هامش الفارق بين المخلوق والخالق .

3 ـــ محمد رضا : محمد رسول الله [135] .

4 ـــ ابراهيم خليل أحمد : محمد في التوراة والانجيل والقرآن [136] .

5 ـــ رشيد رضا : في تفسيره .

6 ـــ انجيل برنابا .

7 ـــ العقاد في مطلع النور ، تطرق كذلك إلى أدلة تاريخية من غير التوراة والانجيل [137] .

8 ـــ مخطوطة «السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود» عبد الحق الاسلامي سنة 882 هـ [138] .

---

(134) سورة الأعراف، آية 157.

(135) ص : 46.

(136) ص : 108.

(137) ص : 16.

(138) ص : الخزانة العامة بالرباط رقم3395د. من ص : 360 إلى 381.

ونكتفي هنا بضرب أمثلة من التوراة والانجيل كما ذكر القرآن الكريم .

1 ــ **من التوراة :**

جاء في سفر أشعيا الاصحاح 41 « انصتي إلي أيتها الجزائر ولتجدد القبائل قوة (وفي نسخة الكتاب المقدس سنة 1966 م بدل القبائل الشعوب) ليقتربوا ثم يتكلموا ــ لنتنافذ جميعا إلى القضاء ــ لنتقدم إلى المحاكمة من انهض من المشرق ــ الصديق من المشرق ــ الذي يلاقيه النصر عند رجليه وجعل الأمم بين يديه ، وأخضع الملوك وجعلهم كالتراب لسيفه وكالعصافة المذراة لقوسه ، يطردهم ويجوز سالما في سبيل لم يطأه بقدميه من فعل وصنع داعيا الأجيال من البدء ، انا الرب . أنا الأول والآخر ا .هـ .

والمراد بالقبائل أو الشعوب العرب وصاحب السيف والقوس هو محمد ﷺ فإن عيسى لم يحارب أصلا [139] .

2 ــ **ومما جاء في مخطوطة السيف الممدود :**

أ ــ أخبر الله بدخول محمد ﷺ الجنة قبل سائر الخلق ونصه هو : «ويسع أضنى الوهم جربعد رمكادمش» .

ب ــ سيقعون في يد من قالوا عنه جاهل وأحمق وهذا نصه « بايم هب كد باسم هش أويل همني قا شوجع اشر هنا روح ونهر مزح وربه سيطم ش» .

3 ــ **ومما جاء في الانجيل :**

جاء في قول يوحنا اصحاح 14 فقرة 15 ما نصه :« ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم «فارقليطا» آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم وفيكم» .

---

(139) محمد رضا / محمد رسول الله.

وترجمة الفارقليط بالعربية «أحمد» كما قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾

وقد تصرف المترجمون في هذه اللفظة فكانوا تارة ينقلوها عن اللغات الثلاث الأصلية ، وهي العبرية والكلدانية واليونانية «بالمعزى» وأخرى «بالمخلص» أو يكتبونها «البارقليط» كما هي .

وقد وضع عيسى بقوله فارقاليطا آخر يبقى إلى يوم القيامة أي رسالته باقية وخاتمة الرسالات . ثم قال في فقرة (26) من نفس الاصحاح ، «واما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم» وفعلا هذا القرآن يذكرهم ويبين لهم الحقائق التي جاء بها المسيح عليه السلام .

ورد ذكر البشرى بمحمد عليه السلام في انجيل برنابا أكثر من عشرين مرة [140] .

على سبيل المثال الاصحاح الثاني والأربعين الذي جاء فيه : «...رسول الله الذي تسمونه مسيا ، خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية» .

وجاء في الاصحاح الثاني والسبعين : «...إني قد أتيت لأهيء الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم ...» .

وفي الاصحاح الثالث والستين بعد المائة : «...إنه رسول الله ومعي جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر وبالرحمة الغزيرة التي يأتي بها ...» .

---

(140) انظر الاصحاحات التالية : 17 ـ 39 ـ 41 ـ 42 ـ 43 ـ 44 ـ 52 ـ 54 ـ 56 ـ 58 ـ 72 ـ 82 ـ 90 ـ 96 ـ 97 ـ 124 ـ 136 ـ 137 ـ 158 ـ 168 ـ 176 ـ 191 ـ 192.

وأكد القرآن معرفة أهل العلم والايمان برسالة محمد ﷺ وإيمانهم بها وبما كان قبلها ﴿لكن الراسخون في العلم منهم المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ [141] .

ومما جاء في ذلك على سبيل المثال :

1 ــ نقل ابن هشام قصة إسلام سلمان الفارسي الذي ترك الأوثان إلى دين النصرانية وهاجر إلى عمورية حيث وصف له رجل هناك . وعند وفاته وهو نصراني قال له سلمان إلى من توصي بي ؟ فقال : لا أعلم أحدا اليوم على مثل ما كنا عليه ولكن أظللك نبي يبعث بدين ابراهيم الحنيفية بأرض ذات نخل وبه علامات لا تخفى بين منكبيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة فإن استطعت فتخلص إليه » [142] .

2 ــ ينقل محمد رضا اتفاق مؤرخي العرب وأصحاب السير أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون ظهور نبي في ذلك الزمان وكانوا يعلمون أوصافه وأحواله ومن ذلك أنهم ذكروا :

أ ــ أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن «شقا» و «سطيحا» كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد ﷺ قبل زمان ظهوره .

ب ــ قصة حليمة السعدية كيف كانت تعرض رسول الله على اليهود وتحدثهم بشأنه فكانوا يحضون على قتله فتهرب منهم .

ج ــ قصة بحيرة الراهب الذي عرف رسول الله بعلامات فيه وقال لأبي طالب ارجع بابن أخيك إلى بلده فاحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفته ليبغنه شرا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده .

---

(141) سورة النساء آية 162 .

(142) من الجزء الاول ص : 214.

3 ـــ ونقل ابن هشام [143] «سأل ابن جبل أخو بني سلمة ، وسعد بن معاذ ، أخو بني عبد الاشهل وخارجة بن زيد أخو بلحارث بن الخزرج نفرا من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة فكتموه إياه وأبوا أن يخبروهم عنه فأنزل الله تعالى فيهم ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ، والهدى من بعد ما بيناه ...الآية ﴾ .

وذكر ابن هشام [144] «وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه ولما تقارب من زمانه».

ويؤكد محمد رضا وجود كتب شارحة في أيدي اليهود والنصارى كانت زمن المبعث ترشدهم إلى الحقائق عن رسول الله ﷺ [145] .

(143) الجزء الثاني ص : 551 .
(144) الجزء الثاني، ص : 204.
(145) ص : 62، محمد رسول الله .

المبحث الثالث

المعجزات

قرآن كريم

﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾

سورة آل عمران آية 46

﴿ورسولا إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيأة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرىء الاكمة والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ .

سورة آل عمران آية 49 .

﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيأة الطير بإذني ، فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني ، وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني ، وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ .

سورة المائدة آية 110 .

﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا ولآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ .

سورة المائدة آية 115/112 .

معنى المعجزة :

1 — المعجزة في اللغة [146] مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة ، والمعجز في الحقيقة فاعل العجز في غيره ، وهو الله تعالى . كما أنه المقدر لأنه فاعل القدرة في غيره . وإنما قيل لاعلام الرسل عليهم السلام معجزات لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها . وزيدت الهاء فيها فقيل معجزة للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها .

(146) البغدادي «أصول الدين» ص : 170 .

وتعريف المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي مرسل عند تحدي المنكرين له على وجه يبين صدق دعواه ، مع إمكان وقوعه عقلا .

وقد ذكر القرآن لنا كثيرا من هذه المعجزات التي أظهرها الله على يد رسله . تبين صدق دعوتهم ، وتوضح للناس ارتباطهم بالله سبحانه ، وأنهم مؤيدون به . وكانت هذه الآيات ممكنة في ذاتها ، والعقل لا يمنعها ، والعلم لا ينفيها ، قال «و .أ . جيفون» من كبار المنطقيين الانجليز [147] . «القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه ، أو إضافة شيء إليه . ومن السهل أن يقال عنه إنه غير متصور عند العقل ، لكن الذي يقال عنه ، إنه غير متصور ، ليس غير متصور إلى درجة وجود العالم» .

وكذلك قال « ستيوارت » [148] « إن الله الذي أوجد سلسلة الأسباب والعلل ، قادر على تعطيل عمل هذه السلسلة ، فلا تكون المعجزة خارقة للعادة بهذا الاعتبار ، ولا يختل قانون السببية ، فسبب المعجزة إرادة الله » .

والمؤمنون بالله يصدقون ما ثبت بالدليل القاطع ، لعلمهم بأن الله قادر على كل شيء ، وهو قادر على سلب النار خاصية الاحراق ، كما فعل مع ابراهيم عليه السلام ﴿قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم﴾ [149] .

والله خلق آدم من التراب بلا أب ولا أم ، قادر على خلق عيسى بدون أب ، وهذا الخلق أهون من الأول . ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا﴾ [150] .

(147) مصطفى صبري / القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون ص : 27 .
(148) نفس المرجع السابق ص : 33.
(149) سورة الانبياء آية 68 / 69
(150) سورة مريم آية 31 .

إلا أنه تعالى أخبرنا بأنه لا يستجيب لمن يطلب من القوم طلبا فيه تعنت أو شطط ، أو رغبة في التفكه والتسلية بخوارق العادات كالذين قالوا لموسى ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ [151] .

أما ما يظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات ، فهو على غير حقيقته ، فإن منها ما له أسباب خافية على الجمهور . وإن منها ما هو صناعي يستفاد بتعليم خاص ، ومنها من خصائص قوى النفس في توجيهها إلى مطالبها ، وسيطرة أقوياء الارادة على ضعفائها [152] .

ويدخل في هذين الأمرين ، المكاشفة في بعض الأمور ، والتنويم المغناطيسي ، وشفاء بعض المرضى ولاسيما المصابين بالأمراض العصبية ، التي يؤثر فيها الاعتقاد والوهم .

ومنها انخداع البصر بالتخيل ، الذي يحذقه المشعوذون ، ومنه ما فعله سحرة فرعون المعني بقوله ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [153] .

فالمعجزة لا تتم إلا بقدرة الله وإرادته ، وهو الذي يتصف بالكمال المطلق وما عرفناه من آيات الأنبياء والرسل إلا قليل من كثير . قال تعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [154] .

والمعجزات كلها من صنع الله مباشرة ، ومعناها سنة جديدة بخلاف ما نراه يوميا من عظة وعظمة ، فالولادة ونمو الحيوان ، والنبات ، فإنه مع إعجازه يأتي مطابقا لقواعد ونظم وضعها الله لا تتغير .

---

(151) سورة الاعراف آية 132 .

(152) سيد سابق : العقائد الاسلامية، ص : 213.

(153) سورة طه آية 66 .

(154) سورة الاسراء آية 85 .

وأظهر مثلا للنواميس الطبيعية حركة الشمس ، فإن ذلك مع عظمته لا يحدث صدمة لعقولنا لتعودنا إياه ، ولكن إن أتى الله بالشمس من المغرب بدل المشرق كان هذا معجزة بالنسبة للانسان ، مع أن الحركتين من صنع الله ولا فرق بينهما .

على يد من تحصل المعجزة ؟

ولا تحصل المعجزة إلا على أيدي الأنبياء ، وذلك لأن صدمتها إن كانت شديدة على الحاضرين ، فهي أشد على من يكون وساطة فيها ، ولذلك اختار الله الأنبياء واصطفاهم .

ولمنع الصدمة الشديدة وقت حدوثها يهيء الله الظروف لتحطمها ، ويهيء النبي نفسه لقبولها ، ويهيء الحاضرين لمشاهدتها ، فأمر الله لسيدنا موسى بإدخال يده في جيبه وإخراجها فتكون بيضاء ليس إلا تهيئة للمعجزات الأخرى .

ولقائل أن يقول لو كانت بعض الاختراعات الموجودة الآن موجودة في زمن الأنبياء لعدت معجزة ، فيقال له إنك لم تفهم الروح الحقيقي للمعجزات لأن المخترعات العلمية تبنى على السنن الطبيعية ، ولكنها مبنية على قواعد علمية لا تتغير ، ولكن أهمية المعجزة في صنعها بدون السنن العادية وهي لا تتكرر إلا بإذن الله ، لأن الانسان لا يعرف قاعدتها ولا يدرك طريقة صنعها .

مثلا قصة ابراهيم وعدم احتراقه فإن العلم بتقدمه يمكنه أن يغطي الانسان ، بمادة غير قابلة للاحتراق ويضعه في النار ، فلا يحترق ، وهذا يشبه المعجزة ، ولكنه اختراع استعان صاحبه فيه بالنواميس الطبيعية .

أما المعجزة : فهي أن تضع الانسان كما هو جسما ولحما في النار فلا يحترق فيكون عدم احتراقه حينئذ هو المعجزة ، وهي خرق للسنة الطبيعية

التي تقضي باحتراق الجسم متى وضع في النار [155] .

2 ـــ معجزات عيسى عليه السلام :

خلطت الأناجيل بين المعجزات والكرامات والعجائب ولذلك يصعب إن لم يكن مستحيلا معرفة هذه المعجزات من غير القرآن الكريم وبخاصة أن أصحاب القصص ذكروا أعاجيب المسيح في طفولته وهي مما لا يستند إلى سند تاريخي سوى مخيلة العامة كما وصف ذلك الدكتور الحايك [156] .

أما القرآن فقد ذكرها بشكل واضح وجلي حين ذكر خمسا منها في سورة المائدة ، وإذا ما اعتبرنا قصة المائدة فهي ست كما ذكر في سورة آل عمران سابعة ، وهذه المعجزات هي :

1 ـــ الكلام في المهد :

قال تعالى ﴿تكلم الناس في المهد وكهلا﴾ [157] وقد تعرضنا إلى كلامه عليه السلام مع والدته ومع القوم وهو في المهد، ما فيه الكفاية، فارجع إليه [158] .

2 ـــ معرفة الكتاب (التوراة والانجيل) .

قال تعالى : ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل﴾ [159] فهذه الآية اعتمد عليها في تبشيره ودعوته الناس ، حيث أتاه الله علم الكتاب وفهمه وهو ما أنزله الله من التوراة على موسى والانجيل على عيسى [160] ، فلا تكون رسالة بدون تعاليم . فكانت هذه من علم الكتاب وفهمه آية على صدقه ورسالته .

(155) انظر المراغي في تفسيره ج 3 ص : 161، عبد الوهاب النجار في قصص الانبياء ص : 408، بولس الياس اليسوعي في يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص : 58. د. الحايك المسيح في الاسلام ص : 95 .

(156) المسيح في الاسلام ص : 95

(157) آل عمران آية 45 المائدة آية 110

(158) ص 34، 35 من هذا البحث .

(159) سورة آل عمران آية 48 المائدة آية 110 .

(160) تفسير الطبري ج 6، ص : 422 .

3 ــ نفخ الروح في الطير :

قال تعالى : ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فيكون طيرا بإذني﴾ (161) أي يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله ، أي ان الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيرا من طين فالخالق هو الله سبحانه وتعالى ، ولكن جرى الخلق على يد عيسى وينفخ من روحه عليه السلام (162) .

4 ــ ابراء الأكمه :

قال تعالى : ﴿وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني﴾ (163) وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على دواء لهما والتمكن من أسباب الشفاء منهما ، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما (164) . فكانت هذه الآية من جملة ما وهبه الله على صدق رسالته .

5 ــ إحياء الموتى :

قال تعالى : ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ (165) فكان عليه السلام يحيي الميت بعد خروج روحه ، والمحي في الحقيقة هو الله العلي القدير ، وإنما أجرى ذلك على يد المسيح برهانا وآية على رسالته .

6 ــ الاخبار عن أكل الناس ومدخراتهم :

قال تعالى : ﴿... وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم

---

(161) سورة آل عمران 49، المائدة 110 .

(162) أبو زهرة في محاضراته ص : 18. قال ابن عباس اخذ طينا وصنع منه خفاشا ونفخ فيه فإذا هو يطير نقله ابن الجوزي في تفسيره، ج 1، ص : 392.

(163) سورة المائدة، آية (110) .

(164) أبو زهرة في محاضراته ص : 18، والمراغي في تفسيره ج 3 ص : 158 والذي قاله المراغي «وانما خصا بالذكر، لأن مداواتهما أعيت نطس الاطباء، وقد كان الطب متقدما جدا زمن عيسى فأراهم الله المعجزة من ذلك الجنس » .

(165) ... /... من سورة المائدة آية 110

...﴾[166] أي وأخبركم بما تأكلونه من أنواع المأكل وما تخبئونه للغد في بيوتكم ، وقد كان يخبر الرجل بما أكل وبما سيأكل ، وعقب هذه الآية بقوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآية إن كنتم مؤمنين﴾ أي علامة على صدقي إن كنتم مصدقين حجج الله وآياته ، مقرين بتوحيده .

7 ــ أنزل المائدة من السماء :

إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين لتطمئن قلوبهم ويعلموا أن عيسى عليه السلام قد صدقهم بما قال [167] .

3 ــ حكمة المعجزات :

تعرض بعض العلماء إلى الحكمة الالهية في تنسيق الآي الكريم الذي وردت فيه ذكر هذه المعجزات، حيث كان الكلام في مهد ثم تعليم الكتاب وخلق الطير ، وإحياء الموتى ... وقالوا بأنها رحمة من الله بعباده لكي يعرفوا تلك المعجزات بالتدرج ، وعلى الخصوص تلك التي تكون على غير العادة ، ومخالفة لنواميس الطبيعة ، أي ان كل واحدة تمهد للأخرى حتى إذا وقعت الأخرى كان التصديق والتسليم لأن الانسان خلق محدود الادراك والحواس ، ولا يفهم ولا يرى ولا يسمع إلا ما كان في متناول إدراكه فإن رأى شيئا فوق طاقته اجتهد في أن يرده إلى شيء يعرفه ، فإن لم يمكنه بقي متحيرا . وإن تكرر ذلك أدى إلى اضطراب في الأعصاب قد يكون خطرا عليه .

وهنا نلاحظ لطف الله في أنه يظهر قدرته للانسان بالتدرج كما في المعجزات ، فمثلا يمكنه تعالى خلق الطير من الطين وغير الطين ولا داعي للنفخ عن طريق الارادة هي « كن » ولكنه التقريب للبشر ، فإذا كان شكل الطير يشبه فيه الانسان بالطير الحقيقي ، ولا يكون هناك فرق بينهما إلا الحياة .

(166) سورة آل عمران آية 49 .
قال سعيد بن جبير كان عيسى اذا كان في المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام ان اهلك قد هيأوا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه، نقله ابن الجوزي في زاد المسير ج1 ص : 392.
(167) سورة المائدة آية 112 إلى 115 .

وعملية النفخ تجعله ينتظر تغييرا كما يحدث في أشياء كثيرة مثل الكرة إذا نفخ فيها وغير ذلك ، فعند وجود الروح في هذا الهيكل الطيني تكون الصدمة قد انكسرت حدتها بانتظار حدوث شيء هام ، مع أن كل هذه المقدمات لا دخل لها مطلقا في وجود الحياة والروح ، وهكذا بقية المعجزات التي كانت لعيسى عليه السلام ، وكذا مولد سيدنا عيسى عليه السلام قد بدأ غريبا عليهم لأنهم ألفوا المولود من ذكر وأنثى ، ولكن عندما رأوا الآية التي جاء بها المسيح آمنوا وصدقوا بأنه كان قدرة إلهية[168] .

كما تعرض بعض العلماء إلى الحكمة العامة من هذه المعجزات مثل ابن كثير الذي ذكر على[169] أنها كانت من جنس الطب الذي كان شائعا في ذلك العصر وأنها كانت مناسبة لما كانوا يعملون بأيديهم لتؤيد شريعة الله ، ولذلك جاء المسيح بما عجز عنه الأطباء مثل مداواة الأكمه والأبرص وإحياء الموتى .

وذهب أبو زهرة[170] إلى أن زمان المسيح قد ساده إنكار الروح في أقوال بعضهم ، وأفعال جمعهم ، فكانت معجزته إعلانا لوجود الروح حيث أوجد الطير وأحيا الأموات بإذن الله ، ودعوة إلى الايمان بالبعث والنشور والحياة الآخرة .

(168) انظر تفسير المراغي، ج 3 ص 159 .
(169) ابن كثير في تفسيره ج 1، ص : 365 .
(170) محاضرات في النصرانية، ص : 20

المبحث الرابع

الحواريون

قرآن كريم

﴿إذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين . وأوصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾

سورة البقرة 132/103

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾

سورة البقرة آية 133 .

﴿قالوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾

سورة البقرة آية 136 .

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾

سورة البقرة آية 285 .

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾

سورة آل عمران آية 53/52

﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾

سورة المائدة آية 111

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾

سورة الصف آية 14

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾

سورة البينة آية 5

الحواريون في اللغة والاصطلاح :

1 ـ اختلف أهل اللغة في معنى هذه الكلمة [171] ، كما اختلف آخرون في أصلها العربي إلا أن المعنى الغالب على أنها تعني الصفوة التي أخلصت في تصديقها ونصرتها لعيسى عليه السلام ، ولاشك في أصل المادة « ح و ر » العربية [172] وإن ذكر البعض أصلا لها في اللغات الأخرى كالاثيوبية أو العبرية أو اليونانية [173] .

وباستقراء النص القرآني نجد أن (كلمة الحواريين) ذكرت في مواضع مثلا في سورة آل عمران [174] ورد ذكرهم عندما كان المسيح عليه السلام يدعو الناس إلى الله . فآمن به من آمن ، وكفر به من كفر ، فقام هؤلاء الكفار بحبك المؤامرات والفتن مع الوالي الروماني ضده عليه السلام للقضاء عليه . فطلب النجدة ممن آمنوا به لمواصلة الوعظ والارشاد وتحمل الأمانة في نشر هذه الرسالة ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ .

---

(171) انظر الطبري في تفسيره ج 6 ص : 450، واجمل الاقوال وضبطها ابن الجوزي في زاد المسير ج 1، ص : 394، وذكر الرازي في تفسيره ج 7، ص :67 أقوالا في حقيقة هؤلاء الحواريين .

(172) تاج العروس مادة (ح و ر) مجلد 3 ص : 161 / البستاني ج 1، ص : 680 / الافصاح الجزء الثاني ص : 1266 .

(173) ردها إلى الاثيوبية : فريد وجدي في دائرة المعارف للقرن العشرين الجزء 3 ص : 137 من كلمة (حواريا) بنفس المعنى وحاول النجار في قصصه ص : 405 اشتقاقها من العبرية من كلمة (حبور) ومعناها تلميذ والجمع تلاميذ المسيح، ونقد صاحب المنار في الجزء 7 ص : 249 عن بعضهم أنها محرفة عن كلمة (حورى) اليونانية وأبطل هذا القول بالحجة .

(174) آية 52

كما ورد ذكر الحواريين في سورة الصف [175]﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ، قال الحواريّون نحن أنصار الله...﴾ فهم الذين آمنوا بعيسى ونصروه في الايمان والعمل ، يؤكد ذلك قوله تعالى في سورة المائدة [176]﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ...﴾ وكان ذلك في معرض ذكر النعم على عيسى عليه السلام .

وجاء ذكرهم في سورة المائدة ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾[177] أي أن الله جعل لعيسى ، أنصارا يأخذون بيده ، ويشدون أزره ، أولئك الذين هداهم الله إلى الايمان به وبعيسى على أنه رسوله ، فنطقوا بالايمان الذي وجدوه بقلوبهم حيث كان بقدرة الله وهدايته ، وشهدوا بأنهم مسلمون .

وفي سورة الصف [178] ورد ذكرهم في معرض العبرة والافتخار [179] بتلك الجماعة التي آمنت وصدقت حين نصرت عيسى عليه السلام ، ووقفت إلى جانبه في أحلك الظروف ، وأصعب الأوقات ، حين قامت قوى الشر ضد المسيح ، فكان هؤلاء هم القوة الدفاعية لمواصلة التبليغ والارشاد ، بما أوتوا من إيمان وقوة ، وكان لهم أثرهم الملموس الذي ذكره الله

(175) آية 14 .

(176) آية 111.

(177) الآية 111 من سورة المائدة .

ونقل ابن الجوزي في زاد المسير ج 2 ص : 455 في معنى «اوحيت ان بمعنى الالهام قاله الفراء 2 وقال السدى قذف في قلوبهم .

3 ــ وانه بمعنى الامر فتقديره امرت الحواريين و «الى» صله .

(178) الآية 14 من سورة الصف ونصها «ايا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » .

(179) قال الطبري في تفسيره ج 6 ص : 452 .

«... يعرف خلقه سبيل الذين رضي أقوالهم وأفعالهم للعبرة فيصلوا إلى درجتهم، ويكذب الذين انتحلوا الملل غير الحنيفة المسلمة، في دعواهم على أنبياء الله انهم كانوا على غيرها. ويحتج على الوفد الذين حاجوا رسول الله ﷺ من أهل نجران بأن قيل من رضي الله عنهم من اتباع عيسي كان خلاف قيلهم ومنهاجهم غير منهاجهم. وبه أخذ شلتوت في تفسيره (ص : 275) .

تعالى حين قال ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين﴾ .

وأما ما ورد في سورة « يسن » عن المرسلين إلى القرية ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾(180) فليس المقصود منها رسل عيسى عليه السلام من الحواريين ، كما نقل هذا بعض الكتاب (181) ، واكتفى به ولم يورد الراجح عند المفسرين من أن هؤلاء ليسوا من الحواريين (182) ، وإنما هم رسل بعثهم الله لأن القول بأن القرية المقصودة هنا هي انطاكيا ، والرسل هم الحواريون لا يستند إلى دليل من القرآن أو السنة . بل الحجة قائمة على أنهم رسل كبقية من أرسل الله إلى هداية خلقه . ولا يضيرنا أن نقول عنهم إنهم الحواريون لو دل القرآن على ذلك ، وقد ذكرنا بأن الحواريين هم مسلمون .

2 ـ الاسلام في لغة القرآن ليس إسما لدين خاص ، وإنما هو إسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه الاتباع (183) منذ

---

(180) الآية 12 والآية 32 .

(181) د. الحايك في كتابه المسيح في الاسلام ص : 107 حين قال .. ولكن القرآن يذكر حديثين في سورة يسن، وقد رأى فيه المفسرون الماحا إلى الحواريين، وهو صدى بعيد لرحلة بولس الرسول إلى انطاكية مقرونة الى قصة آغابوس ...

(182) قال الطبري في تفسيره ج 22 ص : 150 .

يقول تعالى ومثّل يا محمد لمشركي قومك مثلاأصحاب القرية إذ جاءها ـ وذكر انها انطاكية ـ المرسلون. واختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل وفيمن أرسلهم إلى أصحاب القرية .

1 ـ قال قتادة وعكرمة : كانوا رسل عيسى وعيسى الذي أرسلهم.

2 ـ قال ابن عباس وكعب ووهب : كانوا رسلا ارسلهم الله اليهم .

قال الطبري وبنحو الذي قلناه قال أهل التأويل، والذي قال بأنهم رسل الله. وكذلك قال ابن كثير في تفسيره ج 3 ص : 569 وذكر الادلة الواضحة على أنهم رسل الله .

(183) هكذا نرى نوحا يقول لقومه :

أ ـ «وأمرت أن أكون من المسلمين» يونس (72) .

ب ـ ويعقوب يوصي بنيه «فلا تموتن الا وأنتم مسلمون «البقرة اية 132.

ج ـ وأبناء يعقوب يجيبون أباهم «نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق آلها واحدا، ونحن له مسلمون» البقرة 133 .

د ـ وموسى يقول لقومه «ياقومي إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين» يونس (84)

هـ ـ والحواريون يقولون لعيسى «امنا بالله وأشهد بأنا مسلمون «آل عمران » 52 . =

أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية التي جمعت دين هؤلاء كاملا [184] كما أراد الله .

فالاسلام هو التوجه إلى الله ، « رب العالمين » في خضوع خالص لا يشوبه شرك ، وفي إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده تعالى على أي لسان ، وفي أي زمان أو مكان ، دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصي أو طائفي أو عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه ، أو بين رسول ورسول من رسله كما يقول القرآن [185] .

فموسى هو رسول الله ، أنزل عليه كتاب التوراة ودعا إلى التوحيد والصلاح ، والأخلاق الفاضلة [186] ، وعندما تاه قومه وضلوا من بعده.. أرسل الله عيسى معيدا سيرة موسى عليه السلام ، وما كان يعلم به من التوراة التي ضاعت وحرفت على مر الأيام . ومؤيدا بكتاب آخر من عند الله هو الانجيل وهذا فيه التوحيد والصلاح [187] والأخلاق الفاضلة .

= و ـــ وقال فريق من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن «قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين» القصص 53 .

(184) كما قال تعالى : «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه «الشورى 13

(185) كما قال تعالى :

أ ـــ «وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» البينة 5

ب ـــ «قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن لهم مسلمون» البقرة 136 .

ج ـــ «وان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون» الانبياء 92 .

(186) جاء في سفر الخروج الاصحاح (20) فقرة (2 / 16) «انا الرب إلهك لايكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تضع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت، وما من الماء من تحت الارض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن .. اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب إلهك، لاتقتل، لا تزني، لا تسرق، لاتشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك .

(187) قال متى الاصحاح (5) فقرة 17 «لاتظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الانبياء، ما جئت لانقض بل لاكمل» وفي يوحنا الاصحاح 6 فقرة 38 «ما اتيت لاصنع مشيئتي بل مشيئة من ارسلني» وفي يوحنا ص 8 فقرة 40 «وانا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله وفي متى ص : 19 ف 18» ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، لاتقتل، لاتزنى، لا تسرق لا تشهد الزور، اكرم اباك وامك احب قريبك كنفسك» وهذا عند مرقس ص : 10، ف : 19

فالاسلام نطق به كل نبي ، وهو دين كل رسول ، بل ومن تبعه . والحواريون أتباع وأنصار عيسى عليه السلام ، ولذلك نطقوا بأن دينهم هو الاسلام .

ثم جاء محمد عليه السلام من بعد أن طرأ ما طرأ على تعاليم المسيح من زيادات ، وضياع الحقائق بقصد ــ من الأعداء ــ أو بغير قصد ــ بسبب الجهل ــ كذلك ، يدعو إلى التوحيد [188] الذي دعا إليه موسى وعيسى من قبل ويبين تلك الحقائق التي كانت ، وذلك كله ليس من عنده ، بل من عند الله الأول والآخر .

وبذلك يظهر لنا أن الحواريين هم تلك الجماعة التي آمنت بعيسى عليه السلام ووقفت إلى جانبه لنشر دعوته في بني إسرائيل كما يصور ذلك القرآن ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله...﴾ [189] . ثم شهدوا عن أنفسهم بالاسلام ، ولم يشهدوا بالنصرانية أو اليهودية كما قال تعالى :﴿ ...واشهد بأنّا مسلمون ﴾ [190] . وذهب الطبري إلى أن هذا خبر من الله عز وجل بأن الاسلام دين الله انبعث به عيسى والأنبياء من قبله ، لا النصرانية ولا اليهودية ، وتبرئة لعيسى ممن انتحل النصرانية ، ودان بها كما برأ سبحانه ابراهيم من الأديان غير الاسلام ﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ﴾ وكان سبب هذا البيان هو احتجاج الله تعالى ذكره لنبيه محمد عليه السلام على وفد نجران .

(188) قال تعالى : «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» الشورى (13) .
«آمن الرسول بما انزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله» البقرة (285) .

(189) سورة آل عمران، آية 52.

(190) المقصود بالاسلام دين الانبياء هنا هو أن العقائد واحدة وان اختلفت الشرائع المطلوبة من كل نبي، فأصول الدين واحدة عند كل الانبياء والرسل والشرائع مختلفة لأنها تشريع متعلق بالزمان والمكان بما يتناسب ومصالح الناس الى أن جاء محمد عليه السلام واستقرت الأصول والشرائع الى يوم القيامة .

الفصل الثالث

التآمر اليهودي على المسيح

ـــ المبحث الأول : أساليب التآمر اليهودي على المسيح .
ـــ اليهود والصلب .
ـــ الصلب من التوراة والانجيل .

المبحث الأول

أساليب التآمر اليهودي على المسيح

قرآن كريم

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾

سورة البقرة آية 87 .

﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ .

سورة البقرة آية 113 .

﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا ، وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾

سورة آل عمران آية 102/98 .

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلا﴾

سورة النساء آية 171 .

﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم﴾

سورة الزخرف آية 65/63 .

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين . ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ، ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾

سورة آل عمران آية 58/54 .

ـــ المواجهة اليهودية :

سبق الحديث عن الحالة العامة [191] لليهود قبل مجيء عيسى عليه السلام بالرسالة وما كان يسودها من فوضى واضطراب ، وانتظار الناس للسيد المخلص الذي تحدثت عنه نبوات العهد القديم .

وفي الوقت الذي أعلن فيه السيد المسيح رسالته قال تعالى ﴿ولما جاء عيسى بالبينات ، قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون﴾ في هذا الوقت بدأت مواجهة اليهود له ، وانكروا أن يكون هو المسيح المنتظر ، خوفا على مكانتهم وسيادتهم وبخاصة الفريسيين والكتبة ورؤساء الهيكل .

واتخذت المواجهة للمسيح عليه السلام أسلوبين : الأول أسلوب الدس والخديعة والثاني أسلوب المواجهة الفعلية .

1 ـــ أسلوب الدس والخديعة :

تفتت المواجهة في هذا الأسلوب ، وسلكت فيه مسالك متعددة نذكر منها :

أ ـــ مسالك المجادلات الدينية والمخاصمات الكلامية .

عرف عن بني اسرائيل أنه من طبعهم الجدل والمماراة في قبول الحق كقصة ذبح البقرة وقصة طلبهم من نبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله لاظهار الرسول بمظهر العاجز عن مقارعة حججهم ، حتى يتشكك المؤمنون في صدق نبيهم ويرجعوا عن إيمانهم الذي هداهم الله إليه .

وقد وردت هاتان القصتان في القرآن الكريم ، وسأكتفي بإيراد قصة البقرة كصورة من الصور التي تدل على طبع اليهود في الجدل والمماراة . قال تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا

---

(191) انظر الحالة العامة قبل المبعث / الفصل السابق .

هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون ، قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث ، مسلمة لا شيء فيها ، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفسا فادارئتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾ [192] .

وقد جاء في كتب الاناجيل ما يؤكد اتباع مثل هذا المسلك مع عيسى عليه السلام ، نذكر منها على سبيل المثال :

ما ورد في انجيل لوقا الاصحاح 5 فقرة 27 ــ 32 والاصحاح 15 من الفقرة 1 ــ 2 وفي انجيل مرقس من الاصحاح 2 فقرة 17/13 وفي انجيل متى الاصحاح 9 فقرة 13 والاصحاح 12 فقرة 7 .

وكان الحديث في هذه الفقرات عن تشكيك اليهود في رسالة عيسى عليه السلام ، وسأكتفي بذكر مثالين من هذه الفقرات ،

1 ــ ما جاء في انجيل لوقا الاصحاح 5 الفقرة 32/27 « وخرج بعد ذلك فرأى عشارا اسمه لاوي جالسا عند المائدة الجباية ، فقال اتبعني فترك كل شيء وقام وتبعه ، وصنع له لاوي مأدبة عظيمة في بيته وكان هناك جمع كثير من العشارين وغيرهم متكئين معهم ، فتذمر الفريسيون وكتبتهم على تلاميذه قائلين لماذا تأكلون وتشربون مع العشارين والخطأة . فأجاب

(192) الآيات 67 / 74 والقصة الثانية الآيات 246 من سورة البقرة.

يسوع وقال لهم لا يحتاج المتعافون إلى طبيب ، لكن ذووا الأسقام . اني لم آت لادعو صدقين بل خطأة إلى التوبة » .

2 ـــ وما روته الأناجيل في تشكيك اليهود حينما كان عيسى يشفي المرضى مثلا ذكر لوقا في ص 5 ف (26/18) .« ... وإذا برجال يحملون مخلعا على سرير وكانوا يلتمسون ان يدخلوا به ويضعوه أمامه . ولذا لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع صعودا به إلى السطح ودلوه من بين اللبن مع سريره إلى الوسط قدام يسوع . فلما رأى إيمانهم قال يا رجل مغفورة لك خطاياك فجعل الكتبة الفريسيون يفكرون ويقولون : من هذا الذي يتكلم ؟ بالتجيديف من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ، فعلم يسوع أفكارهم ، فأجاب وقال لهم بماذا تفكرون في قلوبكم . ما الأيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامشي . ولكن لكي تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا ، ثم قال للمخلع لك أقول قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك وفي الحال قام قدامهم وحمل السرير الذي كان مضطجعا عليه ومضى إلى بيته ممجدا الله .

وكررت هذه القصة عند مرقس ص 2 (12/11) متى ص (9) ، (8/2) .

ومثل هذا حصل كثيرا في التشكيك بمعجزات المسيح ، انظر

(1) لوقا ص : 5 ، (39/23) ، مرقس ص : 2 ، (22/18) ، متى ص (9) (17/14) .

(2) لوقا ص (6) (5/1) ، مرقس ص (2) (28/23) متى ص (12) (8/1) .

(3) لوقا ص (6) (10/6) و ص (14) (3) ، مرقس ص (3) (5/1) ، متى ص (12) (13/1) .

ب ــ مسلك اثارة الفتن بين المؤمنين :

حاول اليهود أن يفتنوا الناس عن عيسى عليه السلام عندما صاروا يلصقون به ادعاء الألوهية أو النبوة أي أنه يدعي مرة أنه آله وأخرى انه ابن الآله ، ومما جاء في ذلك في الأناجيل .

ورد في فصل 92 الاصحاح 14 من انجيل برنابا أنه حينما كان المسيح خارجا يدعو إلى الله رآه أحد الذين يؤمنون بأنه آله فصرخ « إن آلهنا آت واثار الذين في المدينة قائلا : إن آلهنا آت يا أورشليم يهيأ لقبوله فخرج الناس وخرج الحاكم ورئيس الكهنة وأرسلا رسولا إلى هيرودس فخرج أيضا ليرى يسوع...فلما عرفوه أخذوا يسجدون له...فتنفس يسوع الصعداء وقال : انصرفوا عني أيها المجانين لأني أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعني وإياكم لكلامكم الممقوت...وجاء من بعيد الوالي ورئيس الكهنة ــ فصل 93 ــ فتقدم المسيح من رئيس الكهنة الذي أراد أن يسجد له فصرخ يسوع قائلا (حذاري ما أنت فاعل يا كاهن الله الحي ، لا تخطىء إلى الله .

وهنا يظهر خبث رئيس الكهنة وتدبيره للمؤامرة حين قال « إن اليهودية اضطربت لآياتك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله فاضطررت بسبب الشعب إلا أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس فنرجوك من قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك لأن فريقا يقول إنك الله وآخر يقول إنك ابن الله وثالث يقول إنك نبي .»

فكان جواب النبوة التي عرفت الحيك والدس « وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة ؟ هل جننت أنت أيضا ؟ هل أمست النبوات وشريعة الله نسيا منسيا ؟ أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان » .

ولم يترك المسيح الأمر بدون رد واضح للجميع فوقف معلنا تنصله من كل هذه التهم كاشفا الحقائق على ماهيتها حيث قال في فصل (94) .

« إني أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني أني أعظم من بشر ، لأني بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام . لعمر الله الذي تقف نفسي بحضرته أنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته ، ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة .

أما التهكم فيظهر ثانية حين رد الكاهن : « ليغفر الله لنا ، أما أنت فصلي لأجلنا » .

وهذا الوالي يتعامى عن الفهم لما قال عيسى حين قال : « يا سيد ، إنه من المحال أن يفعل بشر ما أنت تفعله ، فلذلك لا نفقة ما تقول » .

فرد عيسى على الوالي وهيرودوس بالآيات التي كانت لموسى وغيره من الأنبياء ، والكل يعترف بأن موسى رجل ميت وأنتم باعتباركم أجانب عن شريعتنا لا تعرفون هذه الحقائق فاقرأوها من العهد والميثاق .

فطلب الوالي وهيرودوس من المسيح أن يخمد الناس فاعتلى مكانا مرتفعا وقال : ليصعد كاهننا إلى محل مرتفع ويقرر كلامي ، فصعد الكاهن وبدأ عيسى يتلو أسس رسالته والكاهن يؤكد قوله فكان مما قاله عيسى ف (95) « قد كتب في عهد الله الحي وميثاقه أن ليس لإلهنا بداية ولا تكون له نهاية » فقال الكاهن :« لقد كتب هكذا هناك » ، قال يسوع : « إنه كتب هناك أن إلهنا قد برأ كل شيء بكلمته فقط » فأجابه الكاهن أنه لكذلك ، فقال يسوع :« إنه مكتوب هناك أن الله لا يرى وأنه محجوب عن عقل الانسان لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير .»

فقال الكاهن : « إنه كذلك حقا ... الخ .«

وعندما انتهى عيسى من كلامه وقف الكاهن الخبيث يقول بعد انفضاض القضية « قف يا يسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكينا لأمتنا »

فالفتنة تنتهي والكاهن يذكي نارها من جديد ، وما الذي قاله قبل قليل من أنه بشر عادي كبقية البشر لا يقدر على خلق ذبابة .

ومع ذلك يجيبه يسوع قائلا : « إن يسوع ابن مريم من نسل داود بشر مائت ، ويخاف الله ، واطلب أن لا يعطى الاكرام والمجد إلا لله » .

ولكنه الحقد الذي يغلي في قلب الكاهن ، والتدبير المتقن عاد يسأله عن مسيا المنتظر في التوراة هل هو أنت ؟

فيجيبه « حقا إن الله وعد بذلك ولكنك لست هو ، لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي » ، واستمرت المناقشات والسخريات حيث كانت كلها في سبيل النيل من عيسى عليه السلام . وما ذكرته مجرد مثل فقط وإذا أردت أن تزداد . فانظر فصل 128 و 155 و 156 و 157 .

وفي فصل (159) يصرح المسيح بعداء الكهنة والفريسيين « وكم أفسدوا بتقليدهم كتاب موسى وكتاب داوود نبي الله وخليله ، وإنهم لهذا يكرهونني ويودون موتي » ، وفي فصل (201) محاولة اسقاط المسيح في كلامه .

وعندما عجزوا بخططهم السليمة هذه عن النيل من سلامة عيسى عمدوا إلى التدبير الفعلي بأنه يطلب الرئاسة والسلطان من الحكام الرومان .

فحاولوا كما يقول رينان أن يجعلوه يتدخل في السياسة لاقامة الحجة عليه حين سألوه عن دفع الجزية في مرة من المرات ، فقال لهم :«أروني أولا النقود » ، فأروه دينارا فسألهم لمن هذه الصورة وهذه الكتابة اللتان على الدينار فأجابوه أنها لقيصر ، فقال السيد « إذن اعطوا ما لقيصر لقيصر وما

لله لله » [193] وقد سلك اليهود نفس المسالك مع رسول الله محمد (ﷺ) عندما حاولوا الايقاع بينه وبين المسلمين [194] .

2 ـــ المواجهة الفعلية :

عندما كان اليهود ـــ ولا يزالون ـــ يعجزون عن الوصول إلى أهدافهم بالطرق الملتوية والسياسة الخداعة ، كانوا يلجأون إلى المواجهة الفعلية ، وهذا ما فعلوه مع الرسل والأنبياء والأتباع [195] ﴿...أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾[196] .

فقد واجهوا عيسى عليه السلام ، حين لفقوا عليه تهمة طلبه الملك من أيدي الرومان ، حتى تكون العقوبة المعروفة وهي الصلب .

وقد تعرضت لهذه المؤامرة كتب الأناجيل الأربعة حيث لفقت التهمة وأمر بالقبض على المسيح ، وتآمر يهوذا على إيصالهم به وتسليمه للشرطة وما كان من إشارة قيافا بقتل المسيح لنجاة شعب برمته . وذكر م . ج . لاكرانج الدومنيكي في كتابه إنجيل يسوع المسيح ص : 462 « ولم يكن مسموحا بأن تفتح ليلا جلسة محاكمة تختم بالحكم بالموت ولذا لم يصبغ هذا الاجتماع بصبغة رسمية ، فقد كان عبارة عن جماعة متطوعة من أعضاء المحفل الأكبر لجعل الدعوة صالحة للحكم . »

ولم يكتف رئيس المحكمة بالتهمة الموجهة إلى المسيح بل من اللازم وجود حجج تؤثر في القسم الأكبر نفوذا بالمجتمع وهم الفريسيون أي شكاوي في باب التعليم الديني [197]

---

(193) انظر مجلة الجامعة سنة 1901 ص : 309.
(194) انظر تفصيل ذلك عند : محمد سعيد طنطاوي : بنو اسرائيل في القرآن والسنة .
(195) سنفرد حديثا خاصا عن مؤامراتهم ضد المسيح فيما بعد.
(196) الآية 87 من سورة البقرة .
(197) نقلا عن مجلة الجامعة سنة 1951، ص : 309.

والمؤامرة مرتبة في سيرها ذكرتها الأناجيل فإليك هذه الفصول التي وردت بها :

أ ـــ نهاية المسيح لوقا فصل (22) ف (53/47) مرقس ف 14 من (52/43) متى ف (26) من (56/47) يوحنا ف (18) من (11/2) .

ب ـــ يسوع يقاد إلى حنانا ، يوحنا ف (18) من (13/12) و (24) .

يسوع عند قيافا لوقا فصل (22) من (62/54) ، مرقس فصل (14) من (54/53) ، ومن (72/66) . متى فصل (26) من (58/57) و (69) و (75) . يوحنا ف 18 من (27/14) .

ج ـــ الحكم عليه بالموت لوقا ق (22) من (71/66) ، مرقس فصل (15) من (2/1) ، وفصل (14) من (64/55) ، متى ف (27) من (16/1) و ف (26) من (66/59) .

انجيل برنابا :

فصل (210) و (211) .

وأشار إلى هذه المؤامرة (رينان) حيث قال : وما كان هم أعدائه إلا أن يتدخل في السياسة لتكون لهم الحجة في الدس به إلى الوالي الروماني .

ورغم ذلك فقد فشلوا في الوصول إلى الهدف الذي أرادوه ، من صلب عيسى عليه السلام كما ذكر لنا القرآن ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [198] .

وكان مكر الله بهم أنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم وتركهم في ظلمات يعمهون ، يعتقدون أنهم ظفروا بطلبتهم وأسكن في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازما لهم ، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم القيامة [199] .

---

(198) الآية 54 من سورة آل عمران .

(199) تفسير ابن كثير ج 1 ص : 365.

وهكذا كانت البشرى الإلهية لعيسى بتأكيد النجاة من كيد الأعداء حين قال تعالى ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا...﴾ (200) .

فهذا اخبار من الله بأنه مميتك ، ورافعك من بين هؤلاء المتآمرين حتى تتحقق لك الطهارة منهم ، ومما دبروا لك فلا تحسب أنهم سينالون منك ، ولن يكونوا سببا في انتهاء أجلك كما دبروا وحاكوا بل هو أجلك قد انتهى ، وآن الأوان لأن تلتحق بالرفيق الأعلى .

وزاده الله في البشرى ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ (201) ، أي وجاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الاسلام وفطرته ، فوق الذين جحدوا نبوتك ، وخالفوا سبيلهم من جميع أهل الملل ، فكذبوا بما جئت به ، وصدوا عن الاقرار به .

ويختم تعالى الحديث بأن موعدنا يوم القيامة حيث تظهر الحقائق وتتضح الأمور ﴿...ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ (202) .

﴿فمن كفر في عيسى وخالفه فمصيره معروف فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ (203) .

---

(200) الآية 55 من سورة آل عمران .
(201) الآية 55 من سورة آل عمران .
(202) وانظر تفسير الطبري ج 6 ص : 462 وسيد قطب في «ظلال القرآن» ج 3 من المجلد الاول ص 596.
(203) تمام الآية 55 من سورة آل عمران .
(204) الآيات 56، 57 من سورة آل عمران .

ومن آمن وعمل صالحا ﴿...فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ [204] أي أن هذه الحقائق التي ذكرناها لك يا محمد عن عيسى وأمه وامها وزكريا ويحيى والحواريين إنما هي على لسان جبريل حجج لك على من غيّر وبدل في حقيقة عيسى وتعاليمه عليه السلام .

المبحث الثالث

اليهود والصلب ورد في القرآن

قرآن كريم

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات ، فعفونا عن ذلك ، وآتينا موسى سلطانا مبينا . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لا تعَدّوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهمُ إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، وما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزا حكيما ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليه شهيدا﴾ .

سورة النساء آية 159/158

1 ــ دعوى اليهود بالصلب ورد القرآن لهما :

أ ــ دعوى اليهود بالصلب

ذكر القرآن دعوى اليهود بقتل عيسى وصلبه ، في معرض الوصف لتاريخ اليهود مع الرسل والأنبياء ، حينما طلبوا من رسوله أن ينزل عليهم كتابا من السماء . فكان الرد الإلهي بأن هؤلاء لم يطلبوا هذا الطلب بكرا بل طلبوه من موسى عليه السلام ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم...﴾ (205) ﴿ثم ذكرهم بعبادة العجل ، ونقضهم الميثاق وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وافترائهم على مريم ابنة عمران ، وأكثر من هذا كله قالوا إنا قتلنا المسيح ابن مريم ...﴾

وعندما جاء الحديث عن عيسى ذكر ادعاءهم بقتله وصلبه وإنه في الحقيقة لم يقع ذلك لعيسى رغم هذه الصفات التي كانت بهم ، ورغم أنهم قتلوا الأنبياء ، إلا أن عيسى لم يقتلوه ولم يصلبوه حيث اشتبه عليهم الأمر ، فهم حينما يذكرون هذا القتل والصلب مرادهم التهكم والاستهزاء من عيسى وأتباعه ، ولكن القرآن ذكر هذا مجرد خبر يبهت اليهود ويفجعهم ، ويملأ قلوبهم حسرة وكمدا .

فهذا الاعتراف منهم يقضي عليهم بتبعة هذه الجريمة (206) وإن وقعت على غير المسيح ، فهم قاموا بالجريمة وقد اعترفوا بأنفسهم بدون شهود ، ووصفوا هذا المقتول « ...المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » فهم أهل الجريمة ، ويستحقون العقاب وإن كان الله قد سلم عيسى من كيدهم ومؤامرتهم ، فكان ذكر الصلب غاية في التهكم والتشنيع ليزدادوا ألما وفجيعا ...

---

(205) الآية 152 من سورة النساء، وانظر ما يتبعها من الآيات حتى 157.

(206) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ج 2 ص : 242 ، وتبعه عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن، المجلد الاول ص : 979 .

ب ــ رد القرآن لهذه الدعوة :

ذكر القرآن نفيه للقتل والصلب [207] ، كما ادعت اليهود وشاع بين الناس ﴿...وما قتلوه وما صلبوه...﴾ ولكن الذي وقع هو الالتباس في هذا الصلب ﴿... ولكن شبه لهم ...﴾ ومثل هذا الشبه يحدث كثيرا في كل زمان وتحكى عنه نوادر ، وحوادث غاية في الغرابة لكنها وقعت فعلا [208] . منها :

1 ــ ما ذكره بعض المؤلفين في الطب الشرعي من الانجليز حادثة وقعت سنة 1539 في فرنسا استحضر فيها 150 شخصا لمعرفة شخص يدعى « مارتين جير » جزم أربعون منهم بأنه هو ، وقال خمسون إنه غير هو ، والباقون ترددوا ولم يمكنهم أن يبدوا رأيا . ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء المثبتون ، وعاش مع زوجته مارتين ، محوطا بأقاربه وأصحابه ومعارفه ثلاث سنوات وكلهم مصدق أنه مارتين ، ولما حكمت المحكمة عليه بظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى ، فأحضر ثلاثون شاهدا أقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة أنه غيره وتردد الباقون . [209]

2 ــ ما ذكره « ارشيبالد مول رامي » في كتابه « الحرب غير المسماة » (3) عن قصة التشبيه اليهودية للملكة ماري انطونيت قال : « كانت ماري انطونيت العقبة الكؤود ضد قيام الثورة الفرنسية فأنذروها بالموت مرارا إن هي لم تتخل عن وضع العقبات أمام المتآمرين ، ولكنها لم تصغ لهذه التهديدات فشرعوا في التجويع ولاسيما في باريس ، ولما ضاقت الحال بالناس أعلنوا بأن الملكة أوصت على شراء عقد بربع مليون جنيه وهذه دعاية قاتلة . كيف تشتري عقدا والجوع يهدد البلاد وسكتت الصحافة المأجورة عن إعلان رفض الملكة بشراء العقد أو علمها بطلب الشراء .

---

(207) انظر الآية 157 من سورة النساء .

(208) انظر تفسير المراغي، ج 6، ص : 13

(209) ترجم هذا الكتاب الى العربية صياح الروسان وطبع بالمطبعة الوطنية بعمان والقصة وردت في ص : 15

ثم دبرت لها مكيدة أخرى وهي : أنهم جاؤوا بإحدى وصيفاتها مستترة بلباس سيدتها وقالوا عنها إنها الملكة ، ورتبوا مقابلة بينها « الملكة المزيفة » وبين الكاردينال الأمير روهان بعد منتصف الليل وأذاعوا أن هذا اللقاء كان لينصح الكاردينال روهان الملكة بعدم شراء العقد ، فانتشرت هذه الفرية في الشعب انتشار النار في الهشيم .

أما الذين دبروا هذه المكيدة ، فكانوا يهودا يعملون في صناعة الجواهر من « بلرمو » ومن الغريب أن العقد بعد أن أدى مهمته أعيد إلى لندن ولم تره الملكة قط .

ثم ذكر القرآن عن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب [210] إنهم لفي تردد من حقيقة أمره . إذ ليس لهم به من علم قطعي الثبوت وإنما يتبعون الظن والقرائن التي ترجع بعض الآراء على بعض ، وقد جاء في بعض الأناجيل [211] التي يعولون عليها ، أنه قال لتلاميذه : « كلكم تشكون في هذه الليلة التي يطلب فيها للقتل فكان قوله تعالى ﴿ ..وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن..﴾

ثم ذكر تعالى يقين عدم القتل بعيسى [212] حين قال : ﴿..وما قتلوه يقينا﴾ أي وما قتلوا عيسى بن مريم حين الصلب وهم على يقين من أنه عيسى بنفسه ، والذي ورد في أناجيلهم [213] إن الذي أسلمه إلى الجنود هو يهوذا الاسخريوطي ، وقد جعل لهم علامة على أن من قبله يكون هو المسيح ، والأمر كان ليلا ، فهم لا يعرفون المسيح ، وإنجيل برنابا [214]

(210) انظر الرازي في تفسيره ج 11 ص : 101 .

(211) متى فصل 26 ف. 31 مرقس فصل 14 ف 27 .

(212) انظر الرازي في تفسيره ج 11، ص : 102 .

(213) انجيل متى فصل 26 فقرة 50.

(214) فصل 217 فقرة 80 و 81 «الحق اقول ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه يسوع، لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع، معتقدين ان يسوع

يصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الاسخريوطي نفسه ظنا أنه المسيح ، لأنه ألقى عليه شبهه .

وهكذا كانت نهاية عيسى عليه السلام ، أن تولى الله رفعه وسلمه من كيد أعدائه حين قال : ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾ .

أما هذا الرفع [215] كيف كان فذلك بحث لا فائدة فيه لأن أهم ما في الأمر أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما تدعي اليهود ، فالأمر بيده تعالى ، قادر على نجاته بأي شكل لا يعجزه ذلك ، ولو وقع القتل والصلب على عيسى نفسه فلا يضيره تعالى أن يذكر ذلك ، وقد ذكر أن بني اسرائيل قتلوا من قبله الرسل والأنبياء حين قال : ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم فريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾

واعلم أنه تعالى بعد أن ذكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وما قصدوه بعيسى من القتل ، وبين أن هذا المقصود قد فوت عليه ، وحصل لعيسى أعظم المناصب ، وأجمل المراتب ، بين تعالى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداوته لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به فقال : ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته ..﴾ [216] .

فاليهودي ، يعلم أنه رسول الله صادق برسالته ، والنصراني يعلم أنه عبد الله ورسوله وليس بإلّه وليس بابن الله ، ويوم القيامة يشهد عيسى

كان نبيا كاذبا وانه انما فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر. لان يسوع قال انه لا يموت الى وشك انقضاء العالم لانه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم»

(215) انظر تفسير الطبري 6/ 455 / وتفسير الرازي 7 / 71 ، وفتاوي شلتوت ص : 53/ وظلال القرآن لسيد قطب 3/ 595 .

(216) اختلف المفسرون في المقصود من الضمير «موته» هل هو الكتابي ام عيسى ؟ نقل هذه الاقوال ابن كثير في تفسيره ج 1 ص : 576 نجمل هذا الخلاف في :

أ ــ قال ابن جرير واولى هذه الاقوال بالصحة هو أنه لا يبقى احد من اهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام الا آمن به قبل موت عيسى .

ب ــ ان كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى او بمحمد عليهما السلام .

قال صاحب الكشاف :

والفائدة في اخبار الله تعالى بايمانهم بعيسى قبل موتهم انهم متى علموا انه لابد من الايمان به محالة

عليهم بما تظهر به حقيقة حاله منهم كما حكى الله عنه من قوله : ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم﴾(217) .

3 ــ الصلب من التوراة والانجيل :

أ ــ من التوراة :

ورد في إنجيل يوحنا ، « فتشوا الكتب ...وهي التي تشهد لي بهذا » (218) ، يعني أن هذه الكتب تنبأت عنه عليه السلام ، فإذا نظرنا إلى التوراة مثلا نجد أن المزامير (الزبر) (219) قد ورد فيها ما سيكون للمسيح من المؤامرات للقتل والصلب ، كما ورد أن الله سيخلصه وسيقع الشبه على الخائن الذي دل عليه وهو يهوذا الاسخريوطي ، وستكون النجاة لعيسى عليه السلام من كيد الأعداء .

فلان يؤمنوا به حال ما ينفعهم ذلك الايمان اولى من أن يؤمنوا به حال ما لاينفعهم ذلك الايمان .

قال الرازي :

واعلم أن كلمة «ان» بمعنى «ما» النافية كقوله (وان منكم الا واردها) فصار التقدير «وما احد من أهل الكتاب الا لمؤمنين به .

(217) سورة المائدة اية 117 .

(218) انجيل يوحنا فصل 5 فقرة 39 .

(219) تعرض لهذا البحث «منصور حسين عبد العزيز» في كتابه دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام، طبعة القاهرة سنة 1963 م سلك فيه على نهج كثير من الكتاب كما يقول ــ الذين بحثوا عن اسس يحتكم اليها كل من النصارى والمسلمين امثال «هودجكن» وكتابه المسيح في جميع الكتب « وكتاب (رب المجد) الجماعة من «اللاهوتيين» وكتاب هل تنبأت التوراة عن عيسى «للقمص «سيرجيويس» واليك بعض هذه المزامير (الزبر) التي تحدثت في هذا الموضوع :

1 ــ الايات التي ترمز الى دعاء المسيح :

مزمور 3 ف 7 ــ مزمور 4 ف 1 ــ مزمور 1 ف 3 ــ مزمور 6 ف 4 و 5 ــ مزمور 7 و 1 و 3 /5 و 8 /9 ــ مزمور 13 في 3/ 5 ــ مزمور 16 ف 1 ــ مزمور 17 ف 3/1 ــ مزمور 20 ف 1 /4 ــ مزمور 28 ف 1 / ــ مزمور 30 ف 8 /10 .

2 ــ الايات التي ترمز الى خلاص المسيح :

مزمور 3 ف 4 ــ مزمور 4 ف 2 و 3 ــ مزمور 5 ف 11 /12 ــ مزمور 6 ف 8 و 9 ــ مزمور 7 ف 7 ــ مزمور 9 ف 13 ــ مزمور 3 ف 5 و 6 ــ مزمور 16 ف 9 و 10 ــ مزمور 17 ف 6 ــ مزمور 18 ف 2 /19 ــ مزمور 18 ف 43/ 46 و 50 .

ب ـ الصلب في الانجيل :

لقد ذكرت الأناجيل [220] المؤامرة التي حيكت لعيسى عليه السلام وكيفية تنفيذ هذه المؤامرة ، إلا أنها لم تجمع على رواية متواترة تؤكد صلب عيسى نفسه بالاضافة إلى ما فيها من الاضطراب أو الالتباس في معرفة من هو المصلوب ؟ لأن الأناجيل اتفقت على أن علم النصارى في أمر الصلب قد انتهى إلى شخص واحد هو يهوذا الاسخريوطي . واما غيره من الأعداء فلم يكن يعرفه ، وانه وضع يده عليه ، وفي رواية قبله . ولم يقل بلسانه أنه هو ، وأن الوقت كان ليلا ، وأن عيسى نفسه قال لأصحابه كلكم تشكون في هذه الليلة . وأن تلاميذه كلهم هربوا فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما حصل له .

---

3 ـ الايات التي ترمز الى قبض يهوذا :
مزمور 5 ف 10 ـ مزمور 6 ف 10 ـ مزمور 7 ف 14/ 16 ـ مزمور 9 ف 5/4 و 16/15. مزمور 10 ف 3 ـ مزمور 17 ف 13 ـ مزمور 22 ف 18/1 .
وهذه مجرد امثلة فإذا اردت الزيادة فارجع الى الكتاب اعلاه الذي فصل في هذا الموضوع .

(220) انجيل لوقا، حيث يعتبر عندهم اصح وافصح واشد انسجاما من الاخرين .
فصل 21 فقرة 38/37 و 10/3.
ـ ـ 22 ـ ـ ـ 71/1
ـ ـ 23 ـ ـ ـ 56/1
ـ ـ 24 ـ ـ ـ 51/1
مرقص :
فصل 14 فقرة 65/43 .
ـ ـ 15 ـ ـ ـ 2/1 و 20 فقرة 64/55 .
متى :
فصل 22 فقرة 53/47 .
ـ ـ 26 ـ ـ ـ 68/57 .
ـ ـ 27 ـ ـ ـ 58/1 .
يوحنا :
فصل 18 فقرة 11/2 و 14 فقرة 28 ، و 38/33 .
ـ ـ 19 ـ ـ ـ 48/1 .
ـ ـ 20 ـ ـ ـ /29 .
ـ ـ 21 ـ ـ ـ 23/21 .

وقد علق بعض علماء الاسلام على هذه الروايات : نذكر منهم على سبيل المثال :

1 ــ القاضي عبد الجبار الهمذاني المتوفى سنة 415 هـ قال في كتابه « تثبيت دلائل النبوة » [221] موجزا بعد أن عرض لما ورد في الأناجيل عن هذه القضية (الصلب) قال : بأن « المصلوب حسب ما في الروايات هذه غير المسيح وأن يهوذا الذي دل على المطلوب جاء إلى اليهود وقال لهم : ماذا صنعتم بالرجل الذي أخذتموه أمس قالوا صلبناه فتعجب من ذلك واستبعد فقالوا له : قد فعلنا وإن أردت أن تعلم ذلك فسر إلى البطحة الفلانية ، فسار إلى هناك ، فلما رآه قال هذا دم بريء ، هذا دم زكي وشتم اليهود وأخرج الثلاثين درهما ورمى بها في وجوههم وصار إلى بيته فخنق نفسه ، راجع ذلك في :

ــ متى فصل 26 فقرة 14 و 15 و 16 .

ــ مرقص فصل 14 ، فقرة 10 ، 11 .

ــ لوقا فصل 22 ، فقرة 3 و 5 و 6 .

ــ يوحنا فصل 18 فقرة 1 و 8 .

وخرج بالنتائج التالية ص : 141 :

أ ــ إقرار اليهود والروم أنهم ما عرفوه .

ب ــ الذي دل عليه لو كان ظاهر العدالة لما عرف بخبره ولا بشهادته شيء .

ج ــ جزعه وقلقه وإنكاره ، ولو كان هو المسيح لأخبر بذلك ولقال : أنا هو الذي بشر بي الأنبياء ، وإنني كذا وكذا ، سيما والحاكم بينه وبين اليهود وملك الروم عداء ، وكان قد أقام الحجة عليهم ، هذا لو كان

اكتفيت بالاشارة الى هذه الفصول والفقرات من الاناجيل التي يمكن للقارىء ان يقرأها من مصدرها، ولم اذكرها هنا خوفا من الاطالة .

(221) ج 1، ص : 138 ــ 150

نبيا ، فكيف وهو عند النصارى إله فإن الأنبياء يبدأون الدعوة والحجة عند من لم يسأل ذلك فكيف بمن يسأل ويرغب إليه .

د ـــ قال يهوذا هذا دم بريء ، وبريء منهم ورد الدراهم ورجع إلى بيته وقتل نفسه ندما على ما كان منه .

2 ـــ ابن حزم الأندلسي المتوفي سنة 456 هـ قال في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » (222) . بايجاز :

أ ـــ إن المسيح لم ينقله قط كافة عن كافة ولم يصح الخبر ، وإذا نظرنا في القائلين فهم كثر من كثر حتى نصل بالناقل الأول لهذه الحادثة ، فهناك تتبدل الصفة ، وترجع إلى شرط مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل .

ب ـــ والنصارى مقرون بأنهم لم يقدموا على أخذه نهارا خوفا من العامة ، وإنما أخذوه ليلا عند افتراق الناس عن الفصح وأنه لم يبق في الخشبة إلا ست ساعات من النهار ، وأنه أنزل اثر ذلك وأنه لم يصلب إلا في مكان بعيد ، نازح عن المدينة في بستان فخار متملك للفخار ليس موضعا معروفا بصلب من يصلب ولا موقوفا لذلك .

ج ـــ وإنه بعد ذلك رشى الشرط على أن يقولوا إن أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك ، وإن مريم المجدلانية لم تقدم على حضور موضع صلبه بل كانت واقفة على بعد تنظر هذا كله بنص الانجيل متى فصل 18 من 15/13 ، ومتى 27 من 55 .

فبطل أن يكون صلبه منقولا بكافة ، بل بخبر يشهد ظاهره أنه مكتوم متواطأ عليه . وما كان الحواريون ليلتئذ بنص الانجيل إلا خائفين على أنفسهم غيبا عن ذلك المشهد هاربين بأرواحهم مستترين .

---

(222) ج 1 ص : 58 .

د ـــ وإن شمعون الصفا غرر ودخل دار قيقان الكاهن أيضا بضوء النهار فقال له أنت من أصحابه فجحد ، وخرج هاربا عن الدار فبطل أن ينقل خبر صلبه أحد تطيب النفس عليه ، على أن نظن به الصدق فكيف ينقله كافة ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ولكن شبه لهم﴾ إنما عنى تعالى ، أولئك الذين دبروا هذا الباطل وتواطأوا عليه ، وهم شبهوا على من قلدهم ، فأخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه ، كاذبون في ذلك ، عالمون أنهم كذبة .

3 ـــ القاسمي جمال الدين قال في تفسيره محاسن التأويل [223] عند تفسيره للآية ﴿..وما قتلوه وما صلبوه..﴾ من سورة النساء .

1 ـــ نقل النصوص الواردة في انجيل لوقا والتي تتعلق بحادث الصلب وأثبت تهافت ما رووه بالحجج الدامغة ومنها :

أ ـــ ما نقله عن « البرهان البقاعي في تفسيره » اتفقت أناجيلهم على أن علمهم في أمر الصلب قد رد إلى واحد وهو يهوذا الاسخريوطي وأما غيره من الاعلام فلم يكن يعرفه . وإنما وضع يده عليه ولم يقل بلسانه إنه هو وهذا لا يفيد غير الظن .

ب ـــ ما نقله عن خير الدين الألوسي في « الجواب الفسيح » الذي يرد الصلب بالعقل والنقل .

1) أما حجته العقلية فهي حجة القاضي الهمذاني كما ذكرنا وأما حجته النقلية فقد عرض لنا ما قد ورد في لوقا فصل 9 فقرة 32/28 وهو « ان المسيح صعد قبل الصلب إلى جبل الخليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا وبينما هو يصلي إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه وابيضت ثيابه وصارت تلمع كالبرق . وإذا موسى بن عمران وايليا قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظلتهم ، وأما الذين كانوا مع المسيح فوقع عليهم النوم فناموا ».

---

(223) ج 5، ص : 1669 .

وهذا من أوضح الدلالات على رفعه وحصول الشبه الذي به نقول ، إذ لا معنى لظهور موسى وايليا ووقوع النوم على أصحابه إلا رفعه .

ألا ترى أن اليهود كانوا يسمعون منه عليه السلام أن إيليا أتى ، فلما رفعوه على الخشبة كما في الأناجيل قالوا دعوه حتى نرى أن إيليا يأتي فيخلصه فصاروا في شك يريدون تحقيقه ، فإن أتى إيليا رفعه وخلصه ، وإلا فهو ليس المسيح كما في ظنهم ، فلما لم يأت ازدادوا ريبة في أمره .

2 ــ ثم ضرب أمثلة أخرى وتعرض إلى اختلاف الأناجيل في الروايات والمقاصد ، والاضطراب في حكاية هذه الواقعة ثم جاء بما ذكرناه عند ابن حزم من الصلب ليلا...الخ .

الباب الثاني

المسيحية بعد المسيح

ـــ الفصل الأول : اضطهاد المسيحية .
ـــ الفصل الثاني : أثر الفلسفة على المسيحية .
ـــ الفصل الثالث : المسيحية والسياسة .



الفصل الأول

اضطهاد المسيحية

ـ المبحث الأول : التآمر اليهودي الروماني.
ـ المبحث الثاني : نتائج الاضطهاد.
ـ المبحث الثالث : الأناجيل دراسة تاريخية.

المبحث الأول

التآمر اليهودي الروماني

1 ــ تاريخ التآمر اليهودي الروماني :

استمر اليهود على عدائهم الذي كان أيام عيسى عليه السلام لأتباعه وتعاليمه من بعده ، واشتد هذا العداء حينما رأوا أن المؤامرات التي حاكوها لم تفت من عزم حملة التعاليم التي قال بها عيسى ، فبدأوا يتصلون مع الوالي ويلصقون التهم إلى الأتباع بقصد إلقاء القبض عليهم للنتيجة المعروفة وهي القتل .

وتنفسوا الصعداء حينما تولى هيردوس الثاني (اغريبا) الولاية بعد أن أبعد بيلاطس [1] واغريبا هذا كان يهوديا يرى حق الحياة محصورا على شعبه المختار ، ولا يقبل معذرة آله اسرائيل بإيجاد شعوب إلا إذا كانت مستعبدة لاسرائيل ، بل هو غاضب على الاله نفسه لأنه لم يهدم بسرعة جدار الرسالة

(1) تاريخ ابن البطريق ص : 96.

التي جاء بها عيسى عليه السلام الذي اقضت مضجع اليهود وزعزعت أحوالهم [2] .

ولذلك قرر هيرودوس الثاني واليهود إقامة جمعية عرفت باسم « القوة الخفية » لمواجهة المسيحية والقضاء عليها وكان ذلك سنة 43 م [3] .

وكان يتزعم هذه الجماعة في بلاط هيرودوس زعيمان يهوديان هما « حيروم ابيود » و « موآب لاوي » وفي أول اجتماع خاطبهم هيرودوس قائلا : « إن الغاية من جمعيتنا هي إرجاع العالم إلى اليهودية ، وسحق تعاليم يسوع الذي سبب الانقلاب الروحي والسياسي عند الشعوب ، فيجب أن نجعل أول ضربة من ضرباتنا قاضية على من يتبع تعاليم الدجال » .

فأجابه « حيروم » : على المؤسسين بالدرجة الأولى أن يقوموا بقتل وصنع كل محرم في سبيل حفظ كيان الدين اليهودي ، وأن يبقى سر جمعيتنا محفوظا بيننا نحن التسعة ، وهو الاتحاد اليهودي .

وهكذا تم الاتفاق على ملاحقة أتباع المسيح مهما كانت صفتهم ، وحيثما كان وجودهم ، فكانت الاضطهادات والسجون وإلقاء التهم الكاذبة عليهم [4] قصد إيجاد المبرر للقضاء عليهم .

وكثر القتل واشتدت المعركة ، وشرع في الاضطهاد المنظم والمدروس والذي كان بموجب تشريع خاص صدر عن الامبراطور « نميرون » سنة 64 م [5] . بالاضافة إلى حركة اليهود الدائمة وعلى الخصوص بالسيطرة على الولاة والمسؤولين أولي الأمر والنهي مع التركيز دائما على خروج التعاليم المسيحية عن دين الدولة الرومانية ، وكان اليهود وراء المجازر التي حصلت عقب حريق « روما » عن طريق امرأة القيصر « بوبايا » ذات السلطة

---

(2) الماسونية أقدم الجمعيات السرية الماسونية منشئة ملك اسرائيل اوقفوا هذا السرطان ص : 25.

(3) اوقفوا هذا السرطان ص : 36.

(4) اميل الخوري حرب في كتابه مؤامرة اليهود على المسيحية ص : 34.

(5) د. أسد رستم في كتابه الروم ج 1 ص : 30.

المطلقة على زوجها والتي كانت لا ترد طلبا لشيوخ اليهود المقيمين في ظل حمايتها ، والتي قال عنها « اميل الخوري » [6] نصف اليهودية .

واستمر المسيحيون يعلنون دعوتهم ، لأنهم كانوا مستعدين لأن يبذلوا أرواحهم بسرور من أجل نشرها بين الناس [7] ، وبدأ بهم القتل والتعذيب وكان أول من قتل هو اسطفان سنة 33 م بمساعدة من شاؤول (بولس) ثم يعقوب أخو يوحنا بن زيدي بالسيف وحبس بطرس وحاولوا قتله ، ولكن الله نجاه وهرب إلى انطاكية وازداد القتل في المسيحيين بأعداد كثيرة [8] .

وطلبت الحكومة الرومانية من أصحاب العقائد أن يأتوها من حين لآخر يمجدون آلالهة ورئيس الدولة ، وبطبيعة الحال رفض المسيحيون الفكرة ، ورأوا في عبادة الامبراطور نوعا من الشرك وعبادة الأصنام واتفقوا فيما بينهم على رفض هذه الشعائر مهما ينالهم من الأذى [9] .

واستدلت الحكومة من هذا ، على أن المسيحية حركة متطرفة تعمل على قلب النظام القائم ، وكان المسيحيون يسخرون من آلهتهم ويظهرون الشماتة بها حين تحل الكوارث ، وتنبؤوا بسقوطها بعد زمن قليل .

ورد الوثنيون على هذا بأن سموا المسيحيين حثالة الناس « البرابرة الوقحين » أعداء الجنس البشري ، وقالوا إن الكوارث التي حلت بالامبراطور ليست إلا نتيجة غضب الآلهة الوثنية والسماح لمن يسبونها من المسيحيين بأن يبقوا على قيد الحياة .

وأخذ كل فريق يفتري على الآخر العديد من الافتراءات ، واتهم المسيحيون بأنهم سحرة متصلون بالشياطين ، يقترفون الخطايا سرا ويشربون دماء الآدميين في عيد الفصح ويعبدون الحمار .

---

(6) في كتابه مؤامرة اليهود على المسيحية ص : 33.
(7) ف. م. هيلر في كتابه مجمل تاريخ العالم ص : 62.
(8) تاريخ ابن البطريق ص : 94.
(9) ول ديورانت في قصة الحضارة، ج 3 من المجلد 3 ص : 370.

كما اتهموا ببذر الشقاق بين الأسر وتحريض أبناء الرومان وزوجاتهم على اعتناق الدين المسيحي ولذلك كان المسيحيون الذين يرفضون تقديم الولاء للأمبراطور يسجنون أو يجلدون أو ينفون ، أو يحكم عليهم بالعمل في المناجم أو بالاعدام على مختلف صنوف العذاب [10] . وهذا هو حصاد ما زرعه اليهود من بذار الفتن والتهم والمؤامرات على عيسى ورسالته وأتباعه من بعده ، على يد الرومان الوثنيين .

واستمر الاضطهاد المنظم يغذيه كفار اليهودية الحاقدين قرونا طويلة ، ولا يزال كما كشفت بروتوكولات حكماء صهيون . وذكر المؤرخون والباحثون [11] صورا كثيرة عن هذه الاضطهادات التي حلت بالمسيحيين ، فبين عامي (64 ــ 313) حلت بالنصارى عشرة اضطهادات منظمة عدا عما كان يقع من سقط الحساب ، وأساسها التشريع الذي صدر سنة 64 ميلادية بالقضاء على المسيح نهائيا . كما أشار أسد رستم .

وأشد ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد كان في عهد (نيرون) سنة 64 م و (تراجان) سنة 106 م ، « داسيوس » سنة 249 ــ 251 م ، الذي أكره جميع الناس في المدن والأرياف أن يمثلوا أمام رجال الشرطة في وقت محدد ، ليقدموا الذبيحة لشخص الأمبراطور .

ولاحق « فاليريانوس » (253 ــ 260) الزعماء المسيحيين والكهنة وأمرهم أن يقدموا الذبيحة للآلهة الوثنية وحرم على المسيحية الاجتماع وهددهم بالاعدام ، و « دقلديانوس » سنة 284 ــ 305 .

---

(10) ول ديورانت في قصة الحضارة ج 3 من المجلد (3) ص : 373.

(11) الطبري في تاريخه ج 2، ص : 741. تاريخ ابن البطريق ص : 94، المسعودي في التنبيه والاشراف ص : 106.
المقدس في البدء والتاريخ ج 3 ص : 125. تاريخ اليعقوبي مجلد الأول ص : 98. هارفي بورتر في النهج القويم في التاريخ القديم ص : 502. د. أسد رستم في الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ج 1، ص : 31.
أبو زهرة في محاضراته في النصرانية ص : 28.
توفيق الطويل في كتابه الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام.

فنيرون مثلا [12] الذي اتهم المسيحيين بحريق روما وانزل بهم صنوف العذاب والقتل وتفنن في ذلك حتى يروى عنه أنه كان يضع بعضهم في جلود الحيوانات ويطرحها للكلاب فتنتهشهم ، وصلب بعضهم ، وألبس البعض ثيابا مطلية بالقار ، وجعلهم مشاعل يستضاء بها وكان هو نفسه يسير على تلك المشاعل .

وذكر أبو زهرة [13] أن كتاب تاريخ الحضارة قد ذكر كل ما حصل بالمسيحيين من اضطهاد وتعذيب ، وذكر ما كان يصفه « بلين » والي تراجان في اسيا من تعذيب المسيحيين ، وأنه كان ينفذ العقوبة المعروفة بالاعدام على مجرد الأخبار التي كانت ترده ، وانه عدم امرأتين لأنهما من خدم الكنيسة فقط .

وعندما جاء « دايسيوس » رجت النصارى تخفيف الوطأة ولكنه كان أعظم ممن سبقه في البلاء عليهم ، وبدأ المسيحيون يهربون بدينهم إلى البراري والكهوف ، وأبعد كل مسيحي من خدمة الدولة ، مهما كان ذكاؤه ، وكلما ذكر مسيحي يؤتى به ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم ، وإذا رفض يكون هو الذبيحة .

وعن « دقلديانوس » حدث ولا حرج عن صنوف العذاب التي أوقعها حيث أمر بهدم الكنائس وإحراق الكتب والقبض على الأساقفة والرعاة وزجهم في غياهب السجن حتى اختلف في عدد الضحايا التي ذهبت في زمنه ما بين أربعين ومائة ألف إلى ثلاث مائة ألف . واستمر هذا البلاء حتى عهد قسطنطين الذي اعتنق المسيحية اعتناقا سياسيا على ما سنتبين من ذلك في الفصل المقبل !

---

(12) كان يعمل هذه الأعمال تحت سيطرة المرابين اليهود، وزاد ذلك حين تزوج «بوبيا» التي كانت أداة طيعة في يد جماعة المرابين واستطاعت أن تخضع الامبراطورية لنفوذهم، وأراد سنيكا المصلح المشهور (4 ق. م/65 م..فضح هذا الاتصال ولكنه قضى عليه قبل ذلك. حيث كان مربيا لنيورن ثم مستشاره الخاص. انظر الاميرال وليام غاي كار «أحجار على رقعة الشطرنج» ص : 53.

(13) محاضرات في النصرانية ص : 30.

إلا أن هذا لم يمنع اليهود من الاستمرار في اضطهاد المسيحيين ، أينما كانوا ، ففي سنة 608 م هجم يهود أنطاكية على المسيحيين وفتكوا بهم فتكا ذريعا وحرقوا جثثهم .

وفي سنة 614 م قام اليهود بذبح آلاف المسيحيين وحرق كنائسهم ، بقيادة بنيامين الطبراوي .

ثم جرت حوادث عديدة في أزمير ومصر والقيروان وقبرص ذهب ضحيتها آلاف المسيحيين ، هذا عدا الاغتيالات الفردية المستمرة عبر العصور [14] .

2 ــ شواهد قرآنية / أصحاب الكهف / أصحاب الأخدود :

الآيات التي ذكرت القصة :

أ ــ أهل الكهف :

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا . فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا . أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا . نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب

---

(14) انظر : اميل الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية ص : 34.
عبد الله التل : خطر اليهودية على المسيحية والاسلام ص : 72.

السماوات والأرض لن ندعو من دونه آلها لقد قلنا إذاً شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة من ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا . وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم كم لبثتم ، قالوا لبثنا يوما ، أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا . وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ، إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ، ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا . سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعدتهم ، ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراءا ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا . ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا . ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ، قل الله أعلم بما لبثوا له ، غيب السماوات والأرض ، أبصر به وأسمع ، ما لهم من دونه من ولي ، ولا يشرك في حكمه أحدا﴾ .
سورة الكهف آية 26/1 .

ب ـــ أصحاب الأخدود .

﴿والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .

وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض ، والله على كل شيء شهيد﴾

سورة البروج آية 9/1 .

2 ــ شواهد قرآنية :

أ ــ أصحاب الكهف

عندما فقد أتباع المسيح الطمأنينة على أنفسهم ودينهم [15] ، بدأوا يفرون إلى أمكنة يمكنهم فيها ممارسة العبادة ، مبتعدين عن عباد الوثن ومضايقتهم ، ومؤامرات اليهود الخبيثة والمستمرة عليهم عند الولاة بل والافراد المسيحيين .

ويعرض القرآن الكريم صورة في سورة الكهف [16] يظن أنها وقعت زمن « دقلديانوس » وإن كان لا يهمنا الملك أو الامبراطور الذي حدثت في عهده بقدر وقوعها حقيقة نتيجة الملاحقة والاضطهاد .

والذي يؤكد أنها حصلت مع اتباع المسيح عليه السلام ، هو النص القرآني الذي بدأ الحديث عمن قالوا اتخذ الله ولدا [17] ، افتراءا وبدون علم ، ثم مثل بأصحاب الكهف الذين بقوا على التوحيد ونفوا الولد عن الله سبحانه وتعالى رغم ما حصل لهم من أنواع العذاب والتشريد .

ــ قصتهم مع قومهم :

« إنهم فتية آمنوا بربهم » [18] قلوبهم عامرة بالايمان بالله الذي أرسل عيسى بالحق ، لا يعترفون بإله غيره ، فلا يؤمنون بما آمن اليهود ، ولا

---

(15) و. م هيلر في كتابه مجمل تاريخ العالم ص : 229 وكتاب الرهبنة القطبية، ص : 6.
(16) الآيات 26/9 من سورة الكهف / انظر تفسير ابن الجوزي ج 5، ص : 115.
(17) الآيات 54 من سورة الكهف.
(18) آية 12 من سورة الكهف.

يسيرون حسب رغبة الرومان ، وقد مر بنا أن « داسيوس » كان يأمر بالبحث عن النصارى فيأتي بهم ويأمرون بتقديم الذبيحة للصنم وإذا رفضوا كانوا هم الذبائح ...فهؤلاء الفتية قاموا في سبيل الله وقالوا : ربنا رب السماوات والأرض ، لن ندعو من دونه إلها آخر كما تفعل هذه الأمة الوثنية من عبادة هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع فإذا قلنا بهذا فهو الباطل الذي لم نؤمر به .

وتساءلوا عن هذه الآلهة التي عبدها قومهم من دون الله ، ما الدليل على أنها آلهة تنفع أو تضر ؟ إنهم يحاكمون أنفسهم ، وذلك من شدة القمع والاضطهاد الحاصل ، هل يبقون على إيمانهم أم يصنعون كما يصنع القوم ؟ [19]

ولكن فعل القوم هذا كفر وظلم ، وعبادة من دون الله والله الذي نعرفه غير هذه الأحجار والأوثان التي تعبد ...ثم إذا كنا وافقنا القوم ما الحل والنتيجة ؟ إنه الافتراء على الله والكذب أن تعبد هذه الحجارة من دون الله ، فلابد من حل للأزمة لأن النتيجة معروفة بين أمرين .

﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم﴾ وإذا حصلت العودة إلى ما هم عليه فما الموقف عند الله ...إنها الخسارة « ...ولن تفلحوا إذا أبدا » [20] .

وهذه صورة جلية من شدة الاضطهاد ، وقوة التضييق على الموحدين ، وإفراط في البحث عنهم ، وقد صمم القوم على الخلاص منهم نهائيا ...

ولكن الله له في خلقه شؤون ، حيث هدى هؤلاء الفتية إلى اعتزال

(19) الآيات 14، 15 من سورة الكهف.
(20) آية 20 من سورة الكهف.

القوم [21] والفرار بدينهم لغاية أرادها تعالى . فذهبوا إلى الكهف ينشدون السلامة ، وحسن العبادة متوكلين على الله الذي من أجله خرجوا وهناك كان رقادهم الذي أراده الله [22] .

ب ــ أصحاب الأخدود [23] .

هي قصة الاضطهاد الديني بين اليهودية والمسيحية ، فقد كان في نجران قوم من العرب اعتنقوا الدين المسيحي بتأثير من الاحتكاك والغزو الحبشي ، واعتنق قسم كبير من السلالات اليمنية الدين اليهودي وخاصة في عهد « ذي نواس » وقويت شوكة هذه الأسر حتى قامت باعتداء على أهالي نجران وقتلتهم وهدمت كنائسهم . وكان نوع القتل الذي حل بهم هو حفر أخاديد في الطرقات ، ثم أوقدوا فيها النيران وكانوا يأتون بالمسيحي فإما أن يغير دينه ويدخل اليهودية وإما أن يحرق في الأخدود .

وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة البروج [24] ، حين قال تعالى : ﴿والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ .

أما سبب هذا البلاء العظيم الذي حل بهم فهو إيمانهم بالله كما ذكرت الآيات التالية : ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ،

---

(21) آية 16 من سورة الكهف. (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فاؤوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا) انظر تفسير ابن الجوزي ج 5 ص : 116.

(22) اقتصرت على ذكر المشاهد بالقصة ولم أتعرض لذكره هنا بتمامها خوفا من الاطالة، والشاهد هو أنها كانت نتيجة الاضطهاد والتعذيب والملاحظة الوثنية.
وقد اكتشف الكهف حقيقة في الاردن بالقرب من مدينة سحاب طبقا لحديث القرآن الكريم، وألف الأستاذ وفا الدجاني، مدير الآثار، كتابا في الموضوع سماه «كهف أهل الكهف».

(23) اختلف المفسرون في حقيقة المضطهد لهؤلاء واتفقوا على أنهم مؤمنون عذبوا لردهم عن دينهم دين التوحيد كما ورد في النص القرآني. ونقل ابن كثير عن ابن اسحاق أنهم كانوا قوما في زمان الفترة أي قبل محمد عليه السلام. انظر الطبري في تفسيره ج 30 ص : 134. وابن كثير في تفسيره ج 7 ص : 260.

(24) الآيات 9/1.

الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ [25] .

وعندما فشل اليهود في محاولاتهم إبادة المسيحيين لجأوا إلى طرق أخرى من الحرب الباردة — كما أشرنا — فرأوا أن يحقروا المسيحية ويطعنوا بها أمام المعجبين بتعاليمها فكان وضع التلمود وبعض الكتب الأخرى .

3 — المحاولات السياسية :

أ — التلمود :

وضع اليهود أول لائحة قانونية لأنفسهم بعد التوراة جمعها « يهوذا هاناسي » فيما بين 190 — 200 م تسمى « المشنا » ومعناها الشريعة ، وقد زيد على هذه اللائحة شروحات كان تأليفها في فلسطين وبابل ، ثم علق على اليهود حواشي كثيرة على المشنا دعوها باسم « الجمارا » ومعناها « الاكمال » [26] .

والمشنا خلاصة القانون الشفوي الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين ، ونشطت حركتهم بعد ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ، مما أدى أخيرا إلى تسجيل المبادىء الهدامة التي قامت عليها دعوة الفريسيين والتي استنكرها المسيح عليه السلام .

والمشنا مع شروحاتها يطلق عليها التلمود حيث يعتبره اليهود تتمة للعهد القديم وهو بطبيعة الحال يتكلم عن أحوال المسيح والمسيحية والكنيسة والأسرار والطقوس ، وأشياء تتعلق بمسلك اليهود بحياة النصارى .

فقد قال أحد أئمة المسيحية « ألس » في دفاعه عن الايمان المسيحي : إن نظرة التلموذ إلى المسيح حقا مؤسفة ، إن المشنا السفيهة

---

(25) سورة البروج، الآيات 1 — 9.

(26) خطر اليهودية على المسيحية والاسلام ص : 69، مؤامرة اليهود على المسيحية ص : 65، بولس حنا سعد في : همجية التعليم اليهودية، أسعد زروق : التلمود والصهيونية، ظفي الاسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه.

التي وجدناها في غير مكان ترتع في التلمود كأنها في دارها ولادة المسيح غير الشرعية ، والاهانات لوالدته ، واستعماله للسحر ، وهو خارج عن الايمان ومحروم وخاطيء ومسير الجماهير إلى الخطيئة ، ومختلس لاسم «يهوه» المبارك من قدس أقداس الهيكل لينعم بالحياة الهانئة ويعاقب في جهنم إلى الأبد وسط الأقدار الغائرة .

وفي التلمود عبارات قذرة بحق الكنيسة والقديسين والاسرار والاحتفالات وفي التلمود أيضا صلاة يتلوها اليهود في اليوم ثلاث مرات ، ادرجت في صلبه حوالي السنة الثمانين بعد المسيح ، ليهلك النصارى وعبدة الأصنام في لحظة ، ليخفف اسمهم من كتاب الحياة وليحبسنهم الرب في عداد غير الصالحين .

ويتباهى اليهود بهذه المسبات والاهانات حتى أن « لوب اليهودي » يتعجب لأن التلمود ليس فيه من المذمات أكثر مما فيه .

هذا بالاضافة إلى المجلدات المتنوعة الأبحاث والمواضيع التي تطعن بالمسيح والمسيحية والقديسين والكنيسة والاسرار طعنا مبرحا وعد « الخوري حرب » [27] منها الأناجيل المزيفة التي وضعها اليهود ووضعوا فيها على لسان المسيح والانجيليين ما جادت به سفاهتهم كما تعرض عبد الله التل [28] إلى

(27) مؤامرة اليهود على المسيحية ص : 38.

(28) في كتابه خطر اليهودية على المسيحية والاسلام، ص : 32. يقول جاء في كتابه التجربة الأخيرة للمسيح ص : 25 (وذهب المسيح إلى قانا الجليل قرية أمه ليختار زوجته .. فوقف في وسط البلدة وفي يده وردة حمراء يحدق ببنات القرية اللاتي كن يرقصن تحت شجر حور أخذ يتطلع اليهن .. مقارنا بينهن .. لم تكن له الجرأة ليختار أنه يريدهن كلهن، وجاءت المجدلية ابنة خاله الوحيدة : شعرها مسدل على كتفيها، تتهادى ببطيء، اهتز عقل الشاب عندما وقع نظره عليها وصرخ هي التي أريدها ... ومد يده ليقدم ٤ الوردة الحمراء.

وفي الصفحة 86« وكانت المجدلية مستلقية على ظهرها في الفراش عارية تماما، مبللة بالعرق وشعرها الأسود الفاحم منشور على وسادتها ويداها متشابكتان تحت رأسها ... لقد كانت تضاجع الرجال منذ الفجر فكانت منهوكة القوى، وكان شعرها جزء من جسدها تفوح منه رائحة جميع الأمم ... وخفض ابن مريم نظره ووقف وسط الغرفة غير قادر على الحركة ». =

نقل نصوص يوصف بها المسيح بما يترفع الذوق عن ذكره ، مشيرا إلى هذه الكتب التي تنشرها « دار سيمون وشوستر » اليهودية للنشر ويقوم بتوزيعها عدد من العلماء على الشباب والطلاب بأمريكا وأوروبا وفي آخر كل كتاب ملاحظة تقول : إذا استمتعت بقراءة هذا الكتاب فلدينا عدد كبير من الكتب الأخرى بانتظارك ويلي ذلك لائحة بأسماء الكتب منها : زمن الخطيئة ، شيطان الخطيئة ، سوق المنفعة ، زوجة معلمة وغيرها .

ب ـ الجمعيات السرية :

عمد اليهود إلى تكوين جمعيات تكتسي ثوب البر والاحسان ، لتحقيق مآربهم الخاصة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا ، أو محاولة تدخل في هذه الجمعيات والسيطرة عليها لمعرفة ما فيها وتسخيرها لهدفها الخاص . وهذه الجمعيات لا عبرة باسمها أو شكلها أو مكانها ، إذ العبرة بفعلها وتأثيرها على أعداء اليهودية . ومن هذه الجمعيات :

* **القوة الخفية** : (29) .

اسمها الحديث « الماسونية » وقد اكتسبته بعد مؤتمر لندن سنة 1717 برئاسة « اندرسن » الذي عاش رئيس كنيسة بروتستانية اسكوتلاندية في الظاهر ويهودية في الباطن .

= وفي ص : 450 « امسك بها يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة وامتقع لونهما واصطكت ركبهما فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة، وبدا يتدحرجان على الأرض. طلعت الشمس ووقفت فوقهما، وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين ... وضمت المجدلية يسوع إليها ... وألصقت جسده بجسدها الملتهب ...

(29) انظر :

1 ـ محمد عبد الله عنان في تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص : 89.
2 ـ علي أدهم (الجمعيات السرية).
3 ـ أبو صادق (الماسونية بلا قناع).
4 ـ الأب لويس شيخو أسرار الماسونية.
5 ـ رفعت اتلخان (أسرار الماسونية).
6 ـ د. عفيف ابراهيم حسن (الماسونية بين الشيوعية والصهيونية).
7 ـ محمد علي الزعبي (الماسونية في العراء).

أسسها كما أشرنا « هيرودس اغريبا » سنة 43 م حفيد هرودس الكبير الذي قتل أطفال بيت لحم خشية أن يكون فيهم المسيح المنتظر الذي كان خطرا على ملكه ، بالمساندة مع الهيكل اليهودي ، وبخاصة عندما حكم المسيح بزوال الهيكل .

كان هدفها الأول الاجهاز على المسيحية والمسيحيين ولو باغتيالهم فردا فردا ...ثم جاء الاسلام فاستقبلته تلك القوة بنفس السلاح الذي استقبلت به المسيحية .

فهي هيئة سياسية غايتها تقويض كل أركان سلطة دينية كانت أو مدنية على حد تعبير لويس شيخو . وما زالت منذ تأسيسها حتى الآن تفتك بجسم المسيحية ثم الاسلام وترميهما بالاوباء وإن خالا نفسيهما سليمين .

وعلى الأعضاء تقديس ما ورد في التوراة واحترام الدين اليهودي وإعادة بناء اليهودية .

* **الصهيونية** (30):

الحركة الثانية بعد الماسونية التي تستخدمها اليهودية العالمية من أجل السيطرة على العالم ، إنها القومية اليهودية التي تسعى إلى تحقيق آمال اليهود .

وذكر المليونير « ولتر رثنو » بأنه يوجد 300 شخص في العالم يعرفون بعضهم البعض ، يتحكمون في مصير أوروبا ، إنهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها .

* **بناي برث :**

أنشئت في مدينة نيويورك سنة 1843 على نظام الماسونية واقتصرت

---

(30) عبد الله التل في (جذور البلاء) ص : 156/141.

على قبول الأعضاء بمحافلها على اليهود ، ظاهر أهدافها حب الخير والعمل الانساني في مساعدة الفقراء والمضطهدين ، ومنع الاهانة عن اليهود والدفاع عن حقهم في المساواة .

ولكن الأهداف الحقيقية دعم الماسونية العالمية ومساندتها ، فقد ثبت أنها مع الماسونية وراء الثورة الفرنسية والحربين العالميتين الأولى والثانية ، ويكفي أن نعرف أن رئيس هذه الجمعية « فليب كلوزينيك » قد عين في عهد الرئيس ايزنهاور رئيسا للوفد الأمريكي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

* **شهود يهوه :**

جمعية يهودية ترتدي ثوبا مسيحيا مزيفا ، وهي في الواقع أخطر الجمعيات اليهودية في العالم ، ذلك لأنها تقوم على مبدإ خداع الجماهير المسيحية الساذجة ، وإدخال نبوءات التوراة في النفوس المؤمنة ليصبح الاعتقاد جازما عند المسيحيين .

تأسست في بنسلفانيا بالولايات المتحدة سنة 1884 ، ثم انتقلت إلى نيويورك سنة 1909 ، ومن هناك شرعت توفد المبشرين إلى أنحاء العالم كافة لالقاء الدروس من التوراة اليهودية التي تدعو إلى عودة اليهود إلى أرض الميعاد تحقيقا لاوامر يهوه .

* **الروتاري :**

جمعية تتظاهر بالعمل الانساني في تحسين الصلات بين مختلف الطوائف وتتظاهر كذلك بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية إلى المجتمعات السرية مستغلين فكرة التسامح ، وقد فطن الفاتكان إلى خطرها فصدر مرسوم من المجلس الأعلى المقدس في 20 ديسمبر 1950 قرر فيه الكرادلة (دفاعا عن العقيدة وعن الفضيلة لا يسمح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادي الروتاري أو الاشتراك في اجتماعاتها ، وعلى غير رجال الدين كذلك أن يراعوا المرسوم رقم

684 الخاص بالجمعيات السرية المحرمة والمشتبه بها ...)

* فرسان المعبد [31]

قام بإنشائها تسعة من السادة الفرنسيين برئاسة « هوك دي بيان » و « جود فروادي ستومار » بقصد حراسة الطرق وحماية حجاج القبر المقدس .

وفي أواخر القرن الثالث عشر غدوا موضعا للريبة في نظر العامة فضلا عن رجال الدين ، وينسب إليهم الاتصال بالاسماعيلية على يد « شيخ الجبل » في مغار في جبل لبنان ، حين كان مركز الفرسان في فلسطين ، مع وجود الشبه بين تعاليم الطائفتين .

ويقول (عبد الله عنان) : « بينما كانت الاسماعيلية في المشرق تعمل على تحطيم تعاليم الاسلام الدينية والاخلاقية ، كان فرسان المعبد في الغرب يعملون على تحطيم تعاليم النصرانية ومحو رسومها ».

* القداس الأسود :

نهضت طوائف سرية في عهد الفرسان لبث الدعوة الهدامة والعمل على تقويض النصرانية ، اجتمعت تحت لواء جمعية جديدة تعرف (بالالبيين) نسبة إلى (ألبي) إحدى مراكزها الكبرى .

لها طقوس خاصة و سرية ، وهي فكرة تستند إلى تعاليم المانوية القائلة بأن الخير والشر متكافئان في القدرة ، وأن الشيطان مثل الرب خالد ماهر .

وكانت الثورة خطيرة على تعاليم النصرانية السياسية والأخلاقية والاجتماعية يعبدون الشيطان ، ويسبون المسيح ، ويفرقون في الفجور ويقتفون أثر الاسماعيلية فيسقون المصلين المخدر قبل القداس .

---

(31) عبد الله عنان : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص : 48 إلى 115.

* عبادة الشيطان أو السحر الأسود :

ظهرت في خاتمة العصور الوسطى ، واجتاحت كل المجتمعات الأوروبية كانت دعوة منظمة ، وثورة واسعة النطاق على سلطة الكنيسة وتعاليم المسيح .

يرى بعض الباحثين (ديشان) أنها ترجع إلى تعاليم الكابالا السرية ، وهي تعاليم العبرية في أمور الخفاء ومدارك الغيب ، ويضيف البعض الآخر أن هذه الدعوة لم تكن سوى أثر الجهود السرية التي يبذلها اليهود للقضاء على الدين .

* جمعية الصليب الوردي :

كانت نزعتها العداء للمسيحية وإنكار صفات المسيح وأن الجمعية كانت عصابة من اليهود والكاباليين العبريين ، يرى مذهبهم أن كل الأشياء تختفي في ظل جلال الحقيقة أو في ظل الخفاء المقدس .

ويقول عنان : إن جمعية الصليب الوردي لم تكن سوى شعبة من شعب الثورة على المسيحية ، وإن حركات الخفاء المتقطعة التي كانت تقوم في مختلف البلدان ترجع في النهاية إلى أصل واحد ، ودعوة عامة مصدرها الكابالا اليهودية على أرجح الآراء ، وأن اليهود قصدوا هدم المسيحية من هذا السبيل .

المبحث الثاني

نتائج الاضطهاد

قرآن كريم

﴿ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾

سورة الحديد آية 27/26 .

﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ، أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾

سورة المائدة آية 81/78 .

1 ـــ الرهبنة :

عندما رأى أتباع المسيح عليه السلام ما يفعل بهم من العذاب ، والقتل والتشريد نتيجة إيمانهم بالله وحده اتجهوا بالهروب بدينهم لعلهم يجدون حياة آمنة غير هذه الحياة الشاقة ، وبخاصة بعد أن منعوا من ممارسة صلواتهم واجتماعاتهم .

ففروا بدينهم إلى البراري والكهوف والأرياف لممارسة العبادة المطلوبة منهم ... وانقطعوا لذلك وتركوا الدنيا وصارت حياتهم هذه تعرف عند النصارى بحياة الرهبان ، وهي التي سماها القرآن « بالرهبانية » حين قال : ﴿ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ...[32] .

وتشتت الأتباع رغم قلتهم في بقاع الأرض ، وصار كل واحد منهم أو جماعة تعبد الله كما علمت وعرفت عمن سبقها دونما كتاب مدروس دونت فيه التعاليم حتى لا تنسى أو تذهب بذهاب الأيام وتغير الأحوال .

---

(32) سورة الحديد آية 26.

وفرض هؤلاء الأتباع على أنفسهم هذا النوع من العبادة ، التى أملاها عليهم واقع الاضطهاد ، إلا أنهم غالوا [33] فيها كثيرا حتى أصبحت نوعا من العذاب كالامتناع عن الطعام والشراب والملبس والنكاح وبخاصة بعد أن أكد القرآن أن هذا النوع من الحياة الذي لم يطلبه تعالى من عيسى عليه السلام حين قال : ﴿...ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ [34] .

كما أكد ذلك « عمر طوسون » في كتابه « وادي النظرون ورهبانه وأديرته [35] الذي ذكر فيه وصفا شاملا للرهبان ومخادعهم وكيفية المغالاة في عذاب النفس مما لا مجال لذكره هنا خوفا من الاطالة .

وقد حاول « اسد رستم » في كتابه « الروم » [36] أن يرد حياة الرهبنة إلى حياة المسيح عليه السلام حين قال « عاش السيد نفسه عيشة فقر ومسكنة وعلم باقتراب النهاية ، وأرسل تلاميذه ليكرزوا بملكوت الله وأوصاهم ألا يحملوا شيئا للطريق (لا عصا ولا مزودا ولا خبزا ولا فضة وألا يكون للواحد ثوبان) [37] .

وعند الرجوع إلى هذا النص وجدناه يفيد ـــ ومع انقطاع سنده ـــ إلى الآيات التي اعطيت لعيسى عليه السلام للدلالة على صدق نبوته ، ولا دليل في هذا النص على وجود الرهبنة التي ذهب إليها الاستاذ رستم .

---

(33) انظر : تفسير الطبري ص : 238، ج 27، وتفسير ابن الجوزي زاد المسير ج 2 ص : 176. وتفسير المنار لرشيد رضا ج 6، ص : 308 و ج 7 ص : 19،، م. هيلر في كتابه مجمل تاريخ العالم ص : 229.

(34) سورة الحديد آية 26.

(35) بداية من ص : 46.

(36) ج 1، ص : 202.

(37) انجيل لوقا فصل 9 فقرة 3.

يؤكد مذهبنا ما ذكره كتاب ج . جمعية مارمينا العجائب (الرهبنة القبطية) [38] الذي رد الرهبنة إلى « كنفوشيوس » و « جواتمابوزا » ثم ذكر تطورها ووجودها (أي الرهبنة) عند اليهود وبخاصة عند فرقة « الاسينيين » التي تعرضنا لها عند الحديث عن الحالة العامة قبل عيسى عليه السلام .

ثم ذكر الكتاب (الرهبنة القبطية) أن المسيح عليه السلام أشار إلى الرهبنة إلا أنه لم يفرضها ، ولكن الاضطهادات المرة التي رضخ لها الاقباط في القرون الثلاثة كانت هي السبب إلى الانعزال إلى الأودية والكهوف وامتلائها بالاتقياء ثم تطورت الرهبنة فيما بعد إلى أن أصبحت مدارس منظمة .

ثم وضح القرآن حين قال ومع أن الرهبنة ابتداع فإنه كان من هؤلاء الرهبان من لم يبغ من رهبنته هذه إلا رضوان الله فلم يسرف فيها لا من حيث العبادة ولا من حيث الاعتقاد فلم يجعل لله شريكا ولم ينسب إليه نقصا ، فسمى سبحانه هؤلاء بالمؤمنين ولم يحرمهم من أجرهم حين قال : ﴿...فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ...﴾ .

ثم بين القرآن أن أكثر هؤلاء الرهبان قد أسرفوا على أنفسهم وبالغوا في عبادتهم حتى جعلوها نوعا من العذاب نتيجة سوء الفهم أو الدس المقصود من أعداء المسيح ، ثم أكد القرآن أن هؤلاء المغالين كثيرون ووصفهم بالفسق حين قال : ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ [39] .

2 ــ انقطاع السند :

لقد ذكرنا صورة موجزة عن الاضطهاد الذي حل باتباع عيسى عليه

---

(38) بداية من ص : 5.

(39) تمام الآية 26 من سورة الحديد.

السلام ، حتى قال معظم الكتاب بأن هذه الفترات العصيبة التي مر بها الاتباع كانت هي من أهم الأسباب في فقدان هذا الانجيل .

فابن حزم [40] يقول : « كان الاتباع مستترين لا يكشف أحد منهم نفسه لأنه من عرف قتل بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجار ، أو الصلب كما صلب « باطره » واندرياس ، أخوه شمعون أخو يوسف النجار وفليش وبولص وغيرهما ، أو قتلوا بالسيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا وطومار وبرتلوما ويهوذا بن يوسف النجار ومتى ، أو بالسم كما قتل يوحنا بن سيذاي ، فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة ولا لهم مكان يأمنون به مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح ».

وفي خلال ذلك ذهب الانجيل المنزل من عند الله عز وجل إلا فصولا يسيرة أبقاها الله حجة عليهم وخزيا لهم .

ويعترف بعض القسيسين حينما طلب منه السند المتصل فيقول : « إن سبب فقدان السند وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة » [41] .

وينقل صاحب الفارق عن علماء النصارى [42] بأن الاضطهادات هي سبب ضياع الانجيل الصحيح وصرحوا بكتبهم فساد النصرانية من جراء تلك الاضطهادات التي ظهرت في 64 م ووقوعها في 65 ، 95 ، 107 ، 118 ، 212 ، 250 ، 257 ، 274 ، 303 ، 400 .

---

(40) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج 2، ص : 4.

(41) أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص : 32.

(42) عبد الرحمان باجة جي زاده ص : 15، وممن نقل عنهم المعلم فروان بولون وبولون والحكيم كرسون، والمعلم قبريس لادوك، والمعلم لادوك، والمعلم ستروس، والمعلم جالوليون، والمعلم بيار.

3 ـــ **ضياع الانجيل** (في نظر الهمذاني وأبي زهرة) .

أ ـــ القاضي عبد الجبار الهمذاني :

يذكر أن دين المسيح وديانات الرسل لم تتغير ولم تتبدل جملة واحدة ولكن على مر الأيام تدريجيا حتى يتكامل هذا التغيير ، وما زال أهل الحق يقلون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق [43] ، وذكر أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا يؤدون عباداتهم مع اليهود في كنائسهم ، وبينهم الخلاف في شأن المسيح ، وكانت الروم تملكهم فرفعوا أمرهم إلى الروم فكان الرد بأن العهد بيننا وبين اليهود عدم تغيير دينهم وإذا أردتم النصرة ، فاتركوا أمركم وصلوا كما نصلي وكلوا مما نأكل واستبيحوا مما نبيح عندها يجوز لنا نصرتكم ، واتفق معهم هؤلاء على هذا الأسلوب ، فقالت الروم اذهبوا واتوا بأصحابكم وكتابكم فلما علمت البقية كفروا هؤلاء ومنعوهم من الكتاب ، ورفضوا الاتصال بالروم عباد الوثنية ، فاستنصر هؤلاء النصارى بالروم على أصحابهم الذين خالفوهم حيث فر من فر واختبأ من اختبأ ، وأرسل الحاكم الرومي إلى ولاته بملاحقة هؤلاء الفارين . واتفقوا من بعد ذلك على وضع انجيل آخر . فسقط عنهم الكثير مما في الأصل . وكان فيهم الواحد بعد الواحد ممن يعرف أمورا كثيرة في الانجيل الصحيح ، فأمسكوا عنها لتتم رئاستهم ولم يكن في ذلك ذكر الصليب ولا المصلوب .

ثم إن الأناجيل كما يزعمون كانت ثمانين إنجيلا فلم تزل تنقل وتختصر حتى بقي منها أربعة أناجيل لأربعة نفر يرى كل واحد صحة إنجيله وانه أصح من غيره [44] .

بالاضافة إلى تغيير اللغة العبرانية التي نزل بها الانجيل وهي لغة المسيح حيث كان سبب هذا التغيير [45] إلى اللغات الأخرى هو إخفاء

---

(43) تثبيت دلائل النبوة ج 1، ص : 152.

(44) تثبيت دلائل النبوة ج 1، ص : 153.

(45) تثبيت دلائل النبوة ج 1، ص : 154.

الحذف والزيادة التي قاموا بها .

والاحتيال في تدليس ما وضعه الواضعون من الأكاذيب للوصول إلى الرياسة وبذلك لا يعرف أهل العلم في ذلك الزمان هذا السر فيفضحوا أمور هؤلاء المحرفين قبل تمكن مذهبهم ، فكان ما أرادوا .

ب ــ أبو زهرة :

يشير أبو زهرة إلى أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقوم به أتباع عيسى في شؤونهم الدينية ، وخاصة ما يتصل بالشريعة يقومون به سرا ، والسرية هذه يحدث فيها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحدث فيها . ولا مانع من أن يدلس في الاجتماعات ما لم يجر فيها ، وينقل إلى الجمهور أمراً لم يحدث ، فإذا وقع الشك فيما دون من الكتب فيكون لهذا الشك دواعيه وشواهده [46] .

وحديث كل من القاضي وأبي زهرة له اعتبار ، وقد نقل كما أشرنا التآمر بين الهيكل ــ الذي ينكر رسالة عيسى ــ مع وثنية الروم سنة 43 ميلادية وما تلاها من بيان نيرون سنة (64) ميلادية للقضاء على المسيحيين تحت ضغط من اليهود الذين سيطروا عليه بالمال ، وبواسطة زوجته (بوبيا) التي كانت أداة طيعة في يد جماعة المرابين اليهود وكان مصرع (سنيكا) الفيلسوف المصلح لأنه أراد أن يفضح هذا التآمر بصفته المستشار والصديق الحميم لنيرون في ذلك الوقت . والذي أجبر على الانتحار بضغط من اليهود حيث كان عدوهم [47] .

(46) محاضرات في النصرانية، ص : 92، طبعة 3.
(47) الأميرال وليم غاي كار (أحجار على رقعة الشطرنج) ص : 53 ترجمة سعيد جزائري.

4 ـــ الانجيل كما وصفه القرآن :

أ ـــ معنى الانجيل في القرآن الكريم :

يقال بأن لفظة « الانجيل » من أصل يوناني هو « افنجليون » [48] معرب معناه البشارة أو الخبر السار . وعلى هذا يكون معنى الانجيل مجموعة من الأخبار السارة .

وهذا الوصف لا يكفي لأن يوصف به الانجيل ، لأننا إذا رجعنا إلى أصل المادة ن . ج . ي . ل . في العربية [49] فإنها على وزن افعيل وانجيل من النجل وهو الأصل ، فالانجيل أصل لعلوم وحكم ، ويقال نجلت الشيء إذا استخرجته ، فالانجيل مستخرج به علوم وحكم .

وإذا تتبعنا هذه الكلمة وأمكنة ورودها في القرآن الكريم [50] فإننا نجدها تعني الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام ، ومن نفس هذه الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة يمكن ضبط تعريف للانجيل فنقول :

« إنه كتاب الله المنزل على عيسى ، المشتمل على التوحيد والتنزيه والأحكام الشرعية ، وكان مصدقا لما بين يديه من التوراة ، ومبشرا برسول الله محمد عليه السلام » .

أما قولي بأنه كتاب الله المنزل على عيسى ، فمن قوله تعالى ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل﴾[51] .

وأما قولي المشتمل على التوحيد والتنزيه فمن قوله تعالى ﴿اتخذوا

---

(48) د. أسد رستم في آراء وأبحاث ص : 216، ول ديورانت في قصة الحضارة، ج 11، ص : 206.
(49) القرطبي في : الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص : 5.
(50) الآيات 3 ـــ 48 ـــ 65 من سورة آل عمران، والآيات 46 ـــ 47، 66، 68، 110 من المائدة و 157 من الأعراف و111 من التوبة و 29 من الفتح و 27 من الحديد.
(51) الآية 27 من سورة الحديد.

أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا آلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ (52) . ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ، بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون﴾ (53) .

وقولي والأحكام الشرعية ، فمن قوله تعالى : ﴿...ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ..﴾ (54) ﴿...ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ...﴾ (55) .

وقولي كان مصدقا لما بين يديه من التوراة ، فمن قوله تعالى : ﴿...ومصدقا لما بين يدي من التوراة ...﴾ (56) . ﴿...ومصدقا لما بين يديه من التوراة﴾ (57) .

وقولي مبشرا برسول الله محمد ، فمن قوله تعالى : ﴿...ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ...﴾ (58) .

فهذا هو الانجيل الذي عناه القرآن الكريم ، ولمعرفة ما إذا كان الانجيل الحالي هو هذا المذكور في القرآن فلابد من البحث عن هذه الصفات ومدى وجود كل منها في هذا الانجيل الذي تعترف به النصارى أو أتباع عيسى عليه السلام .

5 ــ انجيل النصارى :

لقد ذكرنا ما تعنيه كلمة الانجيل عند النصارى « من البشارة أو الخبر السار » (59) وقال البعض منهم تعني كلمة انجيل اليونانية

---

(52) الآية 31 من التوبة.

(53) الآية 116 من سورة البقرة.

(54) الآية 50 من سورة آل عمران.

(55) الآية 43 من سورة الزخرف.

(56) الآية 50 من سورة آل عمران.

(57) الآية 46 من سورة المائدة.

(58) الآية 7 من سورة الصف.

(59) انظر د. أسد رستم في آراء وأبحاث «منشورات الجامعة اللبنانية» ص : 216. ول ديورانت في «قصة الحضارة» ج 11 ص : 206.

« الحلوان » [60] وهو الذي يعطي للبشر ثم اريد بها « البشرى عينها » واستعملها المسيح بمعنى « بشرى الخلاص » التي حملها إلى البشر ، وربما استعملها من بعده بمعنى «ملخص تعليم المسيح أو سيرة حياته وموته » .

ولم تستعمل بمعنى الكتاب إلا في أواخر القرن الأول للميلاد [61] وهكذا نقول انجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

فمن هذا الكلام الذي قاله أتباع عيسى لا نفهم نسبة هذا الكتاب لله تعالى ، ولا أطلق عليه أسم كتاب إلا في الأواخر من القرن الأول وما هو إلا بشرى الخلاص .

والاعتراف حاصل بأن الانجيل انتشر شفاها [62] ثم كتب بعد سنين « ذلك لأن المسيح لم يثبت كتابة هذه البشرى التي اطلع بها على العالم » كما يقول بولس اليسوعي .

وبهذا يسقط الوصف الأول وهو أن الانجيل المعروف حاليا غير منسوب إلى الله تعالى ، وذلك كما رأيت باعتراف أهل هذا الكتاب .

وأما الوصف الثاني المنزل على عيسى فهو كذلك ساقط لأن هذا لم يثبت عن المسيح كتابته أبدا بأي شكل كان عند النصارى [63] .

وأما الوصف الثالث « المشتمل على التوحيد والتنزيه » فقد ذكر د . اسد رستم تعريف هذا الكتاب فقال « وإنجيلنا هو الكتاب الذي يبشر بمجيء ابن الله إلى هذا العالم لأجلنا ولأجل خلاصنا ، وهو يتضمن أخبار الكلمة المتأنس على الأرض تعاليمه وآياته وآلامه وموته على الصليب وانتصاره

---

(60) بولس اليسوعي في «يسوع المسيح» ص : 14.
(61) بولس اليسوعي في «يسوع المسيح» ص : 14.
(62) بولس اليسوعي في «يسوع المسيح» ص : 14. وكذلك مجلة الفتح عدد 398 سنة 1353 هـ ص : 4، نقلا عن «الكنز الجليل في تفسير الأناجيل».
(63) الكنز الجليل في تفسير الأناجيل : نقلا عن مجلة الفتح عدد 398 سنة 1353، ص : 4.

على الموت بقيامته المجيدة .. » [64] وليس هذا القول مقتصرا على رستم بل عند عامة النصارى وفي كافة كتبهم ومصدره أناجيلهم هذه ، وهذا يخالف تماما الوصف بالتوحيد والتنزيه ويثبت الشريك والولد . الأمر الذي سنقف على حقيقته فيما بعد ، وبهذا يسقط هذا الوصف كذلك عن هذه الأناجيل .

وأما الرابع ، وجود الأحكام الشرعية « فقد عرف العموم أن الأناجيل الحالية ما هي إلا ملخص تعليم المسيح [65] أو سيرة حياته وموته . فأين هذه الأحكام ؟ ولا يعقل أن يأتي رسول من عند الله بدون أحكام ، وأين قوله تعالى ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ [66] ؟ وعلى هذا يسقط هذا الوصف كذلك عن الأناجيل الحياتية الحالية .

وأما الوصف الخامس ، فهم يعترفون بموسى وبالتوراة بل اعتبرت من مصادرهم الآن .

وأما السادس ، فرغم وجوده فهم ينكرونه وما ذلك إلا حجة من الله عليهم ، أي رغم سقوط هذه الأوصاف ومع ذلك يوجد في الأناجيل بعض ما نزل على عيسى عليه السلام .

وبهذا لا نستطيع القول بأن هذه الأناجيل الموجودة الآن هي نفس الانجيل الذي أنزله الله على عيسى والذي مر بنا وصفه وتعريفه ، وذلك باعتراف النصارى من جهة ، وعدم المطابقة لما جاء في القرآن من جهة أخرى . كما سنلقي ضوءا على هذه الأناجيل فيما سيأتي إن شاء الله .

6 ـــ اعترافات بوجود الانجيل :

ذكر القرآن نزول إنجيل على عيسى عليه السلام ، ومر بنا تعريف هذا

(64) د. أسد رستم في آراء وأبحاث، ص : 216.
(65) بولس اليسوعي في «يسوع المسيح» ص : 14.
(66) آية 50 من سورة آل عمران.

الانجيل الذي تعرض له القرآن ، ومر بنا أن هذه الأناجيل الحالية دونت بعد التحاق عيسى بالرفيق الأعلى ، وأن تعاليمه كانت مشافهة بدون ذكر لانجيل يتلى أو يكتب..

ولكن النظر في هذه الأناجيل المكتوبة بإمعان يظهر وجود اعترافات بوجود هذا الانجيل الذي ذكره القرآن ، ففي إنجيل مرقس [67] وردت كلمة الانجيل منسوبة إلى عيسى كما تنبأ أشعيا بذلك . « بدأ إنجيل يسوع المسيح ابن الله ، كما هو مكتوب بأشعيا النبي.. »

وفي رسائل بولس مثلا « رومية » [68] دلالة على وجود إنجيل للمسيح حين قال « فإن الله الذي أعبده بروحي — في إنجيل ابنه — شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم » .

وفي رسالة غلاطية [69] كذلك تأكيد بوجود إنجيل معروف يعرفه بولس « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر . وليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوه » .

وفي رسالة غلاطية [70] ذكر أنهم لا يسيرون بحق الانجيل « ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل ...الخ » .

وفي قلبي [71] يصرح محافظا على الانجيل ، « ثم أريد أن تعلموا أيها الاخوة أن أموري قد آلت إلى تقدم الانجيل . وأولئك عن محبة عالمين أني موضوع لحماية الانجيل » .

---

(67) الاصحاح الأول رقم 1 و 2.
(68) الاصحاح الأول رقم 9.
(69) الاصحاح الأول رقم 6.
(70) الاصحاح الثاني رقم 14.
(71) الاصحاح الأول رقم 12 و 17.

ويقول النجار عن هذه الجملة [72] « فهذه الجملة تدل على أنه كان هناك إنجيل ، وأن بولس وضع لحمايته ، وبالطبع ذلك الانجيل الذي يتحدث عنه ليس واحدا من هذه الأربعة وأيضا فإن الانجيل كان مهددا وفي حاجة إلى حمايته ، وقد أوصاهم بعد ذلك قائل : « فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح » [73] .

وفي رسالة سالونيكي [74] يقدم بفرح غير إنجيل الله ولو كانت من عنده « إذ كنا حنانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا » .

وفي تيموثاوس [75] يصرح بوجود إنجيل لديه أؤتمن عليه « حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي أؤتمنت عليه » .

فهذه اعترافات وبيانات بوجود إنجيل لعيسى عليه السلام كان يعلم منه وموجود حقيقة مكتوب تركه من بعده عند أصحابه لا كما يقال بأنه كان يعلم مشافهة بدون إنجيل ، وأن الانجيل كتب من بعده كما فهم الحواريون .

والسؤال الآن بعد هذه البيانات بوجود الانجيل الحقيقي وكما يصرح بولوس بوجود نسخة منه عنده ، أين هو هذا الانجيل ؟ وفي كفالة من ؟

7 ــ الانجيل كما تصفه مخطات البحر الميت :

اكتشفت حديثا مخطوطات قديمة [76] كانت محفوظة في إحدى الحفر يقال أن تاريخها يرجع إلى قبل الميلاد ، وجد أنها تحتوي على معلومات تصحح الفكرة السائدة عن عيسى ابن مريم عليه السلام .

---

(72) قصص الأنبياء ص : 391.

(73) رقم 27 من الاصحاح الأول من رسالة فليبي.

(74) الاصحاح الثاني رقم 8 من الرسالة الأولى.

(75) الاصحاح الأول رقم 11 من الرسالة الأولى.

(76) محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت.

ولما أرسل الدكتور « تريفور » نسخة من هذه المخطوطات إلى الدكتور (و .ف . البرايت) وهو عمدة في علم أثار الانجيل رد عليه بقوله « تهاني على اكتشاف أعظم مخطوط في العصر الحديث فوق هضبة بجوار البحر الميت » وحدد كتابته بمائة عام قبل الميلاد وقال : « إنه لا يوجد أدنى شك في العالم حول صحة هذا المخطوط » ، وأشار إلى أنها ستعمل ثورة في فكره عن المسيحية .

وإذا نظر الباحث إلى هذه المخطوطات فستتغير نظرته إلى العقائد الصناعية ، زمن قسطنطين في مجمع سنة 325 حيث انتهى دين عيسى عليه السلام وبدأ دين آخر ، مبنيا على التثليت .

والحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن بالنا هي ما قررته هذه المخطوطات أن عيسى كان مسيا المسيحيين ، وأن هناك مسيا آخر وقد يكون المقصود بالمسيا الثاني هو نفسه عند عودته كما يقول ابراهيم خليل ، أو يكون المقصود به ظهور النبي محمد عليه السلام لأنه كان يتكلم بالحق منصفا روح عيسى ومدافعا عن العقيدة الأصلية التي جاء بها . وهذا هو الذي في إنجيل يوحنا [77].

وقد تناول القصص هذه الأثريات بالبحث منهم : « أ . باول ديفر » رئيس كنيسة كل القديسين في واشنطن في كتابه (مخطوطات البحر الميت) على أنها قد تغير الفهم التقليدي للانجيل .

وكذلك القس [78] « د . تشارلس فرنسيس بوتو » في كتابه « السنون المفقودة من عيسى تكشف » يقول : « لدينا الآن وثائق كافية تدل على أن المخطوطات هي حقيقة « هبة الله إلى البشر » لأن في كل ورقة تفتح تأتي إثباتات جديدة على أن عيسى كما قال عن نفسه ابن الانسان

---

(77) ف. 15، فقرة 26.

(78) ابراهيم خليل : محمد في التوراة والانجيل والقرآن ص : 91.

أكثر منه« ابن الله » كما ادعى عليه أتباعه وهو منه بريء .

ونادى بتصحيح كل كتاب في العهد القديم على ضوء مخطوطات البحر الميت ، ولكن هذه المخطوطات أمست في أيدي غير أمينة على نقل ما فيها ، فمنها ما هو بيد الغرب للبحث ومنها ما بقي في متحف القدس بيد سلطات الاحتلال اليهودية الآن .

8 ــ إنجيل برنابا :

وردت إشارات في الرسائل المعتبرة [79] عند النصارى الآن ذكر « برنابا » على أنه أحد حواري عيسى عليه السلام ، وأكثر من هذا يوصف بصفات حسنة كالكرم والطهارة ومواظبته على الوعظ والارشاد . اختارته الكنيسة مبعوثا لها إلى أنطاكيا وطرسوس وأنه خال مرقس . تعرض لذكره كذلك ول ديورانت [80] حين استقبل بولس بثوبته ورحب به وأقنع الكنيسة في أورشليم أن تحمل .... القديم بشرى مجيء المسيح الذي سيقيم عما قريب ملكوت الله . وبشرا سوية مدة طويلة ، واختلفا مع بعضهما . اختفى بعدها برنابا في موطنه في جزيرة قبرص ولم يعد له ذكر في التاريخ .

وفي سنة 1908 نشر المرحوم محمد رشيد رضا [81] نسخة مترجمة عن أصل إيطالي وجدت في المكتبة الامبراطورية « بقبينا » تنسب إلى برنابا فيها حقائق مغايرة لما في الاناجيل الأربعة الحالية .

وقد عرض المترجم خليل سعادة مناقشة هادئة حول هذا الانجيل في مقدمة ترجمته له ، وبين أن علماء أوروبا بحثوا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولا طويلة . وكذلك قدم رشيد رضا لهذا الانجيل ، وعرض محمد

---

(79) رسالة الأعمال فصل 4 فقرة 37/36. والفصل 9 فقرة 27/26.
وفصل 11 فقرة 30/23 وفصل 30 فقرة 3/1 و 5، ورسالة بولس إلى أهل كولوسي الفصل 4 فقرة 10.

(80) قصة الحضارة، ج 11، ص : 253.

(81) انجيل «برنابا» في انجيل برنابا.

علي قراءة لها فيه من ثقافة روحية بكتاب خاص [82].

ويذكر التاريخ أمرا [83] أصدره البابا « جلاسيوس » الأول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة 492 م يعدد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) فإذا صح ذلك كان هذا الانجيل موجودا قبل ظهور نبي المسلمين بزمن طويل .

ويباين هذا الانجيل الأناجيل الأربعة المشهورة في أمور جوهرية هي [84] .

1 ــ ينكر ألوهية المسيح وكونه ابن الله ، وذلك على مرأى من ستمائة ألف جندي ، وسكان اليهودية من رجال ونساء وأطفال .

2 ــ الابن الذي عزم ابراهيم على تقديمه ذبيحة لله هو اسماعيل لا إسحاق .

3 ــ أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع ، بل محمد، وقد ذكر محمدا باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول ، وقال إنه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطورا فوق بابها بأحرف من نور (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

4 ــ أن يسوع لم يصلب بل حمل إلى السماء ، وأن الذي صلب إنما كان يهوذا الخائن الذي شبه به ، وجاء مطابقا للقرآن (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) .

5 ــ خوضه في المسائل الفلسفية .

ويذكر أبو زهرة [85] أن الباحثين قارنوا بينه وبين القرآن الكريم والحديث

---

(82) الثقافة الروحية في انجيل برنابا.

(83) انجيل برنابا، ترجمة د. خليل سعيد، ص. ل.

(84) انجيل برنابا، ترجمة د. خليل سعيد، ص. م.

(85) محاضرات في النصرانية ص : 67.

وانتهت دراستهم بأنه بعيد أن يكون قد استقى من القرآن الكريم .

وينقل ابراهيم خليل [86] عن د . تشارلس فرنسيس بوتر « أن إنجيلا يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول ، والمخطوطات التي اكتشفت حديثا في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الانجيل » .

9 ـــ نبوآت المسيح عن ضياع الانجيل :

هذه الحالة التي عرضنا لها بعد المسيح عليه السلام بما حصل فيها من تغيير وتبديل في إنجيل عيسى وزيادة عليه ، ومن اضطهاد وتعذيب لتلاميذه وأتباعه ، ومحاولات دائمة ومستمرة للقضاء على كل ما يمت إليه بصلة ، كل ذلك قد تنبأ به عيسى عليه السلام وذكره في الانجيل .

ففي « لوقا » [87] ذكر قدوم الأعداء على جبل الزيتون « القدس » من كل جهة ، ثم تخرب وتهدم وأهلها بها ، ولا يترك فيها حجر على حجر .

وفي « متى » [88] يؤكد هذا مرة أخرى ، ويحذر تلاميذه من أن يضلهم أحد (لأن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا المسيح ويضلون كثيرين) ، وذكر الحروب التي تمر على تلك البقاع وما يكون من قتل وتشريد واضطهاد وبغض الأمم لأتباعه حتى تأتي مرحلة يشك كثيرون ويسلم بعضهم بعضا ، ويمقت بعضهم بعضا ، ويقوم كثير من الأنبياء الكذبة ،

---

(86) «محمد في التوراة والانجيل والقرآن» ص : 93، ويضيف قائلا : وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التي لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيرا وهذا هو سر التعجب، فالمصادر التي تذكر هذه الأمور ـــ كلها أجنبية غربية ـــ قد ذكرت أن مخطوطا في الفيوم، وآخر في مصر العليا، وثالث في طور سيناء سنة 1958. مكتوب باللغة الديموقطيقية في القرن الثالث من قبل مرقس الحواري، يصف تاريخ عيسى ويصحح نقطا كثيرة مما جرى عليه العرف.

(87) فصل 19 فقرة 41%44(.. ولما قرب وراء المدينة بكى عليها قائلا : لو علمت انت أيضا في يومك هذا ما هو لسلامك لكنه خفي عن عينيك. انها ستأتي عليك أيام يحيط بك أعداؤك بمترسة ويحاصرونك ويضيقون عليك من كل جهة، ويهدمونك وبنيك فيه، ولا يتركون فيك حجرا على حجر ...).

(88) فصل 23 فقرة 37%38.
فصل 24 فقرة 1%40.

ويضلون كثيرين ، وتنعش الاثم وتبرد المحبة من الكثيرين ، وبشر الصابرين بالخلاص . ثم تحدث عن خراب بيت المقدس الذي حصل سنة 70م .

وأخبرهم بصريح العبارة قائلا : « حينئذ ان قال لكم أحد أن المسيح ها هنا ، أو هناك فلا تصدقوا ، فسيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون علامات عظيمة وعجائب حتى أنهم يضلون المختارين لو أمكن ، ها أنا إذا تقدمت وقلت لكم » .

وبعد أن ذكر هذا الوصف الذي سيحل بالاتباع من الاضطهاد والتعذيب والتبديل والتغيير والزيادة والحذف ذكر لهم المنقذ الذي سيبين لهم هذا كله ويدلهم على الطريق الموصل إلى الله ، حين بشر برسول يأتي من بعده . وكان تبشيره هذا برسول الله محمد عليه السلام من أصول رسالته كما عرضنا ذلك عند الحديث عن « الرسالة » [89] .

(89) الفصل الثاني من الباب الاول .

المبحث الثالث

الأنجيل دراسة تاريخية

كلمة عامة :

الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله [90] عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام ، وهذا باعتراف النصارى كلهم على أنها أربعة تواريخ ألفها رجال معروفون في أزمنة مختلفة ، بحيث أن كل واحد من هؤلاء الكتاب كان يعتقد بأن صاحبه [91] الذي تقدم وعمل إنجيلا ضبط أشياء وأخل بأشياء وغيره أعرف وأضبط . ولو كان من قبله قد ضبط وأصاب لما احتاج أن يعمل هو إنجيلا آخر .

---

(90) ابن حزم في الفضل في الملل والأهواء والنحل الجزء الثاني ص : 2 ، 3 .

(91) القاضي عبد الجبار الهمداني في تثبيت دلائل النبوة ج 2 ص : 155 .

وليس أحد هذه الأناجيل شرحا للآخر كما يشرح من تأخر كتاب من تقدم فيحكي كلامه على وجهه ثم يشرحه . ولهذا كانت الكتابات مختلفة ولا تدل على أنها أخذت من كتاب واحد ، ولا من جماعة معينة ، ولا التقى هؤلاء الكتاب مع بعضهم أو عرفوا بعضهم ، وهذا ينفي كونهم من الحواريين .

وهذا د . رستم يعترف [92] بوجود إنجيل كان في صدور الرسل والتلاميذ في أورشليم (القدس) وأنطاكيا حتى روما . وبقي الأمر كذلك حتى بدأ التدوين بعد حوالي سنة ثلاثين من رفع المسيح عليه السلام وكانت الكتابة عبارة عن روايات قصيرة مستقلة كقصة الآلام مثلا ، ويقول رستم ولا يستبعد أن يكون المؤمنون قد رددوا في اجتماعاتهم الأخوية ولمناسبة كسر الخبز قصة الآلام والقيامة وسر الفداء .

ثم يقول : وشاع في أواخر المائة الأولى بين الأوساط العلمية (الكتابية) أن الانجيليين الثلاثة استقوا أخبارهم من إنجيل آرامي واحد ، حفظه المؤمنون في صدورهم وحافظوا على نصوصه بأمانة ودقة ، لما أوتوا كشرقيين من مقدرة فائقة في الحفظ عن ظهر قلب..

وهذا الانجيل الأصل الذي اعترف به د . رستم كما اعترف به بولس من قبل هو الذي ورد ذكره في القرآن ، لا تلك الأناجيل المتعددة ، والسؤال الوارد هنا لماذا اختلف كتاب الأناجيل والأصل واحد ؟ [93] ولماذا

---

(92) آراء وابحاث ص : 224 .

(93) تعرض لاختلافات الاناجيل بشكل مفصل باجه جي زاده في كتابه (الفارق بين المخلوق والخالق) ورحمة الله الهندي في كتابه (اظهار الحق).

وقد اشار ول ديورانت في قصة الحضارة الى ان ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الاناجيل وفيها ما يشك في صحته ويجلب الريبة في القصص التي تشبه ما يروى عن آلهة الوثنيين وان فيها كثيرا من الحوادث التي يبدو انها وضعت عن قصد لاثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، ويشبه الكتبة بشيشرون وسالس وتاستس في ان التاريخ وسيلة لنشر المبادىء الخلقية السامية وان الكتاب تعرضوا لما تتعرض له ذاكرة الاميين من ضعف وعيوب ولما يرتكبه النساخ من اخطاء او تصحيح، ج 11 ص : 211 .

لم يذكروا السند في نقلهم هذا وتاريخ النقل في مقدمة أناجيلهم ؟

إذا الذي نفهمه من هذا أن الكتبة ليسوا بالحواريين وهذا باعتراف لوقا « إذا كان كثيرون قد أخذوا في ترتيب قصص الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة » (94) فهو أفصح برؤية من رأى الكلمة ــ المسيح ــ وهذه دعوى الرؤيا فقط فتأمل .

وكذلك نفهم أن الكتاب لا علم لهم في الشريعة حيث لم يرد ذكر أخذهم عن الحواري الفلاني أو التلميذ الذي أخذ عن عيسى وكان ... وكان ... كما ذكر في التدوين عن رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام .

وأما قول رستم عن الانجيل (وهو واحد لا أربعة فالانجيليون متى ومرقس ولوقا ويوحنا كتبوا بإلهام الروح القدس إنجيلا واحدا وخلاصا واحدا وسلاما واحدا ومجدا واحدا) .

ولكن الأستاذ نفسه يبطل كلامه بكلامه حين قال : « وحرص الآباء منذ بداية القرن الثاني على اعتبار الانجيل واحدا وإن ظهر بأربعة أشكال فقالوا : هو الانجيل كما رواه الأربعة ولم يقولوا هي الانجيل.. » وهذا البحث العلمي الذي قال به رستم أثبت إنجيلا واحدا ثم أثبت أناجيل بأشكال مختلفة والآن نعرض بكلمة عن هذه الأناجيل .

أقسام الأناجيل :

1 ــ الأناجيل المخبأة (غير المعتبرة)

اختلف في عدد الأناجيل من ثلاثين إلى مائة وإذا أخذنا بعين الاعتبار الأربعة المعترف بها ، فإن الباقي يسمى عند النصارى أبو كريفة وهذا لفظ يوناني في صيغة الجمع معناه الأشياء المخبأة التي يجب إخفاؤها لأنها

(94) الفصل الاول، ف 1 و 2

كاذبة . وهي إما أسفار اختبأ كتابها الحقيقيون وراء أسماء بعض رجال العهد الجديد ، وإما أسفار تنقل عقيدة سرية لا تتفق والعقائد القديمة قد دست فيها دسا من وراء ستار من الأسماء والظروف الانجيلية الحقيقية .

وهذه الأناجيل إما كاملة وإما ناقصة ، والناقصة نوعان أيضا منها ما يمكن إثبات ذاتيته ، ومنها ما تكسر وتهشم إلى حد يصعب عنده تعيين الأصل الذي انتمى إليه .

والسؤال الذي يرد هنا ؛ كيف نصف هذه الأناجيل المخبأة بهذه الصفات ولا نصف بها الأناجيل الأربعة المعروفة ، وقد وجدت دواعي الشك والمساواة بين الكل نظرا لكثرة الكتاب وضياع السند ؟ ومن الذي حكم وفصل هذا التفصيل بين هذه وتلك ؟ سيأتي الجواب عنه في حينه .

أ ــ المخبأة الناقصة :

1 ــ أناجيل النصارى المتهودين :

وهي من الأناجيل الابوكريفية الناقصة التي يمكن إثبات ذاتيتها ، ولعلها أقرب الأناجيل الابوكريفية إلى الانجيل الصحيح ويقع تحت هذا العنوان (إنجيل العبرانيين) و (إنجيل الناصريين) و (إنجيل الابيونيسين) و (إنجيل الرسل الاثنى عشر) ، ورأى رجال الاختصاص فيما مضى أصلا واحدا وراء هذه الأناجيل الأربعة ، ولكن متابعة النقد والبحث في هذا الموضوع أدت إلى تقسيم الأربعة إلى فئتين : « إنجيل العبرانيين والناصريين » « وإنجيل الابيونيسين الفقراء الرسل » .

* إنجيل العبرانيين والناصريين :

ليس لدينا عن هذا الانجيل سوى أربعين مثالا استشهد بها الآباء القديسون ولاسيما « ايرونيموس » وثلاثة عشرة حاشية وردت على هامش بعض المخطوطات ، كتب هذا الانجيل بالارامية ولكن بأحرف عبرانية ، وشاع استعماله في أواخر القرن الأول بعد الميلاد في الأوساط النصرانية

المتهودة في حلب . وقارب هذا الانجيل إنجيل متى في الرواية ، فاعتبره بعضهم لأول وهلة الأصل الذي نقل منه إنجيل متى ، ثم بان اعتماد هذا الانجيل الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) فأمسى غريبا بعيدا .

*** إنجيل الابيونيين والرسل :**

ويستدل من الأمثلة التي اقتبسها القديس (ابيفانيوس) من هذا الانجيل انه يعود إلى أواخر القرن الثاني ، إلى الأوساط الابيونية المتأخرة التي عاشت الكسائيين الاردنيين في إقناعهم عن أكل اللحوم واعتراضهم على الحبل (به) بلادنس وقولهم إنه ابن الله بالتبني .

2 ـــ إنجيل المصريين :

ذكره اقليمس الاسكندري ومناظره « ثيودوتوس الغنوسي » و « اوريجنس » وليس لدينا منه سوى بعض نماذج أوردها « اقليمس » وصاحبة « انقراتي » في اتجاهه وقد شاع استعماله في الأوساط الانقراتية في مصر في النصف الأول من القرن الثاني . والانقراتيون جماعة من الهراطقة الغنوسيين الذين غالوا في الزهد فامتنعوا عن اللحم والخمر والزواج وقالوا « التشبيه » أي أن ابن الله لم يتخذ جسدا ولم يقتل ولم يصلب وإنما شبه لمن حوله ذلك .

3 ـــ إنجيل بطرس :

دون في سوريا في منتصف القرن الثاني وشاع استعماله في الأوساط المركيونية ووصل إلى كنيسة أرسوز الارثوذكسية بين رأس الخنزير والاسكندرونة ، فأقبل البعض على مطالعته وامتنع غيرهم . فأذن سرابيون أسقف أنطاكيا بقراءته أولا تهدئة للخصام ثم حصل على نسخة منه وعكف على مطالعتها فلمس الدس والتضليل فيها فحرم قراءته ووضع رسالة في ذلك .

وعثر المنقبون في مصر سنة 1887/1886 على شيء يسير من هذا الانجيل عكف علماء العهد الجديد على درس ما اكتشف فوجدوه يمت إلى الأناجيل الأربعة بصلة ولكنه يذر الشك فيما إذا كان المسيح تألم عن الصلب عملا بعقيدة المشبهة ثم ينحى على اليهود وهيردوس باللوم الشديد ، وينزه بيلاطس .

4 ــ أناجيل الرؤيا :

وهي تشمل أناجيل « توماس ومتياس » و « فيليبوس » و « يهوذا » و « برثلماس » ورائدهما غنوسي صرف ، فهي تجعل السيد المخلص يظهر لبعض أتباعه في حياته على الأرض وبعد قيامته ، ويتحدث إليهم في مواضيع تثبت نواحي معينة من الفلسفة الدينية الغنوسية .

5 ــ فاسيليذس :

هو في الأرجح سوري المولد ، غنوسي المذهب عاش في الاسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني ، وادعى أنه يحمل تقليدا رسوليا يعود إلى بطرس نفسه فكتب إنجيلا وعلق عليه في أربعة وعشرين كتابا . قال بأنه في قمة الوجود لا يوصف بالسلبيات صدرت عنه أرواح متضائلة في الألوهية أبعدها عن آله اليهود . ولما طغى آله اليهود وأخضع البشر أرسل آله القمة عقله فاستقر في يسوع الذي تألم في الظاهر فقط .

ب ــ الأناجيل الأبوكريفية الكاملة :

وهي أحدث عهدا في غالب الأحيان من الالهامات التي أشرنا إليها ولكنها صادرة عن أوساط قديمة الرأي ويجوز تنسيقها هكذا :

1 ــ مجموعة الأهل والأقرباء .

2 ــ مجموعة الطفولة والصبوة .

3 ــ مجموعة بيلاطيس .

وقد يكون الدافع الأساسي في تدوين هذه المجموعات تزويد المؤمنين بمعلومات وتفاصيل رغبوا في الوصول إليها والاطلاع عليها .

1 ــ أناجيل الأهل والأقرباء :

وهذه ثلاثة : أ ــ إنجيل يعقوب ، ب ــ انتقال العذراء ، ج ــ تاريخ يوسف النجار .

أما إنجيل يعقوب فإنه دون في القرن الثاني فيما يظهر بلغة يونانية صحيحة نقية تضمن سيرة العذراء حتى البشارة ، ورواية يوسف عن ولادة المسيح وسجود المجوس ، وذبح الأطفال ، وموت زخريا ، والجدير بالذكر أن ما ننقله عن يواكيم وحنة وطفولة العذراء مأخوذ من هذا الانجيل ، ويعقوب الذي نسب إليه هذا الانجيل هو يعقوب الرسول ابن زيدي .

وكتاب انتقال العذراء والدة إلاله من مخلفات القرن الرابع ، وقد نسب إلى يوحنا اللاهوتي ، وتاريخ يوسف النجار الذي نسب إلى السيد المخلص نفسه هو في الواقع من آثار القرن الخامس ، وقد دون في مصر باللغة القبطية باللهجتين الصعيدية والبحرية . وتمجيد يوسف والاحتفال بذكره وتعظيمه من الأمور التي اهتم لها المصريون المسيحيون الأولون قبل غيرهم .

2 ــ أناجيل الطفولة والصبوة :

وهي تشمل إنجيل « توما الاسرائيلي » الفيلسوف ، وإنجيل الطفولة العربي وتختلف النسخ في ضبط اسم « توما » فهو في بعض النسخ اليونانية « توما » الاسرائيلي الفيلسوف ، وفي غيرها القديس « توما » . وجاء في بعض النسخ اللاتينية أنه توما الاسرائيلي . واعتبره كيرلس بضاعة مانوية ، ولعل الربط بين اللقبين من نتاج عقل شرقي بعيد . وإنجيل توما الفيلسوف يتضمن مجموعة من غرائب العجائب التي أجراها يسوع بين الخامسة والثانية عشرة من عمره .

والانجيل العربي من مخلفات القرن السابع والثامن بعد الميلاد ، منه نسخ في روما وفلورنسة ، أما النسخة التي نشر نصها (سيك) في سنة 1697 فإنها ضائعة ، ومعظم محتوياته واردة في تاريخ العذراء ، نشره « برج » في سنة 1899 وتبدأ عجائب السيد في هذا الانجيل في المهد فالقابلة التي عاونت العذراء واهتمت بأمرها وقت الولادة يبست يداها لأنها لم تكن مؤمنة ثم شفاها الطفل المولود . ومن عجائبه في الناصرة بعد عودته من مصر أنه كان يصنع طيورا من طين فتطير .

3 ــ إنجيل نيقوديموس :

وهو من مصنفات القرن الرابع ، ويتألف من قسمين رئيسيين وأولهما ضبط بما أجراه بيلاطس وأخبار القيامة والثاني وصف لنزول المسيح إلى الجحيم وما فعله فيه وهنالك أيضا عشر وثائق تتعلق بأخبار بيلاطس منها رسائله إلى الامبراطور في صلب المسيح وموته وبين مخطوطات باريس العربية (160) ، تاريخ حياة بيلاطس تنسب إلى غملائيل وحنانيا .

4 ــ إنجيل برنابا :

وهو أحدث « أبو كريفة » عهدا كما يقول رستم ، دونه إيطالي من رجال القرن الخامس عشر ، بعد أن جحد النصرانية ودخل في الاسلام ، فوصف شتى نواحي الحياة الدينية والمدنية والتاريخية والجعرافية والاجتماعية في عهد المسيح على ما رأى بعينه في بيئته الايطالية في القرن الخامس عشر ، وأضاف بعض ما التقطه من أخبار السيد في الأوساط الاسلامية .

أما إنجيل برنابا الذي ورد ذكره في أوامر البابا « غلاسيوس » 496/492 ميلادية ، فإنه مصنف « أبو كريفي » آخر لا علاقة بما ورد أعلاه .

وإذا اعترف بوجوده في سنة 492 فأين هو وقد وجد الآن من الأناجيل ما كتب قبله ؟ ولماذا لم يتعرض له رستم وغيره في الكتابة مع هذه

الأناجيل الابوكريفية المخبأة [95] ؟

5 ـــ الأناجيل المعتبرة :

إن الأربعة أناجيل المعترف بها حاليا هي البقية الباقية من عدد أكبر كثيرا ، كما أشرنا كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني ، وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة هذه إلى القرن الثالث ، أما النسخ الأصلية فالخلاف قائم في كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو اغراضها [96] .

ويرجح المؤرخون المختصون [97] بهذه المباحث أن الأناجيل جميعا تعتمد على نسخة أرامية مفقودة يشيرون إليها بحرف (ك) مختزلة من كلمة (كويل) ، بمعنى الأصل ، ومنهم من يسمي هذه النسخة (لوجيا) بمعنى الأقوال ويريدون بها الأقوال الشفوية التي سمعت ثم كتبت على القول الراجح عندهم باللغة الآرامية ، ويعللون اتفاق متى ولوقا في بعض النصوص باعتمادهما معا على تلك النسخة المفقودة .

أ ـــ متى :

ذكر الباحثون [98] ترجمة متى الحواري الذي كان أحد الحواريين ، وقصة اتصاله بعيسى ، وانه كتب إنجيله باللغة العبرية ، إلا أنهم اختلفوا في تحديد تاريخ تدوينه الانجيل ، وكيف وصل إلينا باللغة اليونانية ، لأنه مقطوع السند إلى الكاتب والتاريخ ، وقد نقل هذا الخلاف رشيد رضا

---

(95) انظر د. اسد رستم في كتابه «آراء وابحاث» من ص : 216 الى 227 .

(96) ول ديورانت «قصة الحضارة» ج 11، ص : 207.

(97) العقاد «عبقرية المسيح» ص : 192 .

(98) ول ديورانت «قصة الحضارة» ج 11 ، ص : 280، باجهجي زاده ، الفارق بين المخلوق والخالق ص : 19. وهو اوفى من كتب في الترجمة، ورشيد رضا في تفسير المنار ج 6 ص : 293، ابو زهرة «محاضرات في النصرانية» ص : 43 ، متولي شلبي اضواء على المسيحية ص : 41، ابراهيم خليل احمد «محمد في التوراة والانجيل والقرآن» ص : 78 .

وأبو زهرة ومتولي شلبي عن ابن البطريق وجرجيس زوين و د . بوست ، حتى قال البعض بأنه من تأليف أتباع متى وليس من أقوال الحواري نفسه . وأكثر العلماء يرجعون به إلى ما بين 90/85 م ، والذي يلاحظ من ترجمة متى أن إنجيله مجهول التاريخ وفي لغة تدوينه اختلاف ، والنسخة الأصلية معترف بضياعها إلى أن المترجم مجهول .

ولذا نرى هورن يذكر عدة سنوات لتحديد تأليف هذا الانجيل 37 ، 38 ، 41 ، 43 ، 48 ، 61 ، 62 ، 63 ، 64 ، بلا حجة أو برهان على ذلك [99] ، فإذا كانت الأسس التي يقوم عليها هذا المؤلف مجهولة وغير معروفة ، فهل نستطيع قبول هذا الانجيل أو الحكم عليه بالصحة والأخذ منه في أمور الحياة ؟

وقد نقل صاحب الفارق بين المخلوق والخالق عن نورتن هذا التلاعب بالأناجيل من قبل اليهود نظرا لعداوتهم للمسيحيين . ونقل عن البعض أمثال « جامعو تفسير هانري واسكات [100] ان الناصريين أو اليهود الذين دخلوا في الملة المسيحية حرفوا الانجيل العبراني ، بالاضافة إلى ما تناوله صاحب الفارق من بيان التناقضات والعيوب الواردة في إنجيل متى يمكن معرفتها في محلها .

ب ــ إنجيل مرقس :

اسمه يوحنا ، وليس من الحواريين وإنما من اليهود الاويين [101] ، كتب إنجيله بناء على طلب أهالي « روميه » ذلك لأنه كان ينكر ألوهية المسيح كما يذكر صاحب بروج الأخبار وأنه كان تلميذا لبطرس بينما ذكر صاحب مرشد الطالبين أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة 61 م لنفع الأمم

---

(99) انظر باجه جي زاده، الفارق بين المخلوق والخالق ص : 19، رشيد رضا في تفسيره المنار ج 6، ص : 393، ابو زهرة محاضرات في النصرانية، ص : 43 .

(100) نقلا عن باجه جي زاده . ص : 19 .

(101) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ص : 316، ابو زهرة محاضرات في النصرانية، ص : 44 .

الذين كان تنصرهم بخدمته . ويذكر ديورانت [102] مخالفة إنجيل مرقس لما كان مع الحواريين ، كما اختلف كذلك في تحديد الزمن الذي كتب به هذا الانجيل بين 63/56 على ما يذكر هورن .

وكما يقوم الشك في متى يقوم هنا فيمن كتب هذا الانجيل ومتى كتب لأن العلم لا يقبل مثل هذا الاضطراب المنقول في هذا الانجيل . بالاضافة إلى ما نقله العقاد [103] في كتابة هذا الانجيل التي تتراوح بين سنتي 70/67 .

ج ــ إنجيل لوقا :

اختلف في أصله هل هو روماني من إيطاليا أم أنطاكي من أنطاكيا . كما اختلف في نوع العمل الذي كان يمارسه هل هو مصورا أم طبيبا [104] . ووقع الاتفاق على أنه من تلاميذ بولس ، لم ير المسيح عليه السلام ولم يسمع منه ، ولم يكن من تلاميذ الحواريين كذلك .

كما حصل الخلاف في القوم الذين كتب لهم هذا الانجيل . فقيل كتب لليهود وإنجيل مرقس كتب للرومان وإنجيل يوحنا للكنيسة العامة ، وقيل بأن لوقا كتبه لليونان . كما اختلف في السنة التي كتب فيها هذا الانجيل بين 64/58 ودون فيه ما سمعه من بولس ولعله أضاف إليه جزءا من النسخة المفقودة ثم جزءا من إنجيل مرقس بعد اطلاعه عليه ، وكانت كتابته على الأرجح سنة ثمانين كما يقول العقاد .

ويقول صاحب « الفارق بين المخلوق والخالق » : « اختلف

---

(102) قصة الحضارة، ج 11، ص : 208.
(103) عبقرية المسيح، ص : 192 .
(104) انظر ول ديورانت (قصة الحضارة) ج 11، ص : 209.
رشيد رضا في «تفسيره المنار» ج 6 ، ص : 296 .
ابو زهرة «محاضرات في النصرانية» ص : 46 / 47 .
العقاد «عبقرية المسيح» ص : 193 .
متولي يوسف «اضواء على المسيحية» ص : 44 .

النصارى في لوقا اختلافا كليا بحيث يمكننا أن نلحقه في الجهالة بمترجم إنجيل متى ، ونقل عن « لاردن » انه كتب إنجيله بعدما حرر مرقس إنجيله ، وذلك بعد موت بطرس وبولس . »

وبذلك تظهر لنا الحقائق التالية :

1 ـــ الاتفاق على أن لوقا ليس من الحواريين ولا من تلاميذ الحواريين .

2 ـــ الخلاف حاصل في جنسيته وصنعته وإلى من كتب .

3 ـــ إنه من تلاميذ بولس وكتب بعد موت بولس مع الخلاف في السنة التي دون فيها تعاليم أستاذه بولس ناقلا بعضها في إنجيل مرقس .

وعلى هذا فلا يطمئن العلم إلى الأخذ من هذا الانجيل نظرا لهذا الغموض الذي يحوطه من جوانب متعددة .

د ـــ إنجيل يوحنا :

هذا الانجيل آخر الأناجيل كتابة ومراجعة . والخلاف حاصل من كتب هذا الانجيل ، هل هو نفسه يوحنا ؟ أم أحد طلبة مدرسة الاسكندرية ؟ كما يقول « استادلين » . كما كانت فرقة (ألوجين) تنكر هذا الانجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا في القرن الثاني .

وينقل صاحب « الفارق بين المخلوق والخالق » [105] إن الكتاب زبدة أفكار خمسمائة عالم نصراني اجتمعوا على تأليفه ، ويضيف نقلا عن دائرة المعارف الكبرى الانجليزية ، كما نقل ذلك أبو زهرة ان إنجيل يوحنا مزور ، أراد صاحبه مضادة حواريين ليعضهما وهما القديسان يوحنا ومتى ، وادعى المزور أنه الحواري الذي يحبه المسيح ، ولذلك قالت الكنيسة بأن واضع هذا الانجيل هو يوحنا ، ووضعت اسمه على الكتاب .

---

(105) باجه جي زاده ص : 342 .

ولهذا الانجيل خطر وشأن أكثر من غيره في نظر الباحث لأنه الانجيل الذي تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح ، الأمر الذي جعل الكثيرين كما يقول ديورانت يشكون في صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنا كما يؤكد مناقضة هذا الانجيل للاناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح .

واختلف المسيحيون [106] في تاريخ تدوين هذا الانجيل « فيوست » يرجح أنه كتب سنة 95 أو 98 وقيل 96 ، ويقول هورن سنة 68 أو 69 أو 70 أو 89 أو 98 . ولم يتفق على تاريخ معين في التدوين كما في « مرشد الطالبين » .

وقيل في سبب الكتابة إنه عندما سادت فكرة أن المسيح ليس بإله من قبل فرق كثيرة في الشرق طلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية فكتب هذا الانجيل ، وأكد هذا « جرجس زوين » و « يوسف الدبس » بأن الاساقفة طلبوه من يوحنا سنة 96 م [107] .

والذي يفهم من هذه الترجمة أن الاناجيل الثلاثة الأولى بقيت ما يقرب من القرن الأول لا تقول بألوهية عيسى ، وجاء يوحنا وقال بذلك بطلب من الاساقفة سنة 96 ضد من أنكر ألوهية عيسى من الفرق الشرقية ، الأمر الذي يؤكد أن يوحنا هذا ليس من التلاميذ ولم ير السيد المسيح وهو من « افسس » كما نقل هذا العقاد عن بعض النقاد .

فالجهل يحيط يوحنا هذا مؤلف الانجيل الرابع ، وجهل تاريخ تدوين وسبب هذا التدوين . وخلاف المسيحيين فيمن كتب هذا الانجيل الرابع .

وبعد فما القيمة لهذه الأناجيل بعد أن عرفنا :

---

(106) أبو زهرة : محاضرات في النصرانية، ص : 52.

(107) لم يختر الله هؤلاء الكتاب الأربعة، ولم يخبرهم بشيء، بل كتب كل واحدة منهم انجيله طبقا لبيئته وعصره واثبات ما يريد اثباته. ولا تتفق الاناجيل الاربعة الا على النزر اليسير الذي يمكن الاستغناء عنه دون ان يؤثر في فهم الانجيل، ودون ان ينقص من سعادة الناس .
من «سبينوزا» في : رسالة اللاهوت والسياسة، ص : 75 .

1 ـــ أنها ليست من إملاء عيسى عليه السلام ، ولم يشهد كتابتها كذلك .

2 ـــ الجهل من حيث الكتاب في نسبهم وصفتهم ومكانتهم . فالاديب إذا درس في النقد الأدبي تدرس بيئته وأصله وصفته وأساتذته ، فكيف بكاتب إنجيل نزل من عند الله لا يعرف ؟ إذا في القضية سر كبير وواضح يكمن خلف هذا الغموض ، لمثل هذه المؤلفات ومؤلفيها ، وإيجادها بهذه الصورة من الاختلاف والاضطرابات والزيادات التي يبدو كما قال بيورانت أنها عن قصد لاثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم حتى وصف هذا النقل بما تنقله عقول العامية ، حيث قال : « ...ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ولما يرتكبه النساخ من أخطاء وتصحيح » [108] .

3 ـــ كانت هذه الأناجيل لرغبات خاصة أملتها عدة بيئات مختلفة ، وهذه الرغبات الخاصة مجهولة الأفراد والهيئات .

4 ـــ أنها تفقد صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب أن تتوفر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي .

ورغم هذا كله فالنصوص تشير إلى وجود إنجيل فرد قبل هذه الأناجيل كان عيسى عليه السلام يبشر به ، فأين هو هذا الانجيل ؟ ولماذا انقطع السند من الوصول إليهَ ؟ أو إشارة الكتاب هؤلاء بصورة مفصلة كذلك إليه ؟

3 ـــ الرسائل :

تسمى هذه الرسائل أعمال الرسل في الاصطلاح الكنسي

---

(108) قصة الحضارة ج 11 ص : 209. وكذلك نورتن الذي عزا التلاعب بالاناجيل الى اليهود على حسب عداوتهم الشديدة للمسيحيين وكما نقله باجه جي زاده في الفارق ان الناصريين او اليهود الذين دخلوا في الملة المسيحية حرفوا الانجيل العبراني، انظر ص :22 .

« الاسفار التعليمية » لأنها تشرح حياة السيد المسيح ومواعظه من الناحية التطبيقية التفسيرية [109] ، وهذه الرسائل تشرح المسيحية الحاضرة أكثر من الأناجيل وقد كتبت باليونانية كما يقول مؤرخوهم . وللباحثين كلام كثير في شأنها وقوة سندها ، وقيمتها من حيث الاستدلال [110] .

والرسائل إثنتان وعشرون رسالة [111] كتبها « لوقا » و « بولس » و « يعقوب » و « بطرس » و « يوحنا » و « يهوذا » و « رؤيا يوحنا » إذا اعتبرت فهي الثالثة والعشرون .

ويبدو أن الرسائل كانوا جميعا يؤمنون بأن المسيح سيعود بعد قليل ليقيم ملكوت السماوات على الأرض ، وكانوا يعتقدون أنهم قد تلقوا عن المسيح أو عن الروح القدس قوى عجيبة من الالهام وشفاء المرضى [112] ، فكانت كتابتهم هذه المعروفة بالرسائل ، وأهمها رسائل بولس التي تمت باستيعابها العقائد والطقوس المختلفة في ذلك العصر .

ولما كثر عدد المهتدين استولى الرعب على قلب الكهنة فقبض على بطرس وغيره وجيء بهم للمحاكمة أمام « السنهدرين » ، وكان لابد من إعدامهم ولكن فريسا يدعى « غمالائيل » ، أكبر الظن أنه معلم بولس

---

(109) متولي يوسف شلبي ، «اضواء على المسيحية» ض : 81 .

(110) ابو زهرة «محاضرات في النصرانية» ض 68.

(111) الاولى اعمال الرسل كاتبها لوقا .

الثانية الى الرابعة عشرة كتبها بولس الى عديد من البلاد وهي : رسالة الى اهل روسيا، ورسالتان الى «كورنتوس» ورسالة الى «غلاطية» ورسالة الى «افسس» ورسالة الى «فليبي» ورسالتان الى «كولوسي» ورسالتان الى «تيموتاوس» ورسالة الى «تيطاس» ورسالة الى «فيلمون» ورسالة الى «العبرانيين».

السادسة عشرة كتبها يعقوب .

والسابعة عشرة والثامنة عشرة كتبها بطرس .

والتاسعة عشرة كتبها الى الواحدة والعشرين «يوحنا».

والثانية والعشرون كتبها «يهوذا».

والثالثة والعشرون وتسمى السفر النبوي وهي عبارة عن رؤيا يوحنا، وتخالف في المنهج والهدف الرسائل السابقة لانها تعني بيان ألوهية عيسى وسلطاته بينما الرسائل الاخرى تعتبر مادة وعظ، وقصص عبادة، ودروس دين .

(112) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 242/ 243 .

أشار بتأجيل الحكم ثم وفق بين الرأيين بالجلد على المقبوضين وإطلاق سراحهم .

ثم وجهت التهمة إلى « استيفن » « اصطفانوس » أحد المشرفين على الكنيبسة بأنه يتكلم على موسى عليه السلام ، وأحضر إلى المحكمة ودافع عن نفسه دفاعا قويا ، مثبتا تزوير الحقائق للنيل من سلامته ، وكان من الملاحقين بهؤلاء التلاميذ إذ ذاك « بولس » ، وفر هؤلاء المطاردون إلى السامرة وأنطاكيا وواصلوا عملهم في الدعوة والتبشير بتعاليم المسيح .

1 ـ بطرس :

يقال إنه من الحواريين اسمه الأصلي سمعان ، عمل بالتبشير بعد المسيح ، وذهب إلى أنطاكيا ثم روما سنة 65 م ، حيث قبض عليه ووضع في السجن وحكم عليه بالموت صلبا من نيرون [113] .

ويقول صاحب مروج الأخبار أن بطرس وتلميذه مرقس صاحب الانجيل كانا ينكران ألوهية المسيح .

ويعقوب صاحب الرسالة هو يعقوب ابن زيدي الصياد أخو يوحنا وكان حواريا كأخيه ، وكان لشهرته بالطهارة يعرف بيعقوب البار ، وقد اغتاظ منه رؤساء اليهود فحكموا عليه بالموت في مجمعهم فمات رجما سنة 62 م ، وكان قد كتب رسالته سنة 61 م .

ويهوذا فيه خلاف هل هو الاسخريوطي الذي خان المسيح أم غيره وهو على أية حال له رسالة منسوبة إليه قيل إنه مات شهيدا ببلاد العجم .

(113) ابو زهرة «محاضرات في النصرانية» ص : 69 .
متولي يوسف شلبي «اصواء على المسيحية» ص : 82 .

2 ـ بولس :

أسهب الباحثون في الحديث عنه [114] ، لأن المسيحية تنسب إليه أكثر ما تنسب لأحد سواه ، فرسائله هي التي شرحتها بالاضافة إلى حركته الدائبة في التبشير والتبليغ .

أما ترجمته فهي في « سفر أعمال الرسل » ويكفينا أن نقف على نقط هامة في حياته ، ونتائج بحوث النقاد له .

بدأ حياته محاربا للمسيحية محاربة شديدة ، وساهم في عمليات الاضطهاد والقتل والتعذيب التي حصلت لأتباع المسيح عليه السلام وجاءه الهدى وهو في طريقه لمحاربة المسيحيين بقصة عجيبة في رسالة الأعمال [115] ردها ديورانت إلى مضايقات نفسية من عظم ما ارتكبه من قسوة وشدة في أفعاله ضد المسيحيين ويضيف قائلا :

« وكان الجو اليوناني الذي يحيط به في طرطوس يتحدث عن منقذ كما أن التوراة تتحدث عن حياة مسيح منتظر ، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية العجيبة الغامضة الفتانة ، الذي لا يتردد الناس في استقباله والموت من أجله هو ذلك المسيح المنتظر » ، وبعد بضعة أيام دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها إنه عيسى ابن الله [116] .

وانتقل من عدائه للمسيحية إلى مطاردة من اليهود نظير فعله هذا الذي لا يوافقهم ، واستقبله بطرس [117] ، ورحب به برنابا واختفى في طرسوس ثمانية سنوات لا يعرف التاريخ عنه شيئا [118] .

---

(114) عبد الجبار الهمذاني تثبيت دلائل النبوة ج 1 ص : 157، ول ديورانت في قصة الحضارة ج 11 ص : 249، بولس الياس يسوع المسيح ص : 16، ابو زهرة في محاضراته ص : 70، احمد شلبي، مقارنة الاديان ص : 72 (المسيحية).

(115) فصل 9 فقرة 3/ 20 .

(116) قصة الحضارة ج 11، ص : 253

(117) غلاطية ف 1 ، فقرة 18 .

(118) قصة الحضارة ج 11، ص : 253 .

واشترك من بعد في التبشير مع برنابا إلى أن صار يبشر بالأشياء التي ليست في الانجيل . عندما افترق عنه برنابا ووضع إنجيله الذي اكتشف مؤخرا ليبين حقيقة بولس وتعاليمه .

ورسائل بولس في نظر المسيحية تتمة لما أوحى به إليه المسيح من العقائد في الانجيل الذي أخذه من التلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا .

فانبرى يطوف ويبشر ويبعث بالرسائل إلى الناس في المدن وقد ضمنها مجمل العقيدة المسيحية بعد أن علق عليها وأوضحها بما عرف عنه من نفاذ بصيرة وعمق تفكير .

ويقول بولس إلياس [119] « لقد ترك لنا بولس الرسول عن المسيح رسما واضح القسمات وإن اختلف ظاهرها عن رسم الأناجيل . فمسيح بولس هو مسيح الايمان أكثر منه مسيح التاريخ ، ولا عجب فبولس الفيلسوف واللاهوتي لم ير المسيح في الجسد ولا رافقه كبقية الرسل . فمسيحه هو ابن الله [120] ، له طبيعتان إلهية وإنسانية تجسد واتخذ صورة عبد وتحدر من ذرية ابراهيم حسب الجسد . »

وهذه اعترافات في رسالته الأولى إلى « كورنتس » [121] التي يقول فيها : « استعبد نفسه للجميع لربحهم ، يتلون بكل لون يعيش فيه لأن هدفه أن يكون شريكا في الانجيل .

وقال ديورانت [122] « لقد أنشأ بولس لاهوتا لانجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح ، كما أضاف بولس إلى هذا اللاهوت

(119) يسوع المسيح، ص : 16 ، ط 8

(120) رسالة بولس الى اهل روميا ف 80 ف 3 و 23، ورسالته الى اهالي غلاطية ف4، ف4 .

(121) فصل 9 فقرة 22/19 (لاني اذا كنت حرا من الجميع عبدت نفسي للجميع لاربح الاكثيرين. فصرت لليهود كيهودي لاربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس، مع اني لست تحت الناموس لاربح الذين هم تحت الناموس، للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع اني بلا ناموس الله .. وصرت كلا كل لاخلص الكل، وانا اصنع كل شيء لاجل الانجيل لاكون شريكا فيه).

(122) قصة الحضارة ج 11، ص : 263/ 264.

الشعبي بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سفر الحكمة وفلسفة « فيلون » . »

فهذه رسائل بولس التي بدأ كتابتها في سنة 54 وانتهى بانتهائها سنة 62 م في عهد نيرون ، وها أنت وقفت على أقوال الباحثين في رسائله بما فيها من زيادة ، وعن هدفه الذي تنصر من أجله وكيف كان قبل تنصره ، بالاضافة إلى أسئلة كثيرة تدور في الذهن عنه سنتعرض لها عند الحديث عن المسيحية والفلسفة بإذن الله .

الفصل الثاني

أثر الفلسفة على المسيحية

- المبحث الأول : التأثير الفلسفي على المسيحية.
- المبحث الثاني : المجددون.
- المبحث الثالث : أشهر الفرق النصرانية الفلسفية.
- المبحث الرابع : الثالوث.

المبحث الأول

التأثير الفلسفي على المسيحية

1 ـ بداية التأثير الفلسفي على المسيحية :

كانت المسيحية في أول الأمر بعيدة عن آراء الفلسفة لأن الدين وضع إلهي يقوم على الايمان بالله والتصديق بوعده . أما الفلسفة فتقوم على العقل المحض [123] .

وكان التأثير الفلسفي على المسيحية في أوائل عهدها حينما اعتنقها رجال مثقفون بالثقافة اليونانية المنتشرة حين ذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط [124] ، وهو الوقت الذي كان فيه المسيحيون مضطهدين من قبل

---

(123) انظر محمد علي مصطفى، في «تاريخ الفلسفة» ص : 173.

(124) انظر د. ابراهيم مذكور ويوسف كرم في «دروس في تاريخ الفلسفة» ص : 49. وأبو زهرة في «محاضرات في النصرانية ص : 173.

اليهود والوثنية الرومانية ، يضايقونهم ، ويختلقون الأكاذيب على أخلاقهم وعقائدهم كما أشرنا .

وصار هذا الفريق من المعتنقين للمسيحية بين أمرين إما المواجهة والمعاندة ، وفي ذلك أمر صعب في وجه الدولة الرومانية الحاكمة وإما أن يترددوا إلى الحضارة والحياة الفكرية الفلسفية اليونانية ويجعلوا لهم منها سندا في تأييد العقائد الدينية .

فكان الأمر الثاني أسهل لأن كثيرا ممن اعتنقوا الدين كانوا فلاسفة قبل أن يكونوا مسيحيين ، ولذلك أخذ رجال المسيحية يدرسون الفلسفة ويمزجونها بالدين ويجعلون للعقائد الدينية سندا منها [125] . وبذلك أخذت الفلسفة اليونانية تدخل في المسائل الدينية كتحديد ماهية الله وكنهه ، وطبيعة المسيح وهل هو إله أم إنسان اختير لتبليغ رسالة الله إلى خلقه ؟ وغيرها من المسائل التي كانت موضع خلاف بين الافلاطونية الحديثة والمسيحية من جهة ، وبين فرق المسيحية وفلاسفة اليهود من جهة أخرى .

وقال المعجبون بالفلسفة إنه لا تعارض بين الفلسفة والدين ، وبخاصة الفلسفة الافلاطونية بنزعتها العقلية الروحية ، بما فيها من تعدد آلالهة ، والقول بقدم المادة ، وقصر فعل الله على تنظيمها دون خلقها ...وغير ذلك مما يتنافى مع المسيحية كل المنافاة ، وراقت لهم فكرة الآله الخير الصانع المعنى بالعالم .وقسمة العالم إلى محسوس ومعقول ، وإثبات روحانية النفي وخلودها وتحقير الجسم والحياة العاجلة والحض على الزهد والتسامي إلى الاتحاد بالله الذي هو خير وجمال بالذات .

وقد قصد هذا اللقاء بين الدين والفلسفة إلى إيجاد نظم دينية من قبيل ما وراء المادة ، تتفق مع الاديان المتضادة اتفاقا يختلف قلة وكثرة كما

(125) انظر محمد علي مصطفى في «تاريخ الفلسفة» ص : 170.

يقول : « فندليز » [126] لاخراج الناس من الأزمة المادية والفكرية في ذلك العصر حيث كانت الطبقية في الدولة الرومانية ، بالاضافة إلى كثرة العقائد والأفكار المنتشرة آنذاك كعبادة التماثيل والأوثان [127] .

وعندما كان الناس خليطا في أجناسهم من اليهود والمسيحيين والوثنيين ، وخليطا في ثقافتهم المسيحية والوثنية واليهودية والفلسفية ، عندها قوي التأثير الفلسفي على المسيحية وبالذات حين دخل الفلاسفة بآرائهم المختلفة في دين المسيح عليه السلام ، سواء كان ذلك الاعتناق لمصالح شخصية كالتقرب من السلطة ، أو لرغبة المزج بين الاراء المتضادة للخروج بدين جديد يتناسب مع الأوضاع المعاصرة .

وكانت الأناجيل المتعددة ، وكان بعضها من قبيل الاسرائليات المتأخرة على المسيح ، لأن عيسى عليه السلام جاء وكشف تحريف اليهود وقد أتاه الله علم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . قال تعالى : ﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل﴾ [128] .

وكان البعض الآخر من هذه الأناجيل من وضع المتنصرين من مختلف الثقافات ، الذين أرادوا أن يكون منهم المسيح المنتظر أمثال ، بولس وتلاميذه لوقا ويوحنا ومرقس تلميذ بطرس ، عدا الأناجيل الأخرى التي أتلفت ولا ندري ماذا كان فيها على ما سنتبين من ذلك فيما بعد وتحت السيطرة لمن سموا أنفسهم نصارى ، طمعا في المركز والسيادة ، وقد موهوا على العامة بأنهم أنصار المسيح ، وحملة دعوته إليهم . قال تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [129] .

---

(126) أبو زهرة في «محاضرات في النصرانية» ص : 33.

(127) شيخ الاسلام ابن تيمية في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ز ج 1، ص : 117.

(128) سورة المائدة، آية 115.

(129) سورة التوبة آية 31 ، طذ.

2 ـــ المجددون والمحافظون :

يحدثنا الفصل الخامس عشر من أعمال الرسل أن قوما من الذين آمنوا بمذهب الفريسيين قالوا لابد من الاختتان على سنة موسى وترك سنة عيسى عليه السلام ، ومن لم يقم بهذا العمل فلا خلاص له . وجرت بينهم وبين بولص وبرنابا منازعة شديدة ، استمرت حتى علم بها الرسل والكهنة في أورشليم (القدس) حيث اجتمعوا للنظر في هذا الأمر ، وكان هذا الاجتماع ـــ كما يذكر أبو زهرة [130] ـــ بعد المسيح بإثنتين وعشرين سنة .

وافتتح بطرس ـــ أو على لسان بطرس [131] ـــ هذا الاجتماع بكلمة سوغ للمجتمعين أن ينصرفوا جهرا عما كانوا عليه من اتباع المسيح ، لأنه ينزل عليهم الروح القدس ، كما كان ينزل على النبيين من قبل .

ثم تلاه يعقوب [132] بالخطاب بعد أن قدم لحديثه مقترحا عليهم أن يحصروا المحرم على الأمم في أربعة أمور ، وهي الزنى ، وأكل المخنوق ، والدم ، وما ذبح للأوثان ، وسبب ذلك ما رأوه من تذمر بعض من يدعونهم إلى المسيحية حين يطلبون منهم بعض الأعمال الشرعية كالختان مثلا .

3 ـــ قرار التجديد :

قرر المجتمعون إرسال رجلين منهم مع بولص وبرنابا إلى أنطاكيا وهما

---

(130) أبو زهرة في «محاضرات في النصارنية» ص : 117.

(131) انظر أعمال الرسل فصل 15 فقرة 12/8 وهذا نصه : «أيها الاخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله من بيننا أن الأمم من فمي يسمعون، كلمة الانجيل فيؤمنون والله العارف بالقلوب فهي لهم إذ أعطى لهم كما لنا الروح القدس، ولم يفرق بشيء بيننا وبينهم إذ طهر بالايمان قلوبهم. فالآن لما تجربون الله لتضعوا على رقاب التلاميذ نيرا لم يستطع أباؤنا ولا نحن أن نحملها. ولكن بنعمة الرب يسوع نؤمن أن نخلص نحن مثل أولئك».

(132) فصل 15 فقرة 22/12 من «أعمال الرسل». واقتراحه هو قوله : «... فلذلك أحكم بأن لا يثقل على من يرجع إلى الله من الأمم. وبأن يرسل إليهم أن يمتنعوا من نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق الدم لأن موسى منذ الأجيال القديمة له في كل مدينة من ينادي به في المجامع إذ يتلى في كل سبت».

يهوذا المسمى (« برسابا » و « سيلا ») ، رجلان متقدمان في الأخوة ، وكتبوا بأيديهم هكذا [133] (من الرسل والكهنة والاخوة إلى الاخوة الفريق من الأمم في أنطاكية وسورية وكليكلية السلام .

قد سمعنا أن قوما منا خرجوا وأقلقوكم بأقوال مقلبين أنفسكم ونحن لم نأمرهم بذلك ، فلذلك رأينا نحن المجتمعين بنفس واحدة أن نختار رجلين فنبعثهما إليكم مع حبيبنا برنابا وبولص ، اللذين قد أسلما أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فبعثنا يهوذا وسيلا اللذين يخبرانكم بهذه الأمور مشافهة ، لأنه قد رأى الروح القدس . « ونحن » لا نضع عليكم ثقلا فوق هذه الأشياء التي لابد منها ، وهي أن تمتنعوا مما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنى . فإذا صنتم أنفسكم من هذا أحسنتم فيما فعلتم كونوا معافين .

وعندما وصل الرسل إلى أنطاكية قرأت الرسالة على الجمهور وفرحوا بالعزاء ، فاستمر يهوذا وسيلا بالوعظ مدة ثم انطلق يهوذا وبقي سيلا وحده .

أما بولص وبرنابا فبقيا في أنطاكية وهما يعلمان ويبشران بكلمة الرب مع آخرين كثيرين . ثم اختلف برنابا مع بولص في التبشير ، حيث زاد بولص ونقص لأنه اعتمد على الايمان فقط ، ولذلك افترق بولس مع سيلا [134] إلى سورية وكليكلية يبلغهم رسالة الكنيسة ووصايا الرسل والكهنة . وأخذ برنابا مرقص وأقلعا إلى قبرص ، وانقسما إلى فريقين ، فريق سمح لنفسه بالتصرف في التعاليم كبولس ، وفريق حافظ عليها كما هي واكتفى بالشرح والتفسير والتعليم كبرنابا ...

(133) أعمال الرسل، فصل 15 من 30/22.

(134) أعمال الرسل، فصل 15 من 41/39.

المبحث الثاني

حديث القرآن عن التجديد

قرآن كريم

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل . لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون .﴾

سورة المائدة آية 82/77 .

﴿وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يوفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ .

سورة التوبة آية 35/30 .

تجديد الأناجيل :

تظهر إشارة القرآن الكريم إلى تجديد الانجيل وتحريفه عندما وجه الأمر لأهل الكتاب بعدم الغلو في الدين حين قال تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ...﴾ [135] والغلو معناه الخروج عن الحد [136] ، وذلك لأن الحق بين طرفي الافراط والتفريط ، ودين الله بين الغلو والتقصير والغلو في الدين نوعان :

غلو حق : وهو أن يبالغ في تقريره وتأكيده .

وغلو باطل : وهو أن يتكلف في تقرير الشبه وإخفاء الدليل .

ومن هذا الغلو ذم اليهود للمسيح وأمه عليهما السلام والقول في هذه

(135) الآية 77 من سورة المائدة.

(136) انظر الرازي في «تفسيره» ج 12، ص : 62.

الأناجيل والرسائل بالألوهية ، والبنوة والصلب للفداء عن الخليقة إلى غير ذلك من زيادات ليست من عند الله ، إنما هي من قبيل هذا الغلو الذي نهى عنه الله في هذه الآية .

وأكد تعالى وقوع هذا الغلو من السابقين حين قال : ﴿... ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ...﴾ فالذي تجدونه الآن عمن سبقكم ليس من عند الله ، وليس من الدين وإنما هو (الهوى المتبع) حين وصفه تعالى ﴿... أهواء قوم قد ضلوا من قبل ...﴾ وما ذكر الله لفظ الهوى في القرآن إلا ذمه قال [137] ﴿... ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيلك﴾ ﴿ واتبع هواه فتردى﴾ ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾فهذا الذي تجدونه اختراع من صنع الشهوة دون الحاجة إليها بل أدت إلى اخرة غير محمودة .

فكانت هذه العاقبة ﴿... قد ضلوا من قبل ، واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ وهذا النص فيه بيان لثلاثة أمور حدثت نتيجة هذا الغلو هي :

1 ـــ بين تعالى أنهم كانوا ضالين من قبل .

2 ـــ ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم حيث اتبعوا فيما قالوه .

3 ـــ ثم ذكر أنهم استمروا على تلك الحال حتى أنهم الآن ضالون كما كانوا .

ولا نجد حالة أقرب من البعد من الله ، والقرب من عقاب الله من هذه الحالة وهم يعتقدون بفعلهم هذا الذي ضلوا به وأضلوا عن سواء السبيل أنه إرشاد إلى الحق ، لأن الهدف هو المصلحة ، ولكنهم أخطأوا حين تركوا ما خطه الخالق واتبعوا ما خطه المخلوق . وهذا يتناسب مع ما قاله الفلاسفة قبل قليل عن كيفية اتصال الفلسفة بالدين بقصد المصلحة العامة .

(137) انظر الرازي في تفسيره ج 12، ص : 63.

ثم يذكر تعالى مثلا من هؤلاء الذين ضلوا : ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ...﴾ [138] ويعلل هذا اللعن وهو الخروج من رحمته تعالى ﴿... ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ ثم يفصل هذا الاعتداء ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ...﴾ ويشنع على هذا الفعل ﴿... لبئس ما كانوا يفعلون ...﴾ ومن هذا موالاة الكفار على المؤمنين ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ...﴾ وأكثر من هذا كله اتخاذهم أولياء وسادة يرجعون إليهم حين قال : ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليهم ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ .

ثم أكد تعالى على أن اليهود والمشركين سواء في العداوة للذين آمنوا ، سواء كان ذلك في زمن عيسى حيث تمثل في تضامن اليهود والرومان عليه وعلى أتباعه ، أو كان على تعاليمه عبر التاريخ حتى جاء محمد رسول الله وهم كذلك لا زالوا يتآمرون على هدم الأديان وملاحقة القائمين عليها .

وأكد تعالى هذا الغلو في سورة التوبة حين قال : ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ... [139] . فاليهود سبقوا النصارى في هذا القول ، ثم ذكر تعالى أن هذا القول قيل قبل هؤلاء جميعا وإن كان هؤلاء أخذوا به ﴿... ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله . أنى يوفكون ﴾ .

والمعنى ؛ يشابهون قول من تقدمهم من الكفرة [140] . فالنصارى أخذت عن اليهود الذين قالوا عزير بن الله ، وهؤلاء أخذوا عمن سبقهم من الكفار والفلاسفة والأديان القديمة في مصر والهند كما سنرى .

---

(138) انظر الآيات 82/77 من سورة المائدة.

(139) الآية ثلاثين من سورة التوبة.

(140) أصل المضاهات في اللغة المشابهة واشتقاقه من قولهم : امرأة ضهياء وهي التي لا ينبت لها ثدي. وقيل التي لا تحيض والمعنى أنها اشبهت الرجال. انظر ابن الجوزي في زاد المسير ج 3، ص : 425 — ابن كثير والبغوي ج 4، ص : 149.

فهذا القول هو افتراء واختلاق على الله وعلى رسله ، وان وجد في الأناجيل ما يشير إليه فذلك من قبيل قوله تعالى : ﴿... ذلك قولهم بأفواههم ...﴾ يؤكد هذا قوله « يضاهئون » ، وفي هذا دليل قاطع بأن هذه العقيدة ــ البنوة ــ ليست من عند الله ولا اطلع عليها عيسى رسول الله ، فهي من مقولات البشر .

وفي الآية التالية بيان إلى أن سبب هذا هو اعتماد الرهبان والأحبار في كل شيء على أرباب من دون الله والمسيح بن مريم وقد مر بك كيف كان تآمر الأحبار على رسول الله عيسى ، وعلى أتباعه من بعده . والرهبان هؤلاء هم تلاميذ الفلاسفة ولم يأخذوا عن المسيح ولا عن أتباعه لأن الأتباع كانوا يعانون من التشريد والتقتيل ما يغني عن الذكر . فجاء التابعون هؤلاء من مدارس الفلسفة ودخلوا النصرانية بهدف أو بغير هدف [141] سعيا وراء البحث عن الحقيقة أو الطمع في السيادة أو القيادة أو التآمر على المسيحية وأتباعها . وهذا أكده تعالى بقوله : ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ...﴾ [142] ، همهم الوحيد هو القضاء على هذا النور الإلهي المتمثل في دعوة الرسل ومحافظة الأتباع من بعد ، بالوعظ والارشاد والتعليم . ولكن هذا القضاء كيف يكون ؟ الجواب واضح (بأفواههم) أي الافتراء والاختلاق ، تحليل الحرام تحريم الحلال [143] خلق الاباطيل ، مشابهة الذين كفروا بالقول ، ونسبته إلى المسيح وغيره من التلاميذ .

ولكن إرادة الله غالبة عندما قضت حكمته أن الحق واضح دائم بإرسال الرسل بالدعوات الخيرة والمحافظة عليها بأناس هيأهم الله لذلك . ﴿... ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ .

---

(141) بين بولص في رسالته الثانية إلى أهل كورنثيوس فصل 11 ف 15/13 وجود رسل كذبة يغيرون هيئتهم إلى هيئة رسل المسيح. وفي فصل 15 من أعمال الرسل بين أن اليهود كانوا يعلمون غير ما يعلم رسل المسيح بين المسيحيين.

(142) الآية 32 من سورة التوبة.

(143) انظر ابن كثير في تفسيره ج 2، ص : 348.

ثم يذكر لنا تعالى تفصيلا عن صفات هؤلاء الأحبار والرهبان بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله [144] .

فهذه غالبية الرهبان والأحبار هدفهم معروف ، المصلحة الشخصية بجمع الأموال والضحك على الناس ، ومحاربة الحق والبعد عن الله لأنهم بفعلهم هذا يضمنون لهم بقاء السيطرة وأكل الأموال ، وهم أبعد ما يكونون عن المسيح وتعاليمه ، وقد تنبأ المسيح [145] لهؤلاء المارقين وأمر بعدم الأخذ عنهم وتكذيبهم .

ولهؤلاء المارقين ومصيرهم الذي ينتظرهم من العذاب الأليم نظير كفرهم وصدهم عن سبيل الله بما فعلوه من تغيير الكتاب ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[146] .

---

(144) الآية 34 من سورة التوبة.

(145) لوقا فصل 19، 44/41 متى فصل 23، 38/37.

(146) آية 79 من سورة البقرة.

المبحث الثالث

المجددون (النصارى)

1 ــ كتاب الأناجيل .

سبقت الاشارة إلى كتاب الأناجيل الأربعة قبل قليل ، والنتيجة التي توصل إليها الباحثون من العلماء من انقطاع سند هذه الأناجيل برسول الله عيسى عليه السلام ، وانقطاع سند نسبتها إلى كتابها من الحواريين والوقت الذي كتبت فيه والبيئة التي كان يعيشها الكاتب بالاضافة إلى الاعترافات التي ذكرتها هذه الأناجيل بوجود إنجيل واحد كان يبشر به عيسى عليه السلام وضياع خبر هذا الانجيل نهائيا .

وورد ذلك على لسان بولص في رسالته مثل الرسالة الثانية إلى أهل

كرونثيوس [147] أن هؤلاء الذين يحرفون إنجيل المسيح رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى رسل المسيح .

وفي أعمال الرسل [148] ما يوضح هذه المسألة وهي أن اليهود كانوا ينبئون بين المسيحيين ويعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح ، وأن الرسل واجهوا هذه العملية بعمليات تبشير موجهة قام بها برنابا وبولص إلى أنطاكية محذرين من هؤلاء المعلمين الكاذبين ، وان بولص وبرنابا تشاجرا وافترقا هنالك وكان ذلك بسبب اختلافهما على تعاليم المسيح الحقيقية ، فبرنابا يذكر في مقدمة إنجيله أن بولص كان من الذين خالفوا المسيح في تعليمه ، ولا شك أن برنابا أجدر بالتقديم والتصديق من بولص لأنه تلقى عن المسيح مباشرة ، وكان بولص عدوا للمسيح والمسيحيين .

ولكن النصارى رفضوا إنجيل برنابا المملوء بالتوحيد والذي كان سبب تأليفه مخالفات بولص وإضافاته ، وآثروا عليه رسائل بولص وأناجيل تلاميذه مرقص وكذا يوحنا — كما حققه بعض علماء أوربا — [149] لأن تعاليم بولص كانت أقرب إلى عقائد الرومانيين الوثنية ، فكانوا هم الذين رجحوها ورفضوا ما عداها إذ كانوا أصحاب السلطة الأولى في النصرانية وهم الذين كونوها بهذا الشكل .

وهذه بعض الاعترافات والشهادات التي أدلى بها الباحثون من غير المسلمين والتي تؤكد تجديد الأناجيل :

1 — قال (فاستس) [150] في القرن الرابع الميلادي (أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعيبوا صورته الحسنة وأفضليته ، لأن هذا الأمر محقق . إن هذا العهد الجديد ما صنعه المسيح ولا

(147) فصل 11 ف 15/13.
(148) فصل 15.
(149) انظر رشيد رضا في تفسيره المنار ج 6، ص : 292.
(150) بكر عمر التميمي النابلسي في كتابه «السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل» ص : 30.

الحواريون ، بل صنعه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ، خوفا من أن لا يعتبر الله تحريره ، ظانين أنه غير واقف على الحالة التي كتبها . وآذى المريدين لعيسى إيذاء بليغا بأن ألف الكتب التي توجد فيها الاغلاط والتناقضات .

2 ــ قال (سيلسوس) (بدل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلا كأن مضامنها بدلت) [151] .

3 ــ قال (باركز) قالت ملة البروتستانت إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهد العتيق والجديد عن أن تصل إليها صدمة خفية لكن هذه المسألة لا تقدر أن تقوم في مقابلة عسكر اختلاف العبارات التي هي ثلاثون ألفا [152] .

4 ــ قال صاحب « الكنز الجليل في تفسير الأناجيل » [153] ومتى كتب إنجيله أصلا باللغة اليونانية ، لكن لنا أدلة كثيرة على وجود نسخة عبرانية فقدت من عهد طويل . وهذا ما قاله صاحب مرشد الطالبين (وقيل إن متى بما أن غايته في كتابة الانجيل إفادة المتنصرين من اليهود في فلسطين فقد كتبه أصلا في الغبرانية) .

5 ــ ثبت معنا الحديث عن أصحاب الأناجيل أن مرقص ولوقا ويوحنا كلهم تلاميذ لبولص ، باستثناء متى المقطوع سنده والمختلف في لغة كتابته وسببها فتكون القضية كلها من صنع التآمر على المسيحية وطمس معالم الانجيل الأول وتسمية هذه الأناجيل بأسماء مستعارة ليقبلها العامة .

---

(151) نفس المرجع السابق، ص : 32.

(152) المرجع نفسه، ص : 32.

(153) مجلة الفتح، العدد 398 سنة 1353 هجرية.

2 ــ الرسل :

يذكر ديورانت [154] أن المسيحية نشأت من الايحاء الغامض العجيب الخاص بحلول الملكوت ، مستمدة دوافعها من شخصية المسيح إلا أنها اتخذت صورة العقائد الثابتة بما وضعه بولص ، وحصل لها النماء حينما استوعبت العقائد والطقوس الوثنية ، والسيادة بما ورثته من نظام روما .

وكان إلى جانب « بولص » بطرس ، يبذلان ما وسعهما الجهد ويتنافسان لهداية روما التي وصلوا إليها سنة 41 م حتى نهايتهما في عام واحد سنة 64 م ، وبفضل هؤلاء ورثت المسيحية ما في الدين اليهودي من أشكال العبادات العبرانية واحتفالاتها ، وكذلك أساليب الادارة في المجامع وتنصيب القساوسة وكثيرا من الأعياد اليهودية كعيد (الفصح) وعيد (العنصرة) وان كانت قد تغيرت أشكالها وتواريخها .

وكانت المسيحية [155] حسب تعاليم بطرس يهودية ثم أصبحت في تعاليم بولص نصف يونانية وأضحت في المذهب الكاثوليكي نصف رومانية ، ثم عاد إليها العنصر اليهودي والقوة اليهودية حين دخلها المذهب البروتستانتي .

1 ــ بولص :

عرضنا لبولص [156] عند الحديث عن الرسائل بصفة عامة ونعرض له هنا مؤسسا ومركزا لديانة جديدة بصفة خاصة .

ولد في طرسوس من أعمال كليكيا حوالي عشرة ميلادية وكان من الفريسيين ، وطرسوس كانت تعج بالمبادىء الدينية والأخلاقية الرواقية التي

---

(154) قصة الحضارة ج 11 ص : 241. وينقل أحمد شلبي عن بيري (وكان عيسى يهوديا وقد ظل كذلك أبدا ولكن شاول كون المسيحية على حساب عيسى فشاول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية).

(155) قصة الحضارة ج 11 ص : 248.

(156) انظر ص : 142 من هذا البحث.

انتقلت إلى مسيحية بولص [157] ، فهو يستعمل اللفظ الرواقي (فيوما) أي النفس للدلالة على المعنى الذي يستعمل فيه مترجموه الأنجليز لفظ سبيريت الروح .

وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية أتباع للأرفية وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره وأنه إذا دعى بإيمان حق ، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة ، استجاب لهم وانجاهم من الجحيم ، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة .

أخذ العلم عن « غمالائيل » [158] على طريقة الناموس الدقيقة وغمالائيل حفيد « هلل » وقد خلفه في رئاسة السنهدرين « وواصل السنة القديمة سنة تفسير الناموس تفسيرا لينا راعى فيه ضعف النفس البشرية . واتخذ بولص تلك الطريقة ، والجدلية السوفسطائية في بعض الأحيان في تفسير الكتاب المقدس .

أما عقله فكان من طراز شائع كثيرا بين اليهود : كان فيه من نفاذ البصيرة ، وشدة الانفعال أكثر مما فيه من الدماثة والظرف . وكان فيه من الاحساس القوي ، والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية إلى الأشياء . وكان قويا في العمل لأنه ضيق التفكير .

وكان يعتقد أنه ملهم موحى إليه قادر على فعل المعجزات [159] . بدأ حياته متزعما الاضطهاد الأول للمسيحيين في (أورشليم) القدس وسار إلى دمشق لمحاربة المسيحية هناك . وفي الطريق حصلت له الهداية كما يدعي ، إلا أن ديورانت ذهب إلى تفسير حالة بولص هذه بالصرع حين قال [160]

(157) قصة الحضارة ج 11 ص : 249. شلبي، في كتابه المسيحية ص : 74.
(158) قصة الحضاره ج 11 ص : 250.
(159) «أعمال الرسل» ف 18 فقرة 9 و ف 22. فقرة 11/6.
(160) «قصة الحضارة» ج 11 ص : 252.

« ولعل ما قاساه من التعب في سفره الشاق الطويل في شمس الصحراء اللافحة أو لعل ومضات برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة ، لعل شيئا من هذا أو ذاك كله قد أثر في جسم ضعيف ربما كان مصابا بالصرع فحدثت له القصة .»

وكان الجو اليوناني الذي يحيط به في طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية ، كما تتحدث علوم بني جنسه من اليهود عن مسيح منتظر فلم لا يكون بولص نفسه هو المسيح المنتظر ؟ ولذلك قال أنا رسول من ربنا يسوع المسيح مغيرا نهجه وخطته بنهج وخطة جديدة ليصل إلى مبتغاه الذي أراده (161) .

ويرى كثير من الباحثين أن عداوة بولص للمسيحية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها وليستمر في حربها بسلاح جديد ؛ سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها (162)

ـــ رسائله :

كتبها وهو في السجن إلى أتباعه البعيدين عنه ، وكان قد قضى عشر سنين في كتابتها ، حيث كان يمليها بدون مراجعة ولا تنقيح ، واعتبرها البعض (163) من أقوى وأبلغ ما كتب من الرسائل في أدب العالم .

وقد احتفظت بهذه الرسائل الجماعات التي وجهت إليها ، وكثيرا ما كانت تتلى على الناس جهرا ، حتى انتشرت بين الناس . فهذا « كلمنت » الروماني يشير إليها في عام 97 م و « اجناسيوس »

---

(161) رسالته الأولى إلى أهل كورنثويس فصل 9 فقرة 22/19، انظر أحمد شلبي في مقارنة الأديان ـــ المسيحية ـــ ص : 89.

(وقد ساعد بولص في ذلك تكوينه الرباني اليهودي ومعرفته بتاريخ الأنبياء ودراسته لطرق التأويل وإحاطته بثقافة العصر اليونانية خاصة وأن دعوته موجهة إليهم حتى سمي حواري «الأمم» انظر اسبينوزا «رسالة اللاهوت والسياسة) ص : 72.

(162) أحمد شلبي في كتابه «مقارنة الأديان» ـــ المسيحية ـــ ص : 89.

(163) ول ديورانت «قصة الحضارة» ج 11 ص : 262.

و « يوليكارب » ولم تلبث أن دخلت في أخص خصائص اللاهوت المسيحي .

3 ــ لاهوت بولص في نظر ديورانت :

يذكر ديورانت أن لاهوت بولص يتميز بما يلي [164]:

1 ــ لا سند له من أقوال المسيح إلا بعض الأقوال الغامضة .

2 ــ تأثره بانقباض نفسه وندمه على اضطهاد المسيحية في البداية .

3 ــ تأثره بنبذ الافلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شرا وخبثا [165].

4 ــ لعله تذكر سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس التي تقول بأن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم ليكفر بموته عن خطيئته وهذه الفكرة كانت مقبولة عند الوثنيين أكثر من اليهود .

ثم يذكر أن بلاد مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة [166] من زمن بعيد كـ« أوزريس » و « ايتيس » و « ديونيشس » التي ماتت لتفتدي بموتها بني الانسان . وكانت ألقاب مثل « سوتر » (المنقد) و « اليوتيوس » (المنجي) تطلق على هذه الالهة . وكان لفظ كريوس (الرب) الذي سمى به بولص المسيح هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية السورية على « ديورنيشس » الميت المفتدي .

ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا المسيح بجسمه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم

---

(164) ول ديورانت «قصة الحضارة» ج 11 ص : 264.

(165) ينقل أحمد شلبي في كتابه «المسيحية» ص : 76 عن بيري «... قد ادخل بولص على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجلب له العامة من اليهود كما أدخل فلسفة الاغريق ليجلب أتباعا له من اليونان».

(166) ول ديرانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 264.

المنقذين ، ولهذا ناداهم بولص بقوله « هو ذا سر أقوله لكم » .

5 ــ وأضاف بولص إلى هذا اللاهوت الشعبي بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سفر الحكمة ، وفلسفة فليمون من ذلك قوله « المسيح حكمة الله » « ابن الله الأول » ، بكر كل خليقة ، فإنه فيه خلق الكل ... والكل به وله قد خلق ، الذي هو قبل كل شيء ، وفيه يقوم الكل .

6 ــ وليس هو المسيح المنتظر (المسيا) اليهودي الذي سينجي اسرائيل من الأمر بل هو الكلمة الذي سينجي الناس كلهم بموته . وقد استطاع بولص بهذه التفسيرات كلها أن يغض النظر عن حياة يسوع الواقعية وعن أقواله التي لم يسمعها منه مباشرة [167] .

4 ــ عماد بولص :

1 ــ المسيحية ليست دينا لليهود بل هي دين عالمي وكان بولص أول من قال بهذا ونادى به في رسائله [168] .

2 ــ يعترف الكتاب المسيحيون أن الحواريين الأوائل لم يفهموا هذه الحقيقة حتى اكتشفتها عبقرية بولص [169] .

3 ــ إرضاء طبقة السادة الحاكمة [170] فجعل طاعتهم دينا كإطاعة المسيح كما قال للعبيد ، وكما كان يكتب إلى تلميذه تيطس .

---

(167) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، المسيحية ص : 79، وينقل عن ريلزنس أف ذا ويرد «... وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولص كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة في (مفراس) و (سبيل) فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولص، وعمد كذلك ليرضي المثقفين اليونان فاستعار من فلاسفتهم وبخاصة (فيلو) فكرة اتصال الاله بالارض عن طريق الكلمة أو ابن الاله أو الروح القدس.

(168) (رسالته إلى أهل رومية الأولى ف 5 فقرة 16/14 و 29/25 رسالته إلى أهل كورنتويس) الأولى فصل 12 ف 13.

(169) انظر أحمد شلبي في المسيحية، ص : 76.

(170) افسس فصل 6 ف. 7/5. تيموتاوس الأولى فصل 6 ف 1، تيطس فصل 3 ف 1.

4 ــ التحليل والتحريم حسب البيئة ، مع استغلال الفرص [171] .
كانت نساء الروم تبغض دين الأنبياء من بني إسرائيل لما فيه من جواز الطلاق والزواج للرجل ، فقيل لبولص أأنت ممن يقرون هذا ؟ فقال لا ، لا يحل للرجل أكثر من امرأة واحدة على أحكام الروم ، فنفق على النساء بهذا . واحتال به على امرأة الملك في مساندته للايقاع باليهود الذين قاوموا دينه الجديد ، وأباح لها الركوب في موكب الملك مكشوفة الوجه ، ومخاطبة الناس وأن تأمر وتنهى . فكان له ما أراد وتقرب إلى الروم بأن تسمى (بولص) وهو من أسماء الروم . واسمه القديم شاؤول .

والروم تكره الختان شديدا في الرجال والنساء وتبغض الأمم التي تفعلها ، فسألوا بولص عن ذلك فقال هو ما ترون ، ولا يجب عليكم الختان وإنما يجب على بني اسرائيل .

والروم تأكل الخنزير فقال بولص ليس بحرام ولا يحرم على الانسان شيء يدخل جوفه ، وإنما يحرم عليه الكذب يخرج منه . وبنو إسرائيل لا تأكل ذبائح الوثنيين ، فأباح لهم بولص ذلك ولم يخالفهم بشيء .

وكانت الروم تصلي إلى مشرق الشمس ولا ترى وجوب الوضوء ولا غسل الجنابة ولا الحائض والتوقي من البول والغائط والدم ولا تراه فحشا . والروم تزوج الوثنيين وسائر الأمم . وبنو إسرائيل لا تفعل ذلك ، وعندما سئل بولص عن هذا قال : تزوج المؤمنة بالكافر وتطهره ، ولا ينجسها والولد بينهما طاهر . وأشار إلى أن التوراة تحرم هذا ، والتوراة شر كلها وبذلك تحول بولص إلى ديانة الروم ، فقال الهمذاني (النصارى ترومو ولم تجد الروم تنصروا) .

(171) انظر عبد الجبار الهمذاني : تثبيت دلائل النبوة ج 1 ص : 160/157. شيخ الاسلام ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج 1 ص : 117. سبينوزا : رسالة اللاهوت والسياسة ترجمة د. حسن حلفي، ص : 71.

وبقي هكذا إلى أن جاء نيرون وعرفه على حقيقته وأقام الحجة عليه حين سأله عن الختان وهل المسيح اختتن ؟ فأنكر ذلك وشتم من صنعه فكشف عنه فإذا هو مختون ، فأمر الملك به فصفع وحلقت لحيته وصلب .

المبحث الرابع

أشهر الفرق الفلسفية النصرانية

1 ــ الأدرية والمارسيونية :

لقد طرأت على المسيحية بدع كثيرة في القرون الثلاثة الأولى ، من تأثيرات متنوعة منها العقل اليوناني المولع بالنقاش والجدل [172] ، وعلى الخصوص فيما وراء الطبيعة . أضف إلى ذلك جو الاضطهاد العام الذي أشرنا إليه قبل قليل وما كان يبيت من تآمر على التبديل والتغيير ، ومن سعي إلى الطموح الشخصي لافراد رأت في نفسها المسيح المنتظر .

أ ــ فقد كانت (الادرية) [173] التي تقول إن المادة قديمة وإن الشر من طبيعتها ، وتخلط بين النصرانية ومذهب الماديين والمجوس . هدفها طلب العلم الرباني عن طريق التشوف ، فهي لم تكن كفرا بالمسيحية بقدر ما كانت منافسة لها ، وهي في الأصل قبل المسيح وبشرت بالمنقذ (ستور) قبل أن يولد المسيح .

---

(172) يقول«جوتيه» في المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ص : 93.
(إن المسيحية تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية، فاللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي كانت فيه الأفلاطونية الحديثة ولذا نجد بينهما مشابهات كثيرة «أحمد شلبي / المسيحية، ص : 93.

(173) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص : 292.

ب ـــ وقصة مرسيون ، وهو شاب ثري [174] من أهل سينوب ، جاء من روما عام 140 م محاولا أن يتم عمل بولص في تخليص المسيحية من اليهودية . ميز بين أب عيسى في أنه إله رحيم غفور محب حسب ما في الأناجيل ، وبين « يهوه » كما يصفه العهد القديم في أنه إله حرب صارم غليظ القلب . ولا يمكن أن يكون يهوه أبا للمسيح الوادع .

ويقول إن الأخيار هم الذين يفعلون ما فعله بولص ويتركون اليهودية والكتب العبرانية المقدمة ، والزواج والذات الجنسية جميعها ، ويتغلبون على الجسم بالزهد الشديد . وعمل على نشر هذا كله في عهد جديد غير المعروف ، يتكون من إنجيل لوقا ورسائل بولص ، ثم أصدرت الكنيسة قرارا بحرمانه وردت إليه المال الذي كان قد تبرع به عندما قدم إلى روما .

ج ـــ الميتنانسية :

وإلى جانب الادرية والمرسيونية ظهر زعيم جديد لشيعة أخرى في « ميسيا » (سنة 156 م) يدعى (مينتانس) حمل على تعلق المسيحيين المتزايد بشؤون هذا العالم ، وسلطان الأساقفة المطبق على الكنيسة . ونادى بالعودة إلى المسيحية الأولى وقوتها .

2 ـــ مدرسة الأسكندرية :

نشأت بالأسكندرية [175] إلى جانب المدرسة اليهودية والمدرسة الوثنية وكانت في أول أمرها دينية بحتة تتناول الأمور المتعلقة بالدين فقط ، وتعرض العقيدة لكل من يريدها ، ثم سارت على نهج الطريقة اليهودية والوثنية حيث تناولت العلوم على اختلافها ، ومنها الفلسفة قبل الخوض في شرح الكتب المقدسة . وكان من علماء الأسكندرية اثنان انتصرا للفلسفة صراحة وناضلا دونها هما :

---

(174) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 315.

(175) د. ابراهيم مدكور : يوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة، ص : 50. أحمد شلبي، المسيحية ص : 93.

أ ــ كليمان (150 ــ 215 م) : الذي ولد من أسرة أثينية والتحق بالمدرسة ثم صار زعيمها ، عرف الأفلاطونية فوجدها أفضل المذاهب لكنها لم تشبع ما في نفسه من البحث ، ثم تنصر فاطمأن ، ومن أقواله المأثورة : إن الفلسفة (وحي) ثالث أنزله الله على اليونان كما أنزل الشريعة على اليهود ليوجههم جميعا إلى المسيحية ، وإن الحقيقة واحدة ، فالتوفيق ممكن بين الفلسفة والدين ، الفلسفة تمهيد للدين وإن كانت تمهيدا غير ضروري ، إذ آمن كثيرون من دونها على أنها تعاون على فهم الدين وعلى صد الهجمات السفسطائية الموجهة للحكمة الالهية .

ب ــ أوريجان (185 ــ 254 م) : مصري من أسرة مسيحية ، أخذ عن (امونيوس) سكاس مؤسس الأفلاطونية الجديدة وعرف افلوطين عنده . ولكنه نقل فن اليونان إلى العقيدة المسيحية على حد قول (فورفوريوس) عنه . ومؤلفاته كلها شروح على الكتب المقدسة طافحة بالفلسفة . وإنه ليصعب علينا أحيانا أن نفرق بين فلسفة التلميذ والأستاذ كما يقول ديورانت [176] .

ج ــ افلاطونس [177] ولد في (ليفوبوليس) في مصر سنة 203 م ، ذهب إلى الأسكندرية وأخذ عن (امونيوس) (اسكاس) الرجل المسيحي الذي ارتد إلى الوثنية وكان يحاول التوفيق بين المسيحية والأفلاطونية .

درس عليه افلاطونيس عشر سنوات . ثم توجه إلى الشرق يتلقى الحكمة من المجوس والبراهمة أنفسهم . ثم رجع إلى الاسكندرية وفي جعبته خليط من ألوان الثقافات ، فراح يدرسها ، وانتشر مذهبه الفلسفي واشتهر ، فضمه الامبراطور (جالينوس) إلى حاشيته ورضي أن يساعده على أن ينشيء في (كميانيا) مدينة أفلاطونية تحكم على مبادىء جمهورية أفلاطون .

---

(176) قصة الحضارة ج 11 ص : 310.

(177) قصة الحضارة ج 11، ص : 299.

وكان افلوطينس من أكبر الممثلين للفلسفة الدينية الصوفية وكان أساسَ تعاليمه أمور ثلاثة :

1 ــ الكون نشأ عن الخالق الأزلي الأول الذي لا تحده الأفكار .

2 ــ الأرواح شعب لروح واحدة تتصل بالخالق الأزلي عن طريق العقل المنبثق عن الخالق الأول .

3 ــ والعالم كله في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة « المنشيء والعقل والروح » .

ويقول عن الإله إنه هو أيضا ثالوث من :

الوحدة والفكر والنفس

ومن وراء الكائن يوجد الواحد ، وفي خلال الفوضى الظاهرية البادية في التعدد الدنيوي تسري الحياة الموحدة .

4 ــ ايرينيوس يندد بالنزاع [178] .

كان اسقف (ليون) ينادي بوحدة الكنيسة في كتابه (معارضة الالحاد) حينما شعر بكثرة الشيع المسيحية ، وقال إنه لا سبيل إلى منع المسيحية من أن تتفرق فتصبح ألف شيعة وشيعة إلا الرضا بالخضوع لسلطة واحدة تحدد مبادىء الدين .

وأحصى الشيع في زمانه فبلغت عشرين ، وأحصاها ايفانيوس سنة 384 م فوجدها ثمانين شيعة . ومن هذا تبرز الحقيقة العظمى التي فعلتها الفلسفة والثقافات الأجنبية في تعاليم المسيح ، وقد تعرضت من قبل هذا لمسح الكتاب والنساخ في القرن الأول حتى كان كل واحد يقول بما يشاء دون ضبط أو رابط علمي .

---

(178) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 306.

هـ ــ ترتليان [179] .

ثم جاء ترتليان الذي أحب الفلسفة وألف فيها كتاب (النفس) حاول فيه أن يطبق على المسيحية مبادىء الرواقية فيما وراء الطبيعة . ثم نبذ هذا وكل تفكير منفصل عن الوحي والالهام واستغرق في تزمت نكد بلغ فيه الحال في الثامنة والخمسين من عمره الخروج على المبادىء السليمة للدين المسيحي وانتهى به الأمر إلى أن أطلق على البابا (راعي الزانين) .

وكان يخاطب المرأة بأوقح الألفاظ ويصفها بأنها (الباب الذي يدخل منه الشيطان) ويقول لها « من أجلك مات يسوع المسيح . »

وفي سنة 197 م وجه ترتليان رسالته المعروفة باسم (الدفاع) أكد فيها للرومان ولاء المسيحيين للدولة . وبعد عام أصدر كتابه (فن المسرح) انتقل إلى الهجوم العنيف بدل الدفاع وندد فيه بجميع أنواع السلوى عدا سلوى الدين .

وعدم الاستقرار هذا كما رأيت ناتج عن كثرة المذاهب والأفكار بلا أساس ، أو مصدر موثق عن نبي مرسل .

3 ــ المانوية وفرق أخرى [180] .

ظهر في القرن الثالث خطر جديد في بلاد الشرق يهدد كيان المسيحية على يد شاب فارسي صوفي يدعى (ماني الطشقوني) ، أعلن عند تتويج (شابور) سنة 242 م أنه المسيح المنتظر ، وأن الإله الحق أرسله إلى الأرض ليقوم حياة البشر الدينية والأخلاقية .

أخذ عقائده من الزرادشتية و المثراسية واليهودية والأدرية ، وقسم العالم إلى مملكتين هما : مملكتا الظلمة والنور ، وقال إن الأرض تتبع مملكة الظلمة

---

(179) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 396.

(180) ول ديوارنت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 295. ابراهيم مدكور ويوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة، ص : 51. محمد علي قراعة، الثقافة الروحية في انجيل برنابا، ص : 89.

والشيطان هو الذي خلق الانسان ، إلا أن ملائكة النور أدخلت بصورة خفية عناصرها الخيرة إلى هذا الانسان مثل العقل والذكاء والتفكير .

وأفضل ما صنع الشيطان المرأة ، وهي عامله الأكبر في استمالة الرجل ووقوعه في الذنوب . وسبيل التغلب لعناصر الخير على عناصر الشر في الانسان هو الامتناع عن العلاقات الجنسية وحب النساء ، وعدم السحر والرضا بعيشة الزهد والأطعمة النباتية ، والصوم عن الأكل في بعض الأوقات ، وبذلك يهتدي إلى النور الرحيم .

ومكث ماني ينشر دعوته بنجاح ثلاثين سنة صلب بعدها بناء على طلب كهنة المجوس ، وحشي جلده بالقش وعلق على باب المدينة ، إلا أن هذا العمل بعث في الناس حماسا جديدا في اعتناق مذهبه في غرب آسيا وشمال افريقيا . وكان ممن اعتنق مذهبه القديس (اوغسطين) [181] ، حيث كان من أب وثني وأم مسيحية في شمال افريقيا ، وانتقل إلى روما وأنشأ مدرسة للخطابة ثم عين أستاذا للخطابة في ميلانو ، وفي الوقت الذي بدأ فيه التعلم ، انضم إلى (شيعة المانوية) القائلة بإلهين ؛ إله الخير وإله الشر ، وكانت شيعة قوية تنافس المسيحية ، وبعد تسع سنين هجرها واعتنق الشك مذهبه . وفي هذه الحالة قرأ الكتب الأفلاطونية وغير اتجاهه وعاد يثق بالعقل ، ثم قرأ الكتب المسيحية واعتنقها في الثالثة والثلاثين من عمره . ثم صار كاهنا فاسقا ، وقضى نحوا من أربعين سنة يشرح الدين ويدافع عنه متأثرا بالأفلاطونية مع شيء كثير من الحرية والتصرف . استخدم المنهج الفلسفي والمصطلحات الفلسفية ، وأخذ ببعض أقوال أفلاطون ونفى بعض الآخر كقدم العالم والتناسخ .

هذه لمحة عن أهم الفرق الكبرى التي كانت حتى مجيء قسطنطين سنة 325 م ، وهناك فرق صغيرة مما يخطئه الحصر (كالزهاد) و

---

(181) (354 ــ 430 م) أكبر ممثل للنزعة الأفلاطونية في المسيحية.

(المتخيلة) الذين قالوا إن جسم المسيح لم يكن لحما ودما بل كان شبحا والمتبينة والثيودوتية القائلتان إن المسيح رجل عادي ، إلى غير ذلك من الفرق والأحزاب التي كانت تعيش في أزمة عقدية لا تدري أين الصواب .

المبحث الخامس

الثالوث

إذا نظرنا في تاريخ العقائد نجد أن الناس يختلفون كثيرا في معرفتهم للحق سبحانه ، ولا نكاد نعثر على عقيدة جامعة تصفه تعالى كما يستحق فقضت سنته بإرسال الرسل والأنبياء رحمة منه تعالى لهداية الناس وبيان الطريق الذي يوصلهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة . ولكن الغلو في هذه العقيدة مع طول العهد أدى إلى التأثر بالسابقين والأخذ عنهم كالقول بعقيدة الثالوث التي اختلف في حقيقتها عند الأمم السابقة نجملها بكلمة عامة توضيحا لما سيأتي من الحديث عن عقيدة الثالوث المقدس عند من يقول بها من النصارى بعد عيسى عليه السلام .

1 ـــ الثالوث المصري [182]

يتكون الثالوث الفرعوني من ثلاثة الهة :

1 ـــ الاله أوسيروس ويسمى الأب والوالد .

2 ـــ الاله هور ، ويسمى الابن أو النطق أو الكلمة .

3 ـــ الاله أريس ويسمى الأم أو الوالدة .

---

(182) نوفل جرجس : سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ص : 27.
طنطاوي جوهري : الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج 1 ص : 40 محمد مجدي مرجان : الله أم ثالوث، ص : 82.

أما أوسيروس فهو الاله الأكبر علة ، الاله الثاني هور ، وخالق المخلوقات ، وحاكم الأزلية ، إله الحق والعدل . وهذا ما قاله أصحاب الثالوث الله الأب ...

وأما هور فهو ابن أوسيروس ، وإله النطق والكلام ، شبهوه بعجل ممتاز عن بقية العجول وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم ليكون قابلا للموت . وهذا يجعلنا ننظر في عقيدة الصلب تكفيرا لخطيئة آدم .

وأما أريس فهي ملكة السماء ، أم هور ، باعثة الحياة للبشر . والمعروف عن الروح القدس أنها مصدر حياة البشر كما في عقيدة الثالوث عند من يقول بها .

وشهد بالتطابق بين الثالوث المصري هذا والثالوث النصراني العلامة (جار سلاف كريني) أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا في كتابه (ديانة قدماء المصريين) حتى قال إن الثالوث المسيحي مأخوذ عن هذا الثالوث الفرعوني .

2 ــ الثالوث الهندي :

يتكون الثالوث الهندي من ثلاثة آلهة هي :

1 ــ براهما الخالق .

2 ــ فشنــو الحافظ الابن .

3 ــ سيفــا المهلك والمعيد روح القدس .

ويقولون لما أراد براهما خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات أن يخلق الخلق اتخذ صفة الفعل فصار (براهما الخالق) ثم زاد في العمل فانقلب إلى الصفة الثانية (فشنو الحافظ) ثم زاد فانقلب إلى الصفة الثالثة فصار (سيفا) أي المهلك . ويسمون الثلاثة (ترامورتي) الأقانيم الثلاثة .

وفشنو هو الابن ، وسيفا المهلك هو روح القدس . ويشير صاحب الجواهر [183] إلى أنه اطلع على صورة هذا التثليث منقولة عن كتاب العلامة (موريس) في آثار الهند القديمة ، وقال « لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكته القرون صنما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد » ، والمقصود منه التعبير عن الثالوث .

وقد فصل كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) [184] لمؤلفه محمد طاهر التنير العقائد المأخوذة من الأمم الوثنية السابقة والتي أدخلت على تعاليم المسيح من بعد . ويذكر هذا الكتاب صاحب الجواهر ورشيد رضا أنه منقول عن ثمانية وأربعين لغة أجنبية . وصل إلى الحقائق التي ذكرها القرآن عن تعاليم المسيح وما حصل لها من بعده عليه السلام .

وجاء في الكتاب ص : 18 نقلا عن برتشرد من كتابه (خرافات المصريين) ص : 285 ما نصه : « لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث (الأب والابن والروح القدس) . »

ونقل عن موريس في كتابه (الآثار الهندية القديمة) في المجلد 6 ص : 35 ما نصه : « كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي ، أي أن الاله ذو ثلاثة أقانيم » ، ورسمت تحته صورة الثالوث المقدس عند الهنود ، وهذا التمثال موجود في معرض الهند ، أقول أنا : « إن صورته أمامي وأنا أكتب هذا الموضوع ، رأس واحدة لها وجوه ثلاثة . »

ونقل عن كتاب سكان أوربا الأول ص : 197 ما نصه : « كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الاله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم. »

---

(183) طنطاوي جوهري، ج 1، ص : 40.

(184) نقلا عن المصدر السابق نظرا لعدم وجود الكتاب.

ونقل عن إلن في كتابه (الهند) ص : 383 : « إن البرهميين يقولون في كتبهم الدينية أن أحد الأتقياء واسمه (اتنيس) رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لآله واحد ، فتوسل براهما وفشنا وسيفو أن يعرفوه أيهم الاله الحق فظهروا له وقالوا لا فرق بيننا ، وأما ما تراه من ثلاث فما هو إلا بالشبه أو الشكل ، والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم هو واحد بالذات ». وهنا صورة أخرى للثالوث المقدس عند اليهود أراها أمامي الآن .

ونقل عن العلامة (موريس) في كتابه (آثار الهند القديمة) ، المجلد الرابع ص : 372 ما نصه : « لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكه مرور القرون صنما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ». والمقصود التعبير عن الثالوث . ومن العجيب أنك ترى في هذا الكتاب في الصفحة 25 صورة تمثل (بوذا) وهو بحالة الذكورة والأنوثة معا وعلى الفرج هيأة الصليب وهي منقولة عن العلامة (توما أنمن) في كتابه (الوثنيون القدماء) وهذه الصورة فوق مرتفع .

وقال العلامة (بوفريك) في كتابه اعتقاد المصريين ما نصه : وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة ، وان كل شيء صار بواسطتها ، وإنها أي الكلمة منبعثة من الله ، وإنها الله وكان (بلاتو) عارفا بهذه العقيدة الوثنية ، وكذلك (أرستو) وغيرهما وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي . قال ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام ، ثم نقل عنه من صفحة 404 ما نصه : وكما أن للكلمة مقاما ساميا عند المصريين القدماء ، هكذا يوجد في كتبهم الدينية هذه الجملة (إني أعلم بسر لاهوت الكلمة وهي كلمة رب كل شيء وهو الصانع لها ، فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الاله ، وهي غير مخلوقة) ، وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات .

ويقول الأستاذ (مال فير) [185] بوجود تشابه كبير بين الثالوث

---

(185) محمد مجدي مرجان : الله أم ثالوث، ص : 86.

الهندي والثالوث المسيحي ، ويضيف أنه ذكر في الكتب الهندية القديمة المترجمة إلى الأنجليزية شارحة عقيدة الهنود القدماء (نؤمن بسافتري أي الشمس ، إله واحد ، ضابط الكل ، خالق السماوات والأرض ، وبابنه الوحيد (آني) أي النار ، نور من نور ، مولود غير مخلوق ، تجسد من (فايو) أي الروح في بطن (مايا العذراء) ، ونؤمن (بفايو) الروح المحلي المنبثق من الأب ، والابن الذي هو مع الاب والابن يسجد له ويمجد ..) .

وهكذا نجد عند البوذيين [186] ثالوثا . فإنهم يقولون بوذا مثلث الأقانيم . والصينيون يعبدون (بوذا) ويقولون مثلث الأقانيم ، ويرمزون للثلاثة بهذه الحروف الثلاثة (أوم) فالهمزة أولها ، والميم آخرها ، ومن أقصى الحلق إلى الشفتين ، فهؤلاء هم الأول والظاهر والآخر .

وقد جاء في الكتب الصينية الدينية ، أن أصل كل شيء واحد وهذا الواحد هو أصل الوجود ، اضطر إلى إيجاد (ثاني) ، وانبثق منهما (ثالث) ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء .

وقد وجد عند الفرس القدماء هذا التثليث ، قال العلامة هيجن (كان الفرس يدعون متروسا الكلمة) والوسيط والمخلص ، وكان القدماء من اليونان يقولون إن الله مثلث الأقانيم . وهذا التعليم الثلاثي أصله من مصر .

وهكذا وجد سكان الجزائر في الأوقيانوس والمكسيكو الذين ظلمهم الاسبان وحرقوا كتبهم ، كانت لهم عقيدة تثبت ثلاثة الهة (الأب الابن والروح القدس) ، والابن إسمه (ياكاب) مولود من عذراء .

وأهالي النيبال يعبدون إلها إسمه (أندرا) ، وكان مصلوبا كما صلب المسيح ، وسفك دمه بالصلب ، وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم . ويقول المصريون (اوسيريس) مخلص الناس ، وبإخلاصه يقتل

---

(186) طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن ج 1، ص : 40.

ويسمى الولد والفادي والولد الوحيد .

ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث ، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد ، لقد كانوا يدينون بتعدد الالهة ولكنهم نظموا هذه الالهة أثلاثا ، أي جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر ، كل مجموعة ثلاثة ، فكانت المجموعة الأولى على الالهة . وتتكون هذه المجموعة من إله السماء وإله الأرض وإله البحر ، أما المجموعة الثانية فالاله القمر والاله الشمس وإله العدالة والتشريع [187] .

فعقيدة التثليث قديمة توارثها الوثنيون عن بعضهم البعض ، في الوقت الذي لا يكون فيه رسل يوضحون العقيدة الصحيحة . وعندما يكون الرسل ، فإن هذه العقيدة تقل قيمتها في الوسط الذي يعيش فيه ، وعندما يلتحق بالرفيق الأعلى يبدأ الاختلاط والنزوح ، فيبحث الانسان بفطرته عن عقيدة يطمئن إليها نحو خالقه ، فيجد هذه العقيدة بين عقائد أخرى ، فيقول بما شاء .

ويذكر كاريل [188] إن عقيدة التثليث لها ارتباط بعبادة الابطال منذ فجر التاريخ ، حيث كان الناس يعبدون البطل لعمل رائع قام به ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكان الألوهية ، ويمر الزمن فيهرم البطل ويمنعه هذا الهرم من ممارسة مسؤولياته ، فيدرب أشجع أولاده على أعمال البطولة ليتولى مكانة أبيه فيما بعد ، ويتم بذلك الثالوث .

فالتثليث عقيدة طارئة على عقيدة التوحيد الفطرية عند الانسان . وكان ذلك بسبب الجهل في كيفية الوصول إلى معرفة الآله ، ثم أصبحت فيما بعد بالاضافة إلى الجهل عصبية تقليد الخلف للسلف مع منع إعمال العقل في فهم هذه العقيدة .

---

(187) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان، المسيحية، ص : 93.

(188) نفس المرجع السابق.

ويؤكـد هذا مـا ذكـر اللـورد هيدلـي في كتابـه (ايقاظ الغرب للاسلام) ، هناك لوحان بابليان تابعان إلى مجموعة سجلات مكتوبة بالخط الأشوري ، كشفت بواسطة الحفارين الألمانيين في سنة 1903 ـ 1904 في (كاله سرجات) ، قاعدة الأشوريين الأقدمين ، وهما يتبعان مكتبة هؤلاء الأشوريين التي أنشئت في القرن التاسع قبل الميلاد أو قبل ذلك ، وهما مع ذلك صورتان طبق الأصل من ألواح بابلية أقدم من ذلك . من هذين اللوحين يمكننا أن نعرف أن حكاية الأم المسيح ليست أول حكاية عرفها الانسان من هذا الصنف منذ الخليقة ، وتسهيلا للقارىء ننقل الآتي من عدد يناير سنة 1928 من مجلة (الكوست) التي هي مجلة مسيحية بحتة ..

1	ـــ رواية الالام البابلية.	1	ـــ حكاية الالام المسيحية.
2	ـــ يساق بيل أسيرا.	2	ـــ يساق عيسى أسيرا.
3	ـــ يحاكم بيل في المنزل على الرابية (غرفة المحاكمة).	3	ـــ يحاكم عيسى في منؤن رئيس الكهنة.
4	ـــ يضرب بيل.	4	ـــ يجلد عيسى.
5	ـــ يساق بيل إلى الرابية.	5	ـــ يساق عيسى إلى الصلب في جلجلته.
6	ـــ يساق مع بيل شريران أحدهما يقتل والآخر يطلق سراحه.	6	ـــ يساق مع عيسى شريران يعدمان وآخر يدعى باراباس يطلق سراحه.
7	ـــ عندما يصعد بيل على الرابية تتزلزل المدينة وتحدث فيها مواقع.	7	ـــ عند موت عيسى يمزق حجاب الهيكل وتتزلزل الأرض وتتشقق الصخور وتتفتح القبور ويخرج الأموات إلى المدينة المقدسة.

8 ـــ تؤخذ ملابس بيل.

8 ـــ تقسم العساكر ملابس عيسى.

9 ـــ تمسح امرأة الدم النابع من قلب بيل إثر خروج السلاح (حربة).

9 ـــ يطعن عيسى بحربة في وماء وتأتي مريم المجدلية وامرأتان أخريان لغسل وتخييط الجثة.

10 ـــ ينزل بيل تحت الرابية بعيدا عن الشمس والنور وتذهب عنه الحياة.

10 ـــ يدخل عيسى القبر داخل الصخرة ويذهب تحت إلى قسم الأموات ويزور جهنم.

11 ـــ يلاحظ الحراس بيل وهو سجين في معقل الرابية.

11 ـــ يوضع الحراس على قبر عيسى.

12 ـــ تجلس الهة من بيل قد أتت لتعتني به.

12 ـــ مريم المجدلية ومريم الأخرى تجلسان أمام القبر.

13 ـــ يبحثون عن بيل في أي مكان هو مقيم ، خصوصا امرأة باكية تبحث عنه في المقبرة وعندما يؤخذ تصيح مولولة (آه يا أخي آه يا أخي)

13 ـــ تأتي النساء خصوصا مريم المجدلية إلى القبر للبحث عن عيسى خلف باب القبر فتقف مريم باكية أمام القبر الخالي لأنهم أخذوا سيدها بعيدا.

14 ـــ رجوع بيل ثانيا إلى الحياة كشمس الربيع يخرج من الرابية.

14 ـــ رجوع عيسى إلى الحياة وخروجه من القبر في صباح الأحد.

15 ـــ والعيد الأكبر عند البابليين وهو رأس السنة يكون في مارس في زمن الاعتدال الربيعي ويحتفل به لأن فيه كان انتصاره على قوات الظلام.

15 ـــ عيده الذي يكون في الاعتدال الربيعي تقريبا يحيى ويعظم أيضا كانتصار له على قوات الظلام.

ويعلق هيدلي ــ الذي أسلم بعقله وأسس طائفة مسلمة في انجلترا ــ بعد نقل هذا (من أين إذا أتت عظمة المسيحية التي يعلن عنها دائما من أعلى المنابر بأنها هي الديانة الوحيدة لخلاصنا ؟ [189] .

3 ــ ثالوث الفلاسفة :

قالوا عند بحثهم عن الله [190] ، إنه يستحق اسم العقل لعلمه بسائر الموجودات وعقله لها . ولأن ذاته من الذوات الموجودة التي تكون معقولة فصار عاقلا قد عقل ذاته . وصار معقولا لذاته ، فلزم لذلك أن توجد لذاته ثلاثة أحوال : أحدها ، أن يكون عاقلا ، ومن أجل عقله ذاته أن يكون معقولا ، وأن يكون مع ذلك عاقلا ذاته .

1 ــ الأب والابن والروح والقدس :

فسمي الباريء العقل من هذه الثلاثة (أبا) ، وسموا تلك الذات إذا كانت عاقلة (ابنا) لتولد هذا المعنى من ذات الأب الذي خصوه باسم العقل ، وجعلوا المعقول من الثلاثة معان هو (الروح) ، على جهة التمثيل من قبل أن الروح كأنها أمر خارج عن ذي الروح ، وهو أبعد منه ، كما أن المعقول أبعد عن معنى العقل من معنى العاقل . فإن ذات المعقول قد تكون في بعض الأشياء من خارج ، وتكون مباينة للعقل ، فأما في هذا المعنى فإنه غير مباين ، وإنما قيل ذلك فيه على جهة التشبيه والمناسبة .

فأما العاقل ، فإنه إنما يكون عاقلا بالعقل ، فهو لذلك شديد

(189) من كتاب ايقاظ الغرب للاسلام ص : 48 المترجم إلى العربية هذا وقد نقل طنطاوي جوهري في كتابه الجواهر في تفسير القرآن ج 3 ص : 230 إلى 234 مشابهة أقوال الهنود الوثنيين في كرشنا ابن الله وفي بوذا لاقوال النصارى في المسيح ابن الله فارجع إليه هناك لم نذكره هنا خوف الاطالة وقد نقله عن كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، (السنون المفقودة من عيسى تكشف) بحثت عنهما في كل من عمان والقاهرة وبيروت ودمشق والمدنية المنورة والرباط في المكاتب العامة فلم أجدهما.

(190) بولس سباط : مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية بين 873 إلى 1256 م ص : 8. وهي عبارة عن مجموعة مخطوطات مطبوعة. والحديث عن المقالة الأولى التي صنفها أبو علي عيسى بن اسحق بن زرعة سنة 378 هـ.

الملابسة والمشابهة والمشاركة في معنى العقل . فجعلت المناسبة القريبة بينهما ، أعني بين العقل والعاقل ، هي نسبة الأبوة والبنوة ، وجعلت نسبة المعقول نسبة الشيء المفارق وهو الروح .

2 ـــ سبب تبديل أسماء الثالوث الأول بالأب والابن والروح القدس :

إنهم فعلوا هذا ليرمزوا به إلى تلك المعاني حتى لا تزال ويقف عليها الجهال ، لأن المفاوضة في الأمور الالهية وكشفها لكل أحد منهي عنه ، وكأن الاله كنز مخبأ يجب أن لا يعرفه إلا جماعة معينة ، وإلا لماذا أرسل الرسل ؟ ليعرفوا الناس على خالقهم بأبسط صورة وأوضح عبارة ﴿قل هو الله أحد ...﴾ .

واستدل على ذلك بما يلي :

1 ـــ نهى المسيح بقوله : « لا تطرحوا القدس للكلاب ، ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تطؤها بأظلافها وتعود فتعقركم » .

2 ـــ وضع القديس « غريغوري النزينزي » مقالة مفردة في أنه ليس في كل زمان ولا لكل أحد ينبغي أن يفاوض في الأمور الالهية ، فلهذه العلة رمزوا إلى قولهم هذا وعدوا عن التصريح به إلى الكتابة عنه .

3 ـــ ذكر « ديونوسيس » أن الأمور الالهية إذا عبر عنها بالعبارات القريبة منها دعا ذلك الناظرين الباحثين عن الحق إلى البحث عنها وعن أسبابها والمطالبة بالوجه الذي به تصح العبارة عنها بتلك الاستعارات ، فيصير لذلك علم الباحثين عنها يقينا ، ويبقى لا ريب فيه لشدة بحثهم وتفتيشهم ، وقد يجوز ذلك لأن المسيح شرط في الانجيل أن كلامه يكون على جهة الأمثال والرموز .

فلهذه الوجوه عدلوا عن التصريح بتلك المعاني التي ذكرت .

4 ــ ثالوث النصارى :

يرى الفلاسفة النصرانيون [191] ، أن الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم أي ثلاثة عناصر أو أجزاء ، وهذه الأقانيم الثلاثة هي الذات ، النطق ، والحياة . فالله موجود بذاته ، ناطق بكلمته ، حي بروحه .

وكل من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفا أو مظهرا خاصا ، فإذا تجلى الله بصفته ذاتا سمي الأب

وإذا نطق فهو : الابن .

وإذا ظهر كحياة فهو : الروح القدس .

ويرى الفلاسفة النصرانيون ، أن الانسان خلق على صورة الله ومثالة ، فكما أن الله مثلث الأقانيم ، كذلك فإن الانسان مكون من ثلاثة عناصر . ولا يمكن معرفة الله إلا بعد تصوره بالصورة البشرية [192] .

هكذا ينظر دعاة الثالوث إلى الله الذي « ليس كمثله شيء » ، والمنزه عن مشابهة الكائنات . فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الانسان ، كما مثل البعض الله في عناصره وأقانيمه الثلاثة بالتفاحة بما لها من لون وطعم ورائحة ، فكما أنها لا توجد بدون واحد من هذه الأوصاف الثلاثة ، كذلك لا يمكن تصور الأب بدون الابن والروح القدس [193] .

وأين بقية صفات التفاحة من ملمس ونعومة وشكل معين ، فهل نضيف أقانيم أخرى لله قياساً على ذلك ؟

، ويتساءل « بولس إلياس » [194] لماذا لا نقول من الأفضل : الله

---

(191) بولس سباط : مباحث فلسفية، ص : 111.
محمد مجدي مرجان : الله أم ثالوث، ص : 10.
(192) محمد مجدي مرجان، الله أم ثالوث، ص : 14.
(193) نفس المرجع السابق، ص : 16.
(194) بولس الياس في يسوع المسيح، ص : 79.

أحد وحسب ؟ ويجيب على نفسه إجابة فلسفية ويقيس الله على مخلوقاته فيقول : « لكننا إذا أطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث » فهو يفرض التثليث فرضا ، ثم كيف نطلع على كنه الله الذي لا يمكن حده ومشاكلته بمخلوق ؟

ثم يقول وكنه الله محبة ، ولا يمكن إلا أن يكون محبة ، ليكون سعيدا ، وهذا فرض آخر على الله تعالى عن هذا ، ولو كان كما يقول فليس بإله ، فالمحبة هي مصدر سعادة الله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ...وثمرة هذه المحبة بين الأب والابن هي الروح القدس . هو الحب ، إذا ما يجعل الله ثالوثا وواحدا معا .

فما زاد هذا إلا أن وصف الله بعائلة من ثلاثة أعضاء ، كل واحد غير الآخر ، تربطهم أواصر متينة نتج عنها ثمرة هي أقنوم الروح القدس . وهل ينتهي الثمر بعد هذه الثمرة ؟ فتزداد الأسرة ، ومع الزمن يصبح الأب جدا .

ويجيب عوض سمعان [195] عن الثالوث قائلا : « لأن العدد ثلاثة أول عدد فردي كامل ، والانسان مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية ، والحيوانات الراقية والنباتات كذلك ، فهو مكون من ثلاثة أقانيم » . ويستشهد بأمثال العامة « الحبل المثلوث لا ينقطع » « المرة الثالثة ثابتة » ، من أجل هذا يكون الله مكونا من ثلاثة أجزاء [196] .

1 ـــ وظائف الثالوث

بعد أن قسم أصحاب الثالوث الله إلى ثلاثة أقسام ، وزعوا الأعمال

(195) الله أم ثالوث، ص : 34.

(196) مخطوطة رسالة السائل والمجيب، ص : 306، الحاجب أبي بكر يحيى بن زيان المتوفى سنة 852 هـ، يرد على ذلك باسهاب لا نرى في نقله هنا حاجة خوف الاطالة.

الالهية كما يلي : [197]

الأب : جعلوه مصدر العدل .

الابن : جعلوه مصدر الرحمة .

الروح القدس: جعلوه مصدر النعمة .

فمن يريد العدل فعليه بالأب ، ومن يريد الرحمة فليتوسل إلى الابن ، ومن يطلب النعمة فليبتهل إلى الروح القدس .

والله الأب ينسب إليه الخلق والتبني والدعوة .

أما الله الابن ، فينسب إليه نداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب .

أما الروح القدس ، فينسب إليه منح الميلاد الثاني والحياة الطاهرة للبشر وتقديس النفوس . ومعنى هذا أن الله الأب لا يستطيع غفران الذنوب ، وأن الله الابن ليس من اختصاصه تقديس النفوس ، وأن الله الروح القدس لا يملك الخلق .

2 ـ أصحاب الثالوث من النصارى :

أول قائل بهذه الفكرة هم الذين أسسوا للنصارى بكتاباتهم المعروفة بالأناجيل والرسائل . وقد تقدم الحديث عنهم كأمثلة من المجددين بعد عيسى عليه السلام ، فمن يطالع [198] عنوان العهد الجديد ، يرى « العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح » ، فهم عظموا الأقنوم الثاني « الابن » ورفعوه عن الأقنومين الآخرين « الأب وروح القدس » .

وقد أحصيت المرات التي أطلق فيها لفظ « رب » على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة في الأناجيل ورسائل الرسل ، فوجد أن الله الابن قد دعي

(197) محمد مجدي مرجان، الله أم ثالوث، ص : 28.

(198) نفس المرجع السابق، ص : 43.

ربا 462 مرة ، أما الأب فقد دعي ربا 144 فقط ، ودعي الروح القدس ربا 5 مرات .

3 ـ الأب والابن من جوهر واحد :

وكان في هذا الصراع القائم في ضبط العقيدة من يقول : « إن الأب والابن فقط هما من جوهر واحد ، أما الروح القدس فهو مخلوق مصنوع » . أمثال الأسقف « مقدونيوس » الذي كان بطريركا بالقسطنطينية . ويرى أن الله مكون من أقنومين فقط وليس من ثلاثة أقانيم ، والالوهية مقصورة فقط على الأب والابن ، أما الروح القدس فهو مخلوق مصنوع .

أقنوم واحد :

وظهر في المواجهة فلاسفة وأساقفة عارضوا اتجاه الأقانيم ، وتحملوا الايذاء في سبيله .

أمثال بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية ، الذي قرر أن الله جوهر واحد وأقنوم واحد سمي بثلاثة أسماء . وكان يقول إن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وإنه إنسان وليس إله . وكان يقول لا أدري ما الكلمة ولا الروح القدس .

التجسد :

أما الأسقف سابليوس فيقول [199] : « إن الله أقنوم واحد ، والأب والابن والروح القدس ليست أسماء أقانيم ، بل إنها تعتبر أسماء ثلاثة مظاهر

(199) الله أم ثالوث : ص : 50. ويذكر نوفل جرجس في كتابه : «سوسنة سليمان» «بأن الهنود يعتقدون بأن الآلهة لا بد لكل واحد منهم أن يتجسد بهيئة من الهيآت، فقد كانوا يترقبون ظهور آلهة متجسدة كالآله الذي يسمونه «ديور» ويزعمون أنه عاش منذ خمس مائة سنة وينسبون إليه العجائب» ص : 42.

أو تجليات لأقنوم واحد ظهر في العهد القديم بصفة أب . وفي العهد الجديد بصفة ابن ، وفي تأسيس الكنيسة بصفة روح القدس » .

وقسم التاريخ ثلاثة أقسام :

1 ـــ العصر القديم : تجلي الأب مصدر العدل فحكم على الجنس البشري بالهلاك ، نظرا لخطيئة آدم .

2 ـــ العصر المتوسط : تجلي الابن مصدر الرحمة ، فارتضى بالصلب للتكفير عن خطايا البشر .

3 ـــ العصر الحاضر : تجلي الروح القدس مصدر النعمة التي انسكبت على القلوب المخلصة .

وها أنت ترى أن الحجة قائمة على أهل الثالوث من هذا الكلام الذي تراه بدون حاجة إلى إيراد حجج أخرى .

4 ـــ أدلة النصارى على عقيدة الثالوث :

يحاول أصحاب هذه العقيدة (الثالوث) أن يستدلوا على صحتها من العهدين القديم والجديد ويرتبون المصادر كما يلي :

1 ـــ العهد القديم :

لم يرد الثالوث في العهد القديم إلا تلميحا ، لأن وحي العهد القديم ظلا لوحي العهد الجديد كما يقول (أوث) ، ومن هذه الاشارات :

أ ـــ يتكلم الله غالبا عن نفسه باستعمال صيغة الجمع [200] (لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا) ، [201] وكان الآباء يفهمون هذا على ضوء الوحي الجديد ، على أن الأقنوم الأول يخاطب الأقنوم ، أو يخاطب

(200) سفر التكوين فصل 1 رقم 26.
(201) سفر التكوين فصل 3 رقم 22 و 11.

الثاني والثالث . ومن الأرجح أن تكون صيغة الجمع هذه من قبيل حديث المرء عن نفسه (202) .

ب ــ النبؤات التي تتعلق بالمسيح تفترض في الله أشخاصا مختلفين عندما تتنبأ عن المسيح ، مرسل الله ، ملمحة إلى أن الله وابن الله (يهوه) قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك (203) (صارت الرئاسة على كتفه ، ودعى اسمه عجيبا مشيرا إلها جبارا ، أبا الابد ، رئيس السلام) (204) .

وأين الاشارة التي تدل على أن المقصود هو المسيح . إن لم تدل على ابن آخر ؟ فكم ابن له تعالى الله عن ذلك ؟

ج ــ ويتكلم العهد القديم كثيرا (عن روح الله ، أو (الروح القدس) ويقول (أوث) (205) : فلا يجب أن نفهم بهذه الكلمة معنى الأقنوم الالهي ، لكن نفهم المعنى على أنها قوة تخرج من الله فتعطي الحياة وتقوي وتنير وتدفع إلى الخير (206) . كما أشار (أوث) إلى فشل الاعتراف بالثالوث من العهد القديم (207) .

2 ــ العهد الجديد :

إن الأدلة من الأناجيل على الثالوث الأقدس قائمة على التأويل والعقيدة الأساس المتعلقة بالله سبحانه لا تحتاج إلى تأويل من شدة وضوحها والدليل الذي يعتريه التأويل بخصوص معرفة الله ووجوده ، كيف نأخذ به ونترك البين الواضح الذي نفهم الحقيقة منه بدون تكليف ؟

---

(202) مختصر في علم اللاهوت العقائدي جزء 1، ص : 78.
(203) المزمور الثاني، رقم 7.
(204) اشعياء فصل 9 رقم 6.
(205) مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج 1، ص : 79.
(206) سفر التكوين ف 1 رقم 2، مزمور 6/32 و 13/50 و 30/103 و 7/138 و 10/142، واشعياء 2/11 و 1/42 و 1/61.
(207) مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج 1، ص : 80.

ومن هذه الأدلة على الثالوث الأقدس :

1 ـــ ورد في لوقا [208] (إن الروح القدس يحل عليه ، وقوة العلي تظلك ولذلك فالقدوس المولود فيك يدعى ابن الله) ، ومن سياق هذا النص يفهم ان الكاتب استنتج هذه العبارة ولا دليل على نقلها عن الرسول عيسى عليه السلام .

وفي لوقا نفسه [209] (وسيكون عظيما وابن العلي يدعى) ومن هذا يستنتجون أن ثلاثة أشخاص ورد ذكرهم : العلي ابن الله ، الروح القدس ويؤكد (أوث) [210] أن شخصية الروح القدس لا تظهر هنا بجلاء .

2 ـــ ورد في متى [211] (اذهبوا وتلمذوا كل الأمم معمدين إياهم باسم الأب والابن والروح القدس) . أما هذه الكلمات فهي تعني الأب الخالق والابن المخلوق في اللغة اليونانية القديمة [212] .

3 ـــ ورد في يوحنا أن يسوع وعد بمحام آخر (البارقليط) هو الروح القدس أو روح الحق سيرسله ، هو والاب (أنا أسأل الأب فيعطيكم معزيا آخر ليقيم معكم إلى الأبد) ؛ وفي هذا إيضاح بأن عيسى يطلب من ربه أن يرسل معزيا (بارقليطا) فيما بعد ، وهو كما نعلم رسول الله محمد عليه السلام . فأين الفهم بأن عيسى سيرسله ؟ وإذا علمنا أن الأب هو الخالق فأين يصبح هذا المدعي ؟

3 ـــ الرسل والآباء :

ينقل (أوث) عن الرسل أقوالا تفسر الثالوث [213] مكتوبة في

---

(208) فصل 1 رقم 35.

(209) نفس الفصل رقم 32.

(210) مختصر علم اللاهوت العقائدي.

(211) فصل 28 رقم 19.

(212) د. محمد الصادقي : حوتر بين الالهيين والماديين ص : 385.

(213) مختصر علم اللاهوت العقائدي، ج 1، ص : 89/81.

رسائلهم أمثال بطرس وبولص في مختلف رسائلهم . وقد عرضت حقيقة هؤلاء الرسل وسيرهم ودورهم في التغيير والتبديل بعد المسيح عليه السلام كما أشرت آنفا .

بالاضافة إلى أن أمور العقيدة لا يقبل فيها قول البشر ، إذ لابد من نص متواتر ينقل عن رسول مرسل من الله عز وجل . وهؤلاء ليسوا رسلا كما عرفت ، إذ لم يذكر القرآن أنهم رسل . فكيف يعتد بأقوالهم في العقيدة ؟ وقد قلدوا أساتذتهم الفلاسفة في القول بالتثليث والألوهية كما سبق أن وضحت . وهؤلاء جميعا ورثوا هذه العقائد عن الأمم التي سبقت وكانت وثنية وصاغوها بعبارات جديدة مع شيء من التأويل كما ذكرت أصول هذه العقائد .

4 ـــ المجامع :

وعندما كثرت الفرق والأحزاب وضاع الأمر ، وتنصر قسطنطين لأغراضه السياسية المعروفة ، نادى بفكرة المجامع وتحديد العقيدة وفرضها بالقوة ، فكان المجمع الأول في (نيقيا) سنة 325 م كما سنتبين ذلك مفصلا ، وما نتج عنه من إعلان قانون الايمان الذي لم يوافق عليه سوى ثلث الحاضرين حيث كان الثلثان الباقيان موحدين لا يعترفون بهذه البدع . وكان المجتمعون حوالي (1000) ، فأخرج قسطنطين (700) من الآباء الموحدين بالقوة بحجة الأمن على سلامة المجمع ، وكانت القرارات كما يريد هو ، الوثني المعروف ، وريث الدولة الرومانية الوثنية التي اضطهدت المسيحية مدة ثلاثة قرون . وهو ما تنبأ المسيح [214] حين قال (سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة الله ، وسيفعلون بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني) .

---

(214) انجيل يوحنا فصل 16 رقم 3/2 و 19/13.

5 ـــ أثر الفلسفة على المسيحية :

أ ـــ مر بنا الحديث عن الحالة العامة التي آلت إليها تعاليم المسيح عليه السلام ، وعلى الخصوص بعد أن حصل التطعيم بين التعاليم اليهودية والرومانية والفلسفية والمسيحية . وفتح المجال إلى جعل رسالة عيسى عامة ، والتساهل في بعض الأمور وترك أخرى كما قرر المجمع الأول ، الذي انعقد بعد المسيح باثنتين وعشرين سنة تقريبا .

فصار الباب مفتوحا للدخول في هذا الدين الجديد من الطوائف المختلفة ، حتى تكون مزيجا من المجتمع تحت إسم المسيحية ، وفي حقيقته غير تام التكوين نظرا لاحتفاظ كل بعقيدته السابقة بدون أن يشعر ، وذلك لانعدام أصل معتمد يرجع إليه في المسائل العقدية والتشريعية . مرجعهم الوحيد رجال الدين وهم كبار الفلاسفة والعلماء الذين دخلوا المسيحية من جديد ، بعقائدهم التي عرفوها وألفوها . وهذا هو الذي تحدث عنه القرآن حين قال : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ..﴾ (215) ، وهم في الواقع لم يؤمروا بهذا أبدا ، لأنه مصنوع من الذين سبقوا :﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوفكون ﴾ (216) .

وطبيعي أن الخلافات المذهبية والعقدية كانت موجودة إلا أن الاضطهادات الرومانية التي شغلوا بدفع أذاها ورد بلاها ، جعلتهم يستترون بدينهم ولا يظهرون ويخفون عقائدهم ولا يعلنونها ، حتى حان الوقت المناسب وانتهت عهود الاضطهاد وظهرت هذه الخلافات الكامنة ، فإذا بهم قد اتفقوا في إسم المسيحية فقط ، أما العقيدة والتشريعات وغيرها ، فلا رأي ينطبق على آخر ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى .

---

(215) الآية 31 من سورة التوبة.

(216) الآية 30 من سورة التوبة.

وهذه الحقيقة يقصها القرآن بأوجز عبارة وأوضح صورة : ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون . إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾ [217] .

ب ـــ واحتاج الناس إلى عقيدة محددة تخفف من حدة النزاع ، وتهدىء الشك الذي أخذ يتزايد ، فبدأت الاجتماعات تتزايد للمجامع الكنيسة في القرن الثاني ، ثم اقتصرت في القرن الثالث على الأساقفة الذين أصبحوا هم أهل الفصل الأخير في العقيدة المسيحية .

وكان مشكل التنظيم ينحصر في تحديد مركز هذا السلطان . عندما أخذت المجامع الدينية المتفرقة تمارس السلطان مستقلة عن بعضها البعض بعد أن ضعف سلطان الكنيسة الأصيلة في أورشليم « القدس » .

فقام بعض الأساقفة [218] في محاولات الوحدة ، ولكن بلا فائدة ، ومنهم « بوليكارب » أسقف أزمير حوالي سنة 156 م ، حاول أن يقنع « انتسيتس » اسقف روما بأن يحتفل بعيد القيامة في اليوم الذي تحتفل به الكنيسة الغربية لكنه لم يفلح في محاولته .

وحاول البابا « فكتور » سنة 190 م الطلب رسميا الوحدة ، فوافقه أساقفة فلسطين ، وعصاه أساقفة « آسيا الصغرى » ، فما كان من فكتور إلا أن بعث برسائل إلى المجامع الدينية المسيحية يحرم فيها الكنائس التي عصت أمره . واحتج كثيرون على الاجراء الاستبدادي في الشرق والغرب .

وكان خلفه « زفوينس » (202 ـــ 218 م) رجلا ساذجا ، غير متعلم ، ثم « كالستس » الذي أعلن « هيولنيس » وغيره من القساوسة

---

(217) الآيات 63 و 64 و 65 من سورة الزخرف.

(218) ول ديوارنت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 317.

أنه لا يصلح لمنصبه ، وأقاموا كنيسة وبابوية غير كنيسته وبابويته سنة 218 م .

وزادت الخلافات المذهبية هوة الشقاق حين رأى « كالستس » إعادة مرتكب الخطيئة بعد التعميد إلى حظيرة الكنيسة وعدم معاقبته بالاعدام ، أما « هيولينس » فكان يرى هذا التساهل مضرا أشد الضرر بالدين ، فأعلن « كالستس » حرمانه وأنشأ للكنيسة إدارة حازمة وثبت دعائم سلطة كرسي روما على جميع العالم المسيحي في عام 235 م .

وفي عام 251 ـ 253م عاد مشكل الانشقاق على يد « نوفاتس » في قرطاجنة و « نوفتيان » في روما ، وأقاما كنائس منشقة محرمة تحريما قطعيا على الذين يرتكبون الذنوب بعد التعميد .

وأخرج مجلس قرطاجنة [219] برئاسة « سبريان » ومجلس روما برئاسة « كرنليوس » هاتين الشيعتين المنشقتين من الكنيسة المسيحية .

وفي سنة 254 ـ 257 م في عهد البابا « استيفن » قرر أن لا ضرورة لتعميد من يعتنقون المسيحية من الطوائف غير المؤمنة . وعقد سبريان مجمعا دينيا من أساقفة افريقيا تولى رئاسته بنفسه ورفض هذا القرار . فأعلن « استيفن » حرمانه ومن معه .

وما انتصف القرن الثالث حتى غدت عاصمة الامبراطورية ، عاصمة الديانة المسيحية ، في الوقت الذي أمدت روما المسيحية بالنظام ، كما أمدتها اليهودية بالاخلاق ، واليونان بالفلسفة . وقد دخلت هذه كلها في إيجاد الدين المسيحي أو على أدق تعبير ما ينسب إلى المسيح .

وهكذا انفتح المجال أمام الأساقفة للوصول إلى نظام الحكم بعد أن أمسى عجز السلطة الزمنية عن السيطرة على الدولة الواسعة . فصار

(219) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 318.

الأساقفة في القرن الرابع هم مصدر النظام ومركز القوة والسلطان في مدائن الأمبراطورية . وكان المطارنة وكبار الأساقفة أكبر عون لحكام الولايات إن لم يكونوا قد حلوا محلهم ، وسارت الكنيسة الرومانية في الطريق الذي سارت فيه قبلها الدولة الرومانية . ويعني هذا أن استخدام الفلسفة ودراستها ومزج بعض ما فيها بما ورثه هؤلاء الأساقفة من تعاليم المسيح ساعدهم على استمرار البقاء ، ومواجهة الخصم بل الوصول إلى السلطة وزمام الحكم . وهنا تبدأ المسيحية في حياة جديدة ليست على النمط السابق من الاضطهاد والتعذيب والانعزال ، إنها الحكم والتشريع كما سنذكر ذلك ــ إن شاء الله ــ وإن شئت قل اتمام الدين الجديد الذي بذر أصوله بولس من قبل !!!

الفصل الثالث

المسيحية والسياسة

المبحث الأول : قانون الايمان

المبحث الثانـي : الصراع العقدي وسيلة سياسية .

المبحث الثالـث : عقائد النصارى المجمعية .

المبحث الرابـع : التوحيد رسالة الانبياء .

المبحث الأول

قانون الايمان

1 ــ قسطنطين يعتنق المسيحية :

يذكر المؤرخون [220] على أن قسطنطين أول من تنصر من ملوك الروم . جاء بعد قسطنطين بقي وثنيا حتى سنة 308 م ، ثم بدأ يفكر في جعل المسيحية دينا للدولة . ولكن المؤرخين اختلفوا في تنصر هذا الأمبراطور وإظهار اعتناقه للمسيحية . حتى حارب في سبيل إظهارها ونشرها بعد أن أصدر منشورا بحرية التحول للديانة المسيحية سنة 313 م .

فقد ذكر المسعودي [221] في سبب تنصره ، انه خرج في بعض حروب « برجان » أو غيرهم من الأمم ، واستمرت الحرب نحوا من سنة . ثم كانت عليه في بعض الأيام ، فقتل من أصحابه خلق كثير فخاف

(220) المسعودي : التنبيه والاشراف، ص : 119، القاضي عبد الجبار الهمذاني : تثبيت دلائل النبوة، ج 1، ص : 93.

(221) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، ص : 351.

البوار ، فرأى في النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب ، وأعلاما على رؤوسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب ، وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنتصر ، فجعل يحارب بها في النوم ، فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه ، فلما استيقظ ركب على الرماح ما رأى وزحف إلى عدوه فانتصر ، وعاد إلى « نيقية » وسأل عن هذه الصلبان فأخبر عن بيت المقدس ، فحشد له ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا في « نيقية » فقص عليهم أمره فشرعوا له أن يدخل النصرانية .

وذكر (222) أنه عندما كبر سنه ساء خلقه ظهر به وضح كبير فأرادت الروم خلعه ، فشاور نصحاءه ، واستمهلهم حتى يزور بيت المقدس وتدخل النصرانية ، فتقاتل من عصاك بمن أطاعك ، وما قاتل قوم على دين إلا نصروا ، ففعل .

وهذا العمل الذي صنعه قسطنطين هو من قبيل الظروف السياسية (223) التي أملت عليه أن يدخل المسيحية ويجعلها دين الدولة الرسمي ، وقد أكد ذلك ديورانت (224) والأدلة قائمة على صدق هذا الرأي منها :

1 — فلما كان بعد اعتناقه الدين الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس . ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يعني بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب

---

(222) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج 1، ص : 307.
وقال كمال الدين في « المثل الأعلى في الأنبياء » تعريف أمين الشريف ص : 28 : وكان قسطنطين يعتقد في « أبولو » أنه الاله فأقام مقامه المسيح، وذلك لتخفيف أغراضه السياسية.

(223) مخطوطة رسالة السائل والمجيب، الحاجب أبي زكريا يحيى بن زياد المتوفى سنة 852 هـ / ص : 303 تحت رقم 178 ج. خزانة الرباط.

(224) قصة الحضارة، ويل ديورانت، ج 11، ص : 387.

بها المسيحية ، مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الامبراطورية .

2 ـــ كان يعامل العلماء من الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون حيث كان يستدعيهم ويترأس مجالسهم ويتعهد بتطبيق ما تقره الأغلبية ، فلو كان مسيحيا حقا لكان مسيحيا قبل أن يكون سياسيا وحاكما ، ولكن الأمر عنده معكوس ، حيث كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية .

3 ـــ أعجبه نظام المسيحيين نظرا إلى بقية سكان الأمبراطورية ، وما يتصفون به من أخلاق ، وجمال السلوك ، وخلو الشعائر المسيحية من القرابين الدموية . والأهم من ذلك طاعتهم للرؤساء سواء كان الرئيس عالما دينيا أو رجلا سياسيا . وإيمانهم بالفوارق الحياتية أملا بسعادة الآخرة . فهذه الأمور مجموعة تجعل الامر على قسطنطين سهلا في مسائل الحكم والمحافظة على ضبط أمور الدولة . وبسيكون هؤلاء خير عون له في تنفيذ ما يريد .

2 ـــ توحيد العقيدة النصرانية :

أسباب التوحيد :

اشتد الخلاف بين الفرق المسيحية التي أشرنا قبل قليل بكيفية مختصرة . فيما يتعلق بالمسيح ، أهو رسول من عند الله ؟ أم له صلة بالله أكثر من هذا فيكون بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب ؟ أم انه أكبر من هذا كله فهو الاله القادر على كل شيء ؟ واشتهر هذا الخلاف على يد الاريانية فمن هي الاريانية ؟

الاريانية : (نسبة إلى أريوس) .

ولد « أريوس » [225] في سنة 256 م وتوفي في سنة 336 م ، كان ليبي الأصل وأخذ العلم عن « لقيانوس » الأنطاكي . وفي سنة 318 م قام بحركته التي يسميها المسيحيون « الحادية » والتي يقول فيها ان المسيح لم يكن هو والخالق شيئا واحدا . وأن الكلمة [226] ليس من الأزل ، ولم يولد من الأب ، فهو ليس مساويا للأب في جوهره . بل هو خاضع للتغير وقابل للتطور . وليس هو الله بالمعنى الخاص الحقيقي .

ولم يكن آريوس بدعا في القول بهذه الفكرة بين المسيحيين ، بل إنها مشهورة ومعروفة ، كما نص صاحب تاريخ الأمة القبطية [227] إن الذنب ليس على آريوس ، بل على فئات أخرى سبقته في ايجاد هذه البدع ، ولكن تأثيره كان أقوى . ومن هذه الفئات التي كانت على مذهب آريوس كما يذكر « لودفغ أوث » [228] .

مذهب المونارخيانية :

في نهاية القرن الأول قام « مبتدعون » — كما يقول — متهودون مثل « قيرنثوس » و « الابيونيون » يدعون إلى التوحيد المشدد والأقنوم الواحد ، فأنكروا الوهية المسيح ، ومن هذه الجماعة من قال بأن المسيح إنسان عادي بسيط ولد بطريقة فائقة الطبيعة من الروح القدس ومن مريم العذراء . ومن هؤلاء « تادونس الدباغ » البيزنطي الذي أدخل تعاليمه روما حوالي سنة 190 ، و « بولس السمصاتي » مطران أنطاكية الذي حكم عليه كمبتدع وخلعه مجتمع أنطاكية المنعقد سنة 268 م .

---

(225) لويس غردية « فلسفة الفكر الديني » ترجمة د. صبحي الصالح ود. فريد جبر، ج 2، ص : 286.
(226) لودفغ اوش، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ترجمة الماrديني، ج1، ص : 74.
(227) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص : 132.
(228) مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج 1، ص : 73.

ولقد كان لرأي « آريوس » مشايعون كثيرون [229] فقد كانت الكنيسة في « أسيوط » على هذا الرأي وعلى رأسها « فيليتوس » ، وكذلك له أنصار في فلسطين ، ومقدونية ومال إليه جمهور كبير من الأساقفة والكهنة والشعب ، فلما رأى « الأسكندر » أسقف الأسكندرية هذه الحال ، استدعى بعض الأساقفة وألفوا مجمعا حرموا فيه آريوس » ومذهبه .

فقام عند ذلك « آريوس » وجمع مجمعا حضره كثير من الأساقفة أثبت به مذهبه وحرم من خالفه ، فكثرت أحزاب « آريوس » واشتد الخصام بين النصارى وحدثت بينهم مجادلات عنيفة كادت أن تزعزع السلام بالبلاد .

وتدخل الأمبراطور « قسطنطين » إلى « آريوس » و « الاسكندر » هذا الذي يدافع عن مذهبه القائل ببنوة المسيح . ينصحهما بإنهاء هذا المشكل وترك الجدل . ولكن هذا الأمر لم يوقف الخصام والمناقشة بين الناس ، فكان أمره بعقد مجمع نيقية سنة 325 م .

3 ــ مجمع نيقية :

بعث قسطنطين إلى الأساقفة للاجتماع في « نيقية » [230] فاجتمع عدد كبير منهم من سائر أصقاع الأرض . وقد ذكر ابن البطريق المسيحي أن الملك قسطنطين بعث إلى هؤلاء فكانوا ثمانية وأربعين وألفين ، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان فمنهم من يقول أن المسيح وأمه الهان من دون الله . ومنهم من يقول إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها .

---

(229) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 392.

(230) بالاضافة إلى المراجع السابقة، نوفل نعمة الله جرجس، سليمان في أصول العقائد والأديان، ص : 148.

ومنهم من كان يقول لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب ، لأن الكلمة دخلت في أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها .

ومنهم من كان يقول إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت ، كواحد منا في جوهره ، وإن ابتدأ الابن من مريم ، وانه أصطفي ليكون مخلصا للجوهر الأسمى صحبته النعمة الالهية ، وحلت فيه المحبة المشيئة ، ولذلك سمي ابن الله ، ويقولون إن الله جوهر قديم ، وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يسمونه بالكلمة ولا بالروح القدس .

ومنهم من كان يقول إنهم ثلاثة الهة لم تزل : صالح وطالح وعدل بينهما . ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح ، وهي مقالة بولس الرسول ، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا .

بالاضافة إلى مقالة « آريوس » التوحيدية والتي هي أقرب من هذا كله إلى دعوة عيسى عليه السلام .

وبدأ الاجتماع وتطاول الأساقفة على بعض الطعن والسب ، فكان رأي بولس هو الذي جنح إليه قسطنطين ، وعقد مجلسا خاصا للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي ، وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة .

قانون الايمان :

يذكر ابن البطريق ، ان الملك وضع للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما ، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوه مما فيه قوام الدين ، وصلاح المؤمنين ، فباركوا الملك ، وقلدوه سيفه ، وقالوا له : « اظهر دين النصرانية وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع منها ما يصلح للملك أن يعمله ويعمل به ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به » .

وأصدر المؤتمر ما يعرف بقانون الايمان أو التسبيحة ، وهي أصل الأصول عند جميع الطوائف ، لا يتم ايمان واحد منهم إلا بها ، وهي « نؤمن بالله الأب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى . وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوامل ، وخلق كل شيء ، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول ، وصار إنسانا ، وجبلت به مريم البتول وولدته وأخذ وصلب وقتل أمام بيلاطس الرومي ، ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والاحياء .

ونؤمن بالرب الواحد روح القدس ، روح الحق ، الذي يخرج من أبيه روح محييه ، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية ، وبقيام أبداننا ، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين » .

انتهى (231) .

وطلب الملك (232) التوقيع على هذا القرار ، فرفض « آريوس » وآخرون ، فصدرت عليهم اللعنة والحرمان ، ونفاهم الأمبراطور من البلاد ، وصدر قرار امبراطوري بإحراق كتب « آريوس » جميعها ، وجعل جريمة الاعدام لمن يخفي أي كتاب منها ، لحمل الناس على قراءة ما يوافق رأيه فقط .

---

(231) عبد الجبار الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج 1، ص : 94.
نوفل نعمة الله، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، ص : 137. ابن الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الطيب، ص : 39. سليحية : نسبة إلى كتاب السليح لبولس وهو يتألف من 24 رسالة. انظر الفهرست لابن النديم ص : 41، وقد ورد أحيانا باسم السليح وأحيانا باسم السليحيين.

(232) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 11، ص : 396.

4 ــ استمرار الصراع :

مكث آريوس وشيعته في المنفى بضع سنين ، ثم عادوا [233] إلى الأسكندرية وبعودتهم فسخ الأساقفة الذين اكرهوا على الاعتراف بألوهية المسيح ، ونادوا جميعا ببطلان مساواة عيسى الله في الجوهر ، وأقام الامبراطور مجمعا في « أنطاكيا » اعترف به بصحة مذهب « آريوس » . وفي أثناء عودة « آريوس » إلى الأسكندرية استقبله الناس باحتفال عظيم ، ومات فجأة وسط هذا الفرح واتخذ خصومه موته حجة على أنه مبطل ، وزعموا أن الله قبل فيه دعوة الأسقف « مكاريوس » . واستمر الصراع بين التوحيد والألوهية ، حتى بعد موت قسطنطين زمن أولاده « قنطنس ، وقنسطنت » ، واتبعت النصرانية مذهب « آريوس » حتى موت قنطنس ، أي سنة 351 م ، بعدها نهض الأساقفة الغربيون ينادون بمساواة الابن وللاب في الجوهر ويلعنون « الآريوسيين ».واشتد الخصام بين الطائفتين ، وفعلت كل واحدة بالأخرى من الفظائع ما لم يرد مثله في التاريخ .

5 ــ نهاية التوحيد باستخدام السياسة :

عندما تولى الملك « تيودوز » وكثرت الغارات على حدود المملكة الرومانية ، رأى أنه لا سبيل لرد العدو إلا بالوحدة ، وإنهاء الشقاق الداخلي ، فأمر جميع النصارى باتباع مذهب البابا « باماسيوس » واعتبر المخالف له مبتدعا مستحقا للعقاب ، ولكنه لم يجرؤ على إصدار هذا الأمر على الشرق لكثرة اتباع « آريوس » .

حيلة « امفيلوك » [234] .

كان « أركاديوس » ابن « تيودوز » قد سمي قيصرا أيام أبيه ، وكان

---

(233) فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج 10، ص : 204.
فلسفة الفكر الديني، د. صبحي الصالح، ج 2، ص : 288.
قصة الحضارة، ج 12، ص : 19.

(234) فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين، ج 10، ص : 205.

القديس « أمفليوك » في بلاط الأمبراطور . فلم يؤد واجب الاحترام الأمبراطوري لأركاديوس ، فنبهه « تيودوز » إلى ذلك . فدنا القديس من « أركاديوس » ولاطفه كما يلاطف الأب ولده ، ولم يؤد واجب الأمبراطور ، والتفت إلى « تيودوز » وقال تكفي إبنك هذه الملاطفة ، أما الاحترام الملكي فلا يحق إلا لك وحدك ...فغضب « تيودوز » من هذا الخطاب ، وطرد القديس من حضرته .

فقال له القديس : مولاي ، أنت تمقت من لا يؤدي الاحترام الواجب لك لابنك ، فكيف لا يمقت اله السماء وارض من لا يؤدي لابنه الوحيد من التعظيم مثلما يؤديه له ؟ فاتعظ « تيودوز » من هذا المثل ، وأمر بطرد « الآريوسيين » — الموحدين — من المدن بلا إمهال . فشتت شملهم ، وسلب الحق المدني من كل من لم يسلم بقانون المجتمع النيقاوي ، الذي أقر عقيدة مساواة الابن للأب في الجوهر ، فتأيدت عقيدة ألوهية المسيح بهذه الوسيلة ، ونصرتها السلطة السياسية بكل وسائل النصرة .

المبحث الثاني

الصراع العقدي وسيلة سياسية

1 ـــ استغلال السياسة للصراع العقدي

بقي فكر الآباء حتى سنة 381 م يدور حول القانون الذي ضبطه مجمع نيقية سنة 325 م المتعلق بسر الثالوث الأقدس . من خلال نظرتهم إلى الابن الذي أعلنوا أنه متساو مع الأب في الذات والجوهر [235] .

ولكن علاقة الألوهية بالروح القدس لم تبحث [236] ، فراجت فكرة ملخصها أن الروح القدس ليس بإله ، وإنما هو مخلوق مصنوع ، يحملها القسيس « مكدونيس » فلقيت هذه الفكرة نوعين من الناس .

---

(235) لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، الجزء 2، ص : 289، ترجمة د. صبحي الصالح، ود. فريد جبر.
(236) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص : 132، متولي شلبي، أضواء على المسيحية، ص : 10.

الأول : الموحدون أتباع « آريوس » حيث تقبلوها ونشروها وروجوا لها .

الثاني : الوثنيون ، المؤلهون ، وعلى رأسهم بطريك الأسكندرية ، فخالفوها وحاربوها ، واجتمع هؤلاء بما لهم من سلطة دينية عند الملك ، وأشاروا عليه بعقد مجمع يقرر أن الروح القدس إله .

2 ـــ مجمع القسطنطينية الأول (سنة 381 م)

اجتمع في القسطنطينية مائة وخمسون أسقفا ، وكان يتقدمهم بطريك الأسكندرية بصنفة غير قانونية ، لأن هذا العدد لم يكن ممثلا لكل الكنائس والأقاليم ، وهذا ما ذكره « نوفل جرجس » (237) ، حيث قال « قال الرهبان البندكتيون ، إن المجمع الذي لم يكن أربابه إلا مائة وخمسين أسقفا لا ينظم في سلك المجامع المسكونية إلا بعد أن تقره جميع الكنائس .

ويظهر أن الأسكندرية (238) ـــ بزعامة بطريركها المقدم لهذا المجمع ـــ التي كانت مهدا للأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث ، وإن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه ، قوة المكون الأول ، والعقل (الابن) والنفس العامة (الروح القدس) تريد أن تفرض ذلك فرضا على المسيحية كما كانت العامل القوي في إعلان ألوهية المسيح .

وقررت في هذا المجمع ، رغبة الاسكندرية بإثبات الروح القدس هي روح الله وهي حياته ، فهي من اللاهوت الالهي ، أي إله الحق . ولعن مكدونيوس واشياعه الذين يخالفون ذلك ، ولا يقولون بألوهية الروح القدس .

---

(237) سوسنة سليمان في اصول العقائد والأديان، ص : 148.

(238) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص : 132.

3 ــ تاريخ الروح القدس :

مرت « الروح القدس » بعدة مراحل قبل أن تصبح إلها ، هي :

أ ــ العهد القديم :

ورد لفظ « روح الله » ونفخة الله في التوراة [239] ولم يقصد بها إلا أصل القدرة الالهية ، أو طريقة تأثير تلك القدرة ، فهي قوة تخرج من الله فتعطي الحياة ، وتقوي وتنير وتدفع إلى الخير .

وظن البعض ، أنهم واجدون التقديسات الثلاث في اشعيا (فصل 6 فقرة 3) وفي غيره إشارة إلى الأقانيم الالهية الثلاثة ويقول « أوث » [240] ، يجب التنبيه إلى أن العدد ثلاثة في العهد القديم يفيد التدرج ، ففي مزمور (فصل 32 فقرة 6) نجد بجانب اسم « يهوه » ذكر كلمته وروحه . وفي سفر الحكمة (فصل 9 فقرة 17) حكمته وروحه القدس . ومع ذلك فلا تبدو حكمته وكلمته وروحه كأشخاص حقيقين ، بل كقوى وأفعال ألهية .

ب ــ العهد الجديد :

جاء في الأناجيل [241] ذكر الأب والابن والروح القدس ولكن لا يوجد فيها إشارة إلى التثليث [242] ، إنما هو التأويل والاشتباه على القائلين بهذا ، وما الروح القدس إلا صورة رمزية [243]اختلف في فهمها الآباء إلى جانب الألفاظ الصريحة بالتوحيد .

فما هي إلا هبة يهبها الله لمن يدعونه بإخلاص ، أي قوة إلهية تعطي الخير يعمل بها الانسان كفضيلة معطاة له من الله .

---

(239) سفر تكوين فصل 1 ف 2، مزمور 6/32، و 13/50 و 30/103.
اشعيا 2/11 و 1/42.

(240) لودقيغ اوث، مختصر علم اللاهوت العقائدي، ج 1، ص : 79.

(241) لوقا 35/1. أعمال الرسل 8/1. مرقص 6/12. يوحنا 16/14.

(242) فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج 10، ص : 199.

(243) لودقيغ اوث، مختصر علم اللاهوت العقائدي، ج 1، ص : 81.

جـ ــ الآباء :

كان « جوستنيان » (100 ــ 167 م) و « تيوفيل » (120 ــ 180 م) يعتبران الروح القدس ، تارة كشكل خاص لمظهر الكلمة ، وتارة كصفة من صفات الله . ولكنهما لم يعتبراها قط شخصا إلهيا .

وقال « اثيناغروا » (110 ــ 118 م) بأن روح القدس هو قوة من الله تخرج منه وتعود إليه كشعاع الشمس .

وكان « ترتليان » (160 ــ 245 م) يقول إن الله انتج الكلمة كما ينتج الجذر الساق ، والروح القدس نشأ من الكلمة كالثمرة تنشأ من الساق .

و « كليمان » الاسكندري كان يقول (150 ــ 220) ان ليس للروح القدس تحديد مضبوط .

د ــ الفكرة الفلسفية : (244)

كان « اوريجين » (185 ــ 254 م) تلميذ مدرسة الاسكندرية التي تقول بالثالوث . وكان يعتبر روح القدس شخصا متميزا . ولكنه كان يعتبره أحط من الابن ، ومخلوقا به . ويقول إن الأب يعمل في جميع المخلوقات ولكن الابن لا يعمل إلا في الكائنات العاقلة ، ولا يعمل روح القدس إلا في القديسين دون غيرهم .

واستمر النزاع ، ولم تحدد في مؤتمر سنة 325 حتى جاء مؤتمر 381 م الذي أقرها بأنها إله حق ، بصفة غير شرعية في الاجتماع وبطلب من علماء الاسكندرية بدون موافقة بقية الكنائس الأخرى كما ذكرت قبل قليل .

وبذلك نرى أن القضية مجرد عصبية في الرأي بدون حجة أو دليل ، أيدت هذه العصبية من قبل الملك ، فكانت الروح القدس إلها بقوة السياسة .

---

(244) فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج 10، ص : 199، إلى 201.

4 ـــ الخلاف في معاني الثالوث :

حدد مجمع سنة 381 م عقيدة الثالوث ، الله ، الأب ، الله الروح القدس ، الله الابن ، وبقيت حقيقة هذه العقيدة غامضة ، فكيف تلتقي هذه الأقانيم الثلاثة وما طريق التقائها ، وما العلاقة بينها ؟ فتحول الاهتمام من سر الثالوث إلى سر التجسد أو التأنس .

وكان قد بذر [245] هذه الفكرة أسقف اللاذقية ، وهو أرسطي المذهب أصلا لكنه منذ سنة 374 م أخذ يميل في تعريفه للانسان إلى النظرية الأفلاطونية القائمة على أن الانسان مركب من أصول ثلاثة هي : الجسد والنفس والروح . فقال إن المسيح بشر ، بمعنى أن « الكلمة » الالهي اتخذ جسدا بشريا ونفسا حيوانية . أما الروح فقد ناب منابها « الكلمة » فلم يكن للمسيح إلا طبيعة واحدة هي الطبيعة الالهية . فكان مجمع سنة 382 م برئاسة « داماسيوس » كفروا « ابوليناريوس » هذا أسقف اللاذقية ، وتوقفت المناظرة في الموضوع .

أ ـــ « نسطور »

ولد في بلدة تسمى اليوم « مراش » [246] من أعمال تركيا ، ودرس في أنطاكيا ثم التحق بأحد الاديرة الواقعة في جوارها ، ثم اشتهر بمواعظه فاختاره الأمبراطور أسقفا على القسطنطينية سنة 428 م ، وأخذ يقاوم الاريانيين وغيرهم .

قال « نسطور »: إن هناك أقنوما وطبيعة . فأقنوم الالوهية من الأب ، ونسبة الالوهية تكون إلى الأب .

---

(245) لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، ترجمة د. صبحي صالح، ج 2، ص : 290.

(246) نفس المصدر السابق، ج 2، ص : 302، ونوفل جرجس، سوسنة سليمان، ص : 160.

وطبيعة الانسان [247] وهو مولود من مريم ، ومريم أم الانسان ، وليست بأم الله ، والمسيح الذي ظهر بين الناس متحد بالمحبة مع الابن . فهذا الذي ذهب إليه نسطور ، هو ان المسيح لم يكن إلها في حد ذاته ، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو ملهم من الله . وهذا مخالف لبقية الأساقفة ، وعلى الخصوص أسقف روما وبطريرك الأسكندرية القائلين بألوهية المسيح . ودارت بين هؤلاء مراسلات لعقد مؤتمر للنظر في بدعة نسطور .

ب ــ مجمع أفسس الأول (431 م)

قرر الأمبراطور « تيودورس » [248] الثاني سنة 430 م ، عقد مجمع دعا إليه الأساقفة ، على أن يكون يوم « العنصرة » سنة 431 م ، ولم يحضره « نسطور » . وقرروا فيه أن مريم العذراء والدة الله ، وان المسيح إله حق ، وإنسان معروف بطبيعتين ، متوحد في الأقنوم ، ولعنوا « نسطور » . وكان على رأس المجتمعين القديس « كيرانس » .

فعقد « نسطور » مع ثلاثة وأربعين أسقفا ، وزعموا فيه أن كيرلس من أتباع « أبوليناريوس » صاحب فكرة التجسد . فحرموه بدورهم وأرسلوا « نسطور » إلى البلاط الأمبراطوري محتجا .

ولكن القديس « كيرلس » عقد الجلسة الثانية ، وقد منعه الأمبراطور من عقدها اضطر الأمبراطور إلى تعليق أعمال المجمع وأسر القديس « كيرلس » سنة 431 م مدة ثلاثة أشهر ، توصل أتباع « كيرلس » خلالها بالامبراطور فعفا عنه ، ووافق على تحريم « نسطور » وعزله من منصبه ومنعه من نشر كتاباته وأبقى أعمال المجمع معلقة على أنه مجمع غير شرعي .

---

(247) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص : 135، متولي شبلي أضواء على المسيحية، ص : 102.

(248) لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، ترجمة د. صبحي صالح، ص : 313 إلى 316، ج 2.

.../...د. اسد رستم، الروم، ج 1، ص : 121.

نوفل جرجس، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، ص : 148.

أرأيت كيف كانت السياسة هي صاحب السلطان في تقرير العقيدة أو رفضها ! ثم كيف كانت تحرم القديس ، وتعفو عنه ، وتحرم الآخر !

ج ــ السياسة تغير العقيدة مرة أخرى :

واستمر الخلاف بشكله اللفظي ، ولكنه في الحقيقة بعيد الهدف . فقد شرحت صيغ سنة 431 م على غير وجهها ، سواء فعلوا ذلك عن جهل وعمى ، مثلما كان شأن « أوتيخس » أو انطلاقا من أغراض مبيتة لدى رجال لا يهمهم الحق بقدر ما تهمهم مصالحهم الشخصية ، كما فعل « ديوسكورس » خلف «كيرلس » على سدة الأسكندرية .

فخرجت بطريركية الأسكندرية بمذهب تفسر فيه طبيعة المسيح بأنها طبيعتان في طبيعة واحدة ، إنهما اللاهوت والناسوت ، التقيا في المسيح . وقرر ذلك في « مجمع أفسس الثاني » الذي عقده بطريرك الأسكندرية .

فغضبت الكنيسة الكاثوليكية ، وسمت هذا المجمع « بمجمع اللصوص » وعارضه بطريرك القسطنطينية معارضة شديدة وانسحب من المجلس ، وزاد الشغب والعراك ، حتى أمر الأمبراطور « مرقيانوس » بعقد مجمع سنة 451 م

5 ــ مجمع سنة 451 [249]

كان بطلب من الأمبراطور لفظ النزاع والاتفاق على عقيدة واحدة ، وطلب صيغة وجيزة على العقيدة ، ويمكنه أن يستعين بها ليتبين فيما بعد صحة الايمان عند الأساقفة .

فقرروا أن المسيح طبيعتان منفصلتان ، لا طبيعة واحدة ، وان الالوهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحده التقتا في المسيح .

---

(249) د. اسد رستم، الروم، ج 1، ص : 134.
لويس غرديه، فلسفة الفكري الديني، ترجمة د. صبحي صالح، ج 2، ص : 321.
نوفل جرجس، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، ص : 149.

ولعن « نسطور » ولعن « ديسكورس » ومن شايعهم في مقالتهم .

وابطال ولعن قرارات مجمع أفسس الثاني ، الذي عقده « ديسكورس » بطريرك الأسكندرية ، وقرر فيه أن المسيح طبيعة واحدة ، التقى فيها اللاهوت والناسوت .

ولكن الكنيسة المصرية « الأسكندرية » تمكنت برأيها ورفضت قرار المجمع ، حيث إن هذا المجمع لم يضمن للشرق المسيحي ما كان ينشده من طموح سياسي زاد في تفاقم الخلاف العقدي الذي كان ينبغي ألا يخرج من نطاقه الروحي . وانفصلت الأسكندرية عن الكنيسة الغربية وثارت الكنيسة ترفض البطاركة المعينين من قبل الرومان . وانتصروا لمذهبهم في ربوع الدولة الرومانية ، كما انتصر الرومان لمذهبهم الذي سماه العرب من بعد « المذهب الملكي » .

وظهر للمذهب المصري داعية قوي الشكيمة بليغ الأثر إسمه يعقوب البراذعي [250] ظهر في وسط القرن السادس ، يدعو لمذهب مصر في الدولة الرومانية ، لا يعبأ بالمخاطر والأهوال وقيل إنه رسم تسعة وثمانين أسقفا وألوفا من الكهنة والقسس ، ومن ذلك الحين أطلقت كلمة « يعقوبيين » على من يقولون إن للمسيح طبيعة واحدة اشتقاق من اسم يعقوب البراذعي زعيم هذا الحزب .

فكانت الكنيسة قد قسمت عقيدتها إلى ثلاثة أقسام كبرى هي :

1 ــ أصحاب العقيدة المحددة في المجامع والتي تقول : إن المسيح يقوم بأقنوم في طبيعتين ، وأطلق عليهم فيما بعد الملكية لأن الملوك ناصروهم في هذه العقيدة .

2 ــ أصحاب النسطور الذي يذهب إلى أن المسيح يقوم بطبيعتين وأقنومين وتكاثر هؤلاء في المشرق والعراق والجزيرة .

(250) نفس المصدر السابق، ص : 158.

3 ــ أصحاب الطبيعة الواحدة وأقنوم واحد الذين عرفوا فيما بعد (باليعاقبة » في مصر والحبشة نسبة إلى يعقوب البراذعي الذي أعاد هذه الفرقة ورتبها في القرن السادس الميلادي بعد أن كادت تتلاشى [251] .

6 ــ « يوستيانوس » والعقيدة :

تسلم الأمبراطور « يوسنيانوس » (527 ــ 565 م) الحكم والذي بذل جهدا لتوحيد المسيحية ، لأنه كان يؤمن بأن رئيس الدولة هو الحاكم في الدين والدنيا ، وهو المسؤول عن الوحدة الدينية ، فيجب على أئمة الدين ذاتهم الطاعة له حتى في العقائد .

فوقف بحزم أمام دعاة (الطبيعة الواحدة) وأصدر في سنة 548 م احترامه لما قرر في مجمع (خلقدونه) ثم سحب هذا الاعتلااف ونشر سنة 551 ما يسمى (الابانة عن أصول الديانة) يعلن فيه ما يراه دين الدولة الرسمي موفقا بين مجمعي (أنسس) و (خلقدونه) ورادا على أصحاب الطبيعة الواحدة ، وطلب من الأساقفة الذين حضروا الاجتماع التوقيع على هذا البيان .

واضطر البابا أن يعترف بشرعية المجمع في سنة 553 م واعتبر المجمع المسكوني الخامس في القسطنطينية ، ورفضه كثير من أساقفة الغرب نشأ عن هذا الرفض انشقاقات عديدة بقيت حتى أواخر القرن السابع .

وفي أثناء هذه الفترة فقد العالم العقيدة كما فقد النظام [252] ، فإذا فقد أساس الوجود والاستقرار فماذا يكون ؟ تفقد الطمأنينة في الباطن والظاهر : طمأنينة الباطن التي تنشأ من الايمان بقوة من الغيب تزن الأمور بالقسطاط . وطمأنينة الظاهر التي تنشأ من وجود دولة تقضي بهذا الميزان

---

(251) نوفل جرجس، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ص : 158 أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص : 136، 157.

(252) لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، ترجمة د. صبحي صالح، ج 2، ص : 339.
نوفل جرجس، سوسنة سليمان، ص : 149.

الذي وضعه الله والذي يضمن السلامة للفرد والجماعة ، حيثما كانوا أنفسهم أو مع غيرهم ، في الأرض أو في السماء ، في الفكر أو في العمل .

وبزنطة خرجت من الدين الى الجدل العقيم حتى تضاءلت السلطة في البر والبحر وطمع فيها من كان يحتمي بجوارها . وسادت الفوضى في العقائد [253] وتاه الناس في بيداء الضلال ، واستحال دين المسيح إلى دين الوثنية الذي جاء ليقضي عليها فأصبح فريسة لها [254] . كل ذلك بسبب الخلافات المذهبية والأدهى وأمر ان هذه الخلافات كانت في أصل العقيدة ، الذي لا ينبغي أن يكون فيه خلاف . وإن كان في مسائل العبادات ، والمعاملات وذلك حسب حاجات وظروف الأفراد في سبيل المحافظة على بناء العقيدة وسلامتها .

فكان العالم يتطلع إلى حال غير حال : عالم يتهيأ للتبديل أو الهدم ثم للبناء . فكان الكرم الالهي أن أرسل رسوله محمدا عليه السلام لانقاذ العالم من هذا الضياع الذي وقع فيه فقال له ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾[255] ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [256] .

وطبيعي أن تبقى السلطة السياسية تحافظ على سلطتها وبقائها أمام هذه الدعوة الجديدة ، التي لا تبقى لسلطانهم ولا تذر ، واستمرت المقاومة كما قاوم اليهود باحبارهم وكهنتهم المسيح عليه السلام تجبرا وعنادا وهم يعلمون من كتبهم كما أوضحت صدق هذا المخلص [257] والذي بين حقيقة عيسى ودعوته وبشريته ونفى كل الترهات التي علقت باسم المسيح ودعوته . جاء بهذا البيان من عند الله الذي لا تخفى عليه خافية ، لا في الأرض أو في السماء كانت أو ستكون ...

(253) العقاد، مطلع النور، ص : 22.

(254) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة العربية، ج 2، ص : 101.

(255) ح. كمال الدين، المثل الأعلى في الأنبياء، تعريب أمين محمود، ص : 49.

(256) آية 1، سورة ابراهيم.

(257) آية 107، سورة الأنبياء.

ثم كان مجمع سنة 680 م عندما قام يوحنا (مارون)[258] يقول إن المسيح له طبيعتان بمشيئة واحدة ، فانزعج القساوسة والأساقفة والحكام وخاصة الملك (يوغاناقوس) فدعا إلى مجمع القسطنطينية الثالث سنة 680 م الذي اجتمع فيه 289 أسقفا وقرروا أن المسيح له طبيعتان ومشيئتان ، ولعن وطرد أصحاب القول المخالف .

7 ــ تأثير الاسلام على المجامع :

وبدأ تأثير الاسلام على المجامع[259] فكان مجمع سنة 754 م الذي حرم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة وطلب الشفاعة من مريم العذراء لكن الملكة (ايرينى) أمرت بعقد مجمع في (نيقية) سنة 787 م حضره (377) أسقفا ، قرر فيه تقديس الصور الخاصة بالمسيح والقديس ووضعها في الكنائس والأبنية المقدسة والبيوت والطرقات . لأن النظر إلى ربنا يسوع المسيح ووالدته والقديسين يشعرنا بالميل إلى التفكير فيهم .

وفي القرن التاسع حدث نزاع بين بطريرك القسطنطينية (فوسيوس) الذي قال ، إن الروح القدس منبثق من الأب وحده . وبطريرك روما الذي قال ، إنه منبثق من الأب والابن معا . وكانت المعركة ، وعزل فوسيوس وكان مجمع سنة 869 م الذي قرر رأي روما القائل : بانبثاق الروح القدس من الأب والابن وكنيسة روما هي المسؤولة عن الديانة المسيحية في كافة المراسيم والطقوس ، ولعن فوسيوس وحرمانه وأطلق على هذا المجمع (المجمع الغربي اللاتيني) .

ثم عاد (فوسيوس) إلى مكانه فعقد مجمعا سنة 879 م يسمى تاريخيا (المجمع الشرقي اليوناني) وقرر فيه رفض مجمع سنة 869 م وأيد رأيه القائل بانبثاق الروح القدس عن الأب فقط .

---

(258) انظر مبحث التبشير بمحمد عليه السلام في الفصل الثاني من الباب الأول.

(259) لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، ج 2، ص : 242.
نوفل جرجس، سوسنة سليمان، ص : 150.

ويلاحظ هنا ظهور الصراع الفكري والقومي في الكنيسة بشكل واضح ، حيث لم تعد المسألة مسألة دين ولكنها مسألة سلطة وقومية ، فكانت النتيجة أن انفصلت الكنيسة المصرية عن المجمع الرابع سنة 450 م انتصارا لبطريركها وشعورها القومي الذي تراه قد أهين بما نسب إلى بطريركها ، فتعصبت له وإن خالفه بطاركة العالم .

وانقسمت الكنيسة بعد المجمعين (الشرقي اليوناني) (والغربي اللاتيني) المنعقدين في القسطنطينية إلى الكنيسة الشرقية ومقر رئاستها القسطنطينية ، والكنيسة الغربية ومقر رئاستها روما .

وبذلك انتهت المجامع المسكونية العامة [260] ، وآل الأمر إلى المجامع الخاصة بملة معينة أو مكان معين ، فكانت المجامع في سنة 1123 م و 1139 م و 1179 م كلها في روما التي اعتبرت المسكونية العامة .

وكان مجمع سنة 1215 م الذي تقرر فيه :

1 ــ إن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء ، ونص الصك يقول (ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحل عليك باستحقاقات الآمه الكلية القداسة وانا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها ، وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها ، مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسي الرسولي وامحو جميع أقذار المذنب ، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة . وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر ، وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرنك شركة القديسين ، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر الذين كانا لك عند معموديتك ،

---

(260) أمين الخولي، صلة الاسلام باصلاح المسيحية، بحث مقدم إلى مؤتمر الأديان سنة 1935 م، ص : 76آ

حتى انه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطأة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس) . وهو ما يعرف في التاريخ (بصكوك الغفران) وابتدأت الكنيسة حق الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة ، ثم تولى القسيس مسح هذه الذنوب والشخص الذي يودع الدنيا ثم انتقلت من ذلك إلى أن جعلت لنفسها الحق في الغفران والشخص قوي يستقبل الحياة فيما تقدم من ذنبه . إلى أن صارت تباع هذه الصكوك لمن يريد بالفلوس . وكأنها أخذت على الله التصرف بالآخرة .

إن الخبز والخمر في العشاء الرباني يتحول إلى جسد ودم المسيح وجعل هذا من المبادىء الدينية للمسيحيين .

ما هذا التناقض الذي لم تقل به الوثنية الأشد كفرا بالله ؟ اللهم إذا لم يكن وسيلة لغاية يصلون إليها ، سياسية أو قومية ، وإلا ما هذا الإله الخروف الذي يتجسد في الخبز والخمر ويؤكل ، الا ينتهي هذا الخبز والخمر فينتهي من هذا الإله .

ثم توالت المجامع [261] واشتدت المنازعات بسبب ظهور حركة الاصلاح الثائرة على الكنيسة وضلالها . فكان مجمع سنة 1563 م الذي عقد في (تريدنتو) وكل ما فيه الرد على أفكار الفرقة البروتستانتية .

ثم كان مجمع سنة 1869 م في (روما) الذي أقر (ان البابا معصوم) وحول هذا يذكر نوفل جرجس (قد نشأ في ذلك انقسام في الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوروبا والشرق ، والذين خالفوا في هذه العقيدة من أهالي أوروبا سموا أنفسهم الكاثوليك القدماء) [262] .

---

(261) نوفل جرجس، سوسنة سليمان، ص : 151.
أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص : 146.
متولي شلبي، أضواء على المسيحية، ص : 115.

(262) سوسنة سليمان، ص : 152.

وأما عصمة هذه وهو بشر مخلوق يخطىء ويصيب ، وأي إنجيل يقول بهذا ؟ إنها عصبية السيادة والسلطان التي ليست من تعاليم المسيح في شيء ولو كان حيا لكان أول ثائر عليها عليه الصلاة والسلام .

وهكذا كانت الغايات السياسية والنزاعات القومية قد تزيت بالصيغ العقدية المختلفة ، التي لجأ إليها أصحابها لا لشيء إلا ليحرزوا استقلالهم عن بزنطة . ومما يؤيد هذا :

إن المجامع التي عقدت لم تنه الخلافات الموجودة بين المسيحيين ، لا حول العقيدة ولا حول الوحدة المسيحية البشرية إذا كانت هذه حجة أصحابها . ولكنها ولدت خلافات جديدة كما رأيت من هذا العرض المختصر للقرارات التي كانت لرغبات أفراد من الأساقفة أو السلاطين .

ثم على ماذا كانت تعتمد هذه المقررارت من المصادر الشرعية من كتاب منقول عن رسول الله عيسى عليه السلام أو سنته المنقولة ؟ أو من هذه الأناجيل « البشارات » أو رسائل الرسل ؟ بل إن هذه الرسائل لم تعتبر إلا بعد مجمع سنة 325 م .

فكانت النتيجة [263] من سلطنة السياسة لضبط العقيدة إن ضاعت حقيقة الاعتقاد ، وتاه الناس عن العقيدة الصحيحة ، بما كان من تنصر قسطنطين وتنصر الذين استغلوا الفرص لغايات شخصية كإرضاء الأمبراطور للحصول على المراتب السامية وما من داء عضال أشد من الرياء لافساد المبادىء .

ثم كثرت الأحزاب والفرق ، وكانت النزعات القومية بهدف الانفصال والاستقلال . إن لم تكن مدبرة لتمزيق المسيحية وضربها في الأساس وهو العقيدة ، من قبل أشد أعدائها اليهود استمرارا لمؤتمرهم المعقود سنة 43 م للقضاء على المسيحية .

---

(263) سوسنة سليمان، ص : 154.

المبحث الثالث

عقائد النصارى المجمعية

قرآن كريم

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ .

سورة التوبة آية 31/30 .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ، ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ .

سورة المائدة آية 18/17 .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون﴾ .

سورة المائدة 75/72 .

﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ .

سورة المائدة 117/116 .

﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ﴾ .

سورة النساء آية 172/171 .

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ .

سورة آل عمران آية 59 .

﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . يا أهل الكتاب لما تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾

سورة آل عمران آية 71/70 .

﴿ وإنَّ منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ .

سورة آل عمران آية 79/78 .

ـــ عقائد النصارى المجمعية :

لقد ذكر القرآن الكريم حقيقة العقائد النصرانية ، التي اعتقد بها المنتمون إلى المسيح عليه السلام ، بدون تعقيد يشبه ذلك الذي نقله المؤرخون والفلاسفة والباحثون . والسر واضح ومعلوم أن القرآن كتاب الله الموحى به إلى رسول الله محمد عليه السلام ، وهو كلامه تعالى الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، كانت أو ستكون . وهؤلاء الذين كتبوا ونقلوا هم من مخلوقاته تعالى وليس الخالق كالمخلوق ، كما شبهت النصارى في تقريب معرفة الله تعالى ومن هذا الباب وقعوا في الزيغ والضلال .

وهذه الفرق التي ضبطها القرآن وذكرها لنا هي ثلاثة :

1 ـــ القائلة بأن المسيح ابن الله :

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن

الله ..﴾[264] وبعد أن ذكر هذه العقيدة بين سبحانه أساسها وحقيقتها بأنها من صنع الانسان ، ولم يرد بها نقل عن الله فقال ﴿ ..ذلك قولهم بأفواههم ﴾ ، وأكد بأن هذا القول هو من اليهود والنصارى أنفسهم فقال قولهم ثم قال (بأفواههم) ، زيادة في التشنيع وإيضاح الحقائق .

ثم ذكر سبحانه أنهم قالوا هذا طبقا لمن سبقهم في هذا القول حيث كان من قال به فصاروا على طريق ضال سار به الكفار من قبل حين قال تعالى ﴿ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ .

ثم بين سبحانه السبب المباشر في هذه العقيدة وهم الأحبار والرهبان أي رجال الدين عندهم الذين كانوا متسلطين عليهم باسم الدين ، فطاب القول لهم بدون علم ، ويقولون هو من عند الله ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ [265] .

والحقيقة التي أمروا بها بدون عناء ، وبدون فلسفة أو سيطرة هي عبادة الله الواحد . ﴿ ...وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ .

فلماذا نكلف النفس ما لا تطيق وهي في الأصل تبحث عن الهدوء والاطمئنان فكانت النبوءات كي يعلّموا الناس الحقيقة الواضحة ويعيشوا في أمن واستقرار ، فإذا لم يعرف الانسان الخالق فلا يكون له استقرار وهذا الاله هو واحد منزه عن أن يكون له شريك . ولكن الأحبار والرهبان عقّدوا الأمور وعادوا بالانسان إلى حياة الشك والقلق ، ترى لماذا هذا ؟

ويكشف تعالى هذه النفوس المريضة ضعيفة الايمان ويكشف معهم الهدف الذي إليه يسعون ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ بهذه المخترعات من العقائد الزائفة المضلة ، ولو كانوا مؤمنين حقيقة لعرفوا الله

(264) هارفي بورتر، النهج القويم في التاريخ القديم، ص : 547 العقاد، مطلع النور، ص : 38.
(265) الآية 30 من سورة التوبة.

وانتهوا عن فعلهم هذا لأن الأمر أمره والفعل فعله ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ .

وفي سورة المائدة عرض تعالى قولهم وأقام الحجة على بطلانه حين قال ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ هذه هي الدعوة والحجة ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ فإذا حصل العذاب لكم فأنتم بشر ممن خلق ، وهؤلاء يغفر لمن يشاء منهم ويعذب من يشاء ولو كنتم أولاده ــ تعالى الله عن ذلك ــ لما عذبكم كما يجري للبشر الآخرين وتعالى غني عن هذا الولد ﴿ ولله ملك السماوات وما بينهما وإليه المصير﴾(266) وإله هذا شأنه فما حاجته إلى الولد ؟

2 ــ القائلة بألوهية المسيح :

قال تعالى في آية المائدة لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ (267) . فدل هذا على وجود قوم من النصارى قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، فهؤلاء جعلوه إلها وهو في الحقيقة عبد لله خلق بصورة ليس كما يولد الانسان العادي .

ويورد تعالى ذكره حجة على بطلان هذا الادعاء ﴿ ..قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا﴾ وهذا المسيح قد انتهى أمره وكذلك والدته والكون لا زال كما هو ، فإذا كان عيسى إلها ، والاله صلب وعذب فمن يدير هذا العالم ؟

يديره الاله الحقيقي الذي خلق عيسى عليه السلام وأنهى أمره والذي يخضع له كل شيء بما في ذلك عيسى .. ﴿ ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ .

فهذه الفرقة كافرة بالله أكد ذلك بالاية الأخرى ﴿ لقد كفر الذين

(266) الآية 31 من سورة التوبة.
(267) الآية 18 سورة المائدة.

قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ [268] ، وقد بين المسيح انه مجرد رسول أمر بني اسرائيل بعبادة الله ربه وربهم وحذرهم من الاشراك بالله حيث الحرمان من الجنة ﴿ يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ .

فالمسيح بشر وليس إله كما مر الحديث عنه وقد كانت هذه الفتنة في زمنه عليه السلام واستمرت من بعده وهي من صنع اليهود .

3 ـ عقيدة الثالوث :

قال تعالى في سورة المائدة ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ وتفسير ثالث ثلاثة كما عند النصارى على وجهين [269] :

أ ـ أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة . والذي يؤكد هذا قوله تعالى في المسيح ﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ وينفي عيسى هذا القول مطلقا ، ويؤكد ذلك حين يسأله الله تعالى بقوله : ﴿ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ والذي قلته هو الدعوة إليك يا رب بالعبادة ، وهذا ما أمرتني به ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ .

ب ـ وفسرت طائفة أخرى بقولها جوهر واحد ، ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة إلهه واحد كما أن الشمس إسم يتناول القرص والشعاع والحرارة .

وعنوا بالأب الذات .

والابن الكلمة .

والروح الحياة .

(268) الآية 17 من سورة المائدة.

(269) الآية 72 من سورة المائدة.

قال الرازي وهذا واضح البطلان ببديهة العقل لأن الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة .

وفي سورة النساء ينهي تعالى عن الغلو في الدين موجها الخطاب إلى أهل الكتاب ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ [270] ، ثم يوضح تعالى هذا الحق فيما يتعلق بعيسى ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ وطلب منهم الايمان بالله وبرسله ، ثم ينهاهم عن القول بالتثليث ﴿ ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم﴾ لماذا هذا الأمر ؟ لأنه أكد ﴿ إنما الله إله واحد سبحانه﴾ متنزه عن أن يكون له ولد وهو المالك لما في السماوات وما في الأرض .

وذكر أن المسيح نفسه يقول ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله﴾ [271] وأكثر من هذا إذا أردتم العضة والاعتبار ﴿ ولا الملائكة المقربون﴾ هؤلاء الذين يتميزون عن المسيح فهم خلقوا بلا أم ولا أب ولا يأكلون ولا يشربون وهم أقرب الخلق إلى الله ، فإذا كانت ألوهية أو بنوة الله ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ فهم أولى من غيرهم ولكنهم مع هذه الصفات المتوفرة بهم عبيد الله . فما بالك بعيسى المخلوق العبد كبقية البشر .

والكل يوم القيامة العابد وغيره ستتضح حقائقهم ويجازى كل بعمله وسترون ذلك ، واعملوا ما شئتم وهذا نذير جاءكم من ربكم وبرهان في هذا الكتاب الذي أنزله الله وهو القرآن ﴿ وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ [272] .

4 ـــ حقيقة عيسى بن مريم عليه السلام

يبين تعالى أن المسيح هذا المختلف فيه إن هو إلا رسول الله كبقية الرسل [273] الذين جاؤوا من قبل لا أكثر ولا أقل فهذه درجته التي يجب

---

(270) ابن الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص : 31، الرازي في التفسير الكبير، ج 12، ص : 60.

(271) الآية 171.

(272) الآية 172 من سورة النساء.

(273) الآية 174 من سورة النساء.

عليكم أن تعتبروها ، فلا هو إله ولا إبن إله ولا ثالث ثلاثة إنما هو عبد الله ورسوله . وأمه صديقة أي صدقت بآيات ربها وبما أخبرها به كما سبق الحديث عن مريم .

والدليل على هذا الحديث انه كان وأمه يأكلان الطعام ، والمقصود من هذا أن له أم ، فقد حدث بعد أن لم يكن ، وكل ما كان كذلك كان مخلوقا لا إلها [274] .

وإنهما كانا محتاجين ، والاله يكون غنيا عن جميع الأشياء فكيف يعقل أن يكون إلها ؟

وإذا تتبعنا سيرة عيسى في القرآن الكريم ، نجده عبدا من عباد الله أنعم الله عليه وجعله رسولا لبني إسرائيل ، وأيده بالآيات الواضحات . لقي العذاب من قومه والشتم عليه وعلى أمه العذراء الصديقة ، كما أسلفت ذلك بالتفصيل .

وكل ما يقال حوله من صفات لا تليق بمقامه فهي ضلال وكفر ، من قبيل الغلو في الدين الذي نهى الله عنه ، والذي قال به قوم في التاريخ القديم سواء من الذين يبحثون عن الحقيقة أو المحترفين للاراء والمعتقدات الصحيحة .

فالمسيح مثله كمثل آدم ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقة من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [275] أي خلق عيسى من أمه على غير العادة المألوفة ليس بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، فكان آدم بأمر الله وكان عيسى الأقل غرابة بأمر الله وهو (كن) [276] .

(274) الآية 75 من سورة المائدة (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون).

(275) الرازي، التفسير الكبير، ج 12، ص : 61.

(276) آية 59 سورة آل عمران.

وأما القول بالبنوة أو التثليث أو الألوهية فهذا من قبيل خلط الحق بالباطل ﴿ قل يا أهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾ و ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ [277] وكل هذا حصل بالفعل ، وهم يعلمون الحق الذي جاء به رسول الله ، ولكنهم حرفوا وبدلوا ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ...﴾ ثم يؤكد تعالى بأنه ليس من عنده ﴿ ...ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ...﴾ إن هو إلا كذب مفترى وهم يعلمون ذلك أنه كذب ﴿ ...ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [278] .

ثم ينفي تعالى هذه المفتريات بقوله : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ...﴾ [279] فهو بشر أتاه الله الكتاب ليحكم بما فيه . وجعله رسولا نبيا يرشد الناس إلى خيرهم في الحال والمآل ولا يأمرهم باتخاذ نفسه إلها ولم يحدث من هذا القبيل مع الرسل الذين اختارهم الله لهداية خلقه إلى السراط السوي إذ وظيفتهم هي دعوة الناس إلى الله وحده ، والاخلاص له كما هو منصوص عليه في الكتاب الذي أنزل إليه من ربه ﴿ ...ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ .

ويستحيل على النبوات أن تدعو إلى اتخاذ الأنبياء والملائكة أربابا من دون الله ، إذ كيف تدعو إلى الكفر وقد جاءت بإسلام ؟ ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيامركم بالكفر بعد أن كنتم مسلمون ﴾ [280] .

---

(277) انظر الطبري في تفسيره ج 6، : 493.

(278) الآيات 70 و 71 من آل عمران.

(279) آية 78 سورة آل عمران.

(280) آية 79 من سورة آل عمران.

ثم يؤكد تعالى أن عيسى لم يقل بما قالته النصارى من بعده من الأقوال المخالفة والمجانبة للفطرة السليمة ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ..﴾ [281] فيجيب عليه السلام ﴿ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ معترفا بأن هذا ليس من حقه أبدا ، لأنه عبد رسول يدعو إلى الله ، والألوهية حق الله تعالى . ويجرد نفسه من القول نهائيا ﴿...إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ .

ويوضح الأمر الذي كان قد دعي إليه ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ [282] .

هذا هو عيسى وهذه حقيقته يؤكده قوله تعالى ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكوْن . وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ [283] .

---

(281) آية 80 من سورة آل عمران.

(282) آية 113 من سورة المائدة.

(283) آية 117 من سورة المائدة.

المبحث الرابع

التوحيد رسالة الأنبياء

1 ـــ التوحيد عند الوثنية :

لقد كانت فكرة التوحيد في العهود الوثنية القديمة فهذا على سبيل المثال (اخوان آتون) الذي تولى عرش الفراعنة سنة 1375 ق .م يقول وهو في الثامنة عشرة من عمره ، إن الله واحد لا شريك له في ملكه ، وجميع خلقه إخوة . وأنكر تعدد الآلهة وأزال آثارها من على الآثار وأقام إلهه الواحد (اتن) [284] .

وهذا (كونفوشيوس) [285] عام 551 ق .م . في الصين كان يؤمن بكائن أعلى موجود يصدر الأوامر ويقدر المقادير . وكذلك (بوذا) فقد كان يؤمن بنظام أخلاقي لا يمكن إلا لإله عادل قادر على كل شيء ان يأمر به . وكان يقول : لا تؤمن بأي شيء لان حكيما كتبه أو قاله المعلمون أو

(284) الآيات 36/34 من سورة مريم.

(285) العقاد، الله ص : 61 وكذلك محمود علي قراعة، الثقافة الروحية في انجيل برنابا ص : 14.

الكهنة ، بل عليك بما يتمشى مع عقلك ويؤدي إلى سعادتك والكائنات الحية من حولك .

ذكر طنطاوي جوهري [286] بأن الاكتشافات الأثرية تدل على أن قدماء المصريين كانوا على دين التوحيد وكان من نتيجة البحث في هذه المكتشفات أنهم كانوا يقولون « الخالق الحق للسماوات والأرض لم يخلقه أحد ، الواجب الوجود لنفسه الكائن منذ الأول ، الروح الطاهر الكامل في جميع أوصافه الكلي الحكمة والقدرة والقداسة » .

وهذا لإله لم يصنعوا له رسما ولم يكن له إسما عندهم ولم يبيحوا التلفظ باسمه ، ويقولون إن كل ما سواه من الالهة ليس إلا صفة له أو قسما من الطبيعة التي خلقها .

وما يقال عن قدماء المصريين يقال كذلك عن دين الفرس القدماء فقد كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب وحشر الأجساد والملائكة إلا أنهم بعد امتزاجهم بالمجوس الذين كانوا يكرمون النار والهواء والماء والتراب ويحرسون النار المقدسة على مذابحهم معتقدين أن أصلها من السماء أصبحوا على عقيدة فاسدة مضطربة لما داخلها منها .

ويتضح التوحيد في نبذتين من كتاب « الأوستاوزند » ومعناه المتن والشرح . وقد فقد أكثره أيام الأسكندر . ففي النبذة الأولى « أقدم لسيدي ومولاي العظيم (أهومزدا) وأسألك أيها السيد العظيم أن تغفر لي خطيئتي يوم الدين وتقدرني على أن أقوم بشعائر الدين . إن في الوجود (روحين) روحا شريرة وروحا فاضلة . وللأولى الشرور وللثانية الفضائل والخيرات فأخذت أنت يا قدوس الخير ونبذت الشر . وأهل الشر قد اتفقوا عليه فكنت أنت غالبهم . فلئن أتت الأرض بالشوك والحسك بسبب شرهم تأتي أنت بالنعم في الأرض . وسوف يأتي يوم الحساب ويجازى كل بما عمل » .

---

(286) نوفل جرجس، سوسنة سليمان ص : 60 و 63.
محمد الشرقاوي، الدين والضمير، ص: 28.

وفي النبذة الثانية وتسمى « قانون الايمان » نؤمن بإله واحد خالق السماوات والأرض والملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار والماء وكل شيء إياه نعبد وله نسجد وبه نستعين إلهنا لا وجه له ولا شكل ولا مكان محدود . ولا نستطيع وصف مجده ، ولا تدرك عقولنا كنهه . له ألف اسم وإسم ولكن إسمه الأول (هومزدا) أي الروح الحكيم . ومتى عبدنا نلتفت إلى بعض خلائقه كالشمس والنار والماء والقمر . وقد علمنا نبينا (زرادشت) أن الله واحد وهو نبيه ، وأن نؤمن (بالاستا) وبوجود الله . وأن نسلم لمشيئته ونطيع أوامره ، ونعمل الأعمال الصالحة ونقول الأقوال الحسنة ، ونفكر الأفكار الطاهرة ، ونصلي خمسا كل يوم ونؤمن بالحساب ، وبأنه يكون في اليوم الرابع بعد الموت ، ونرجو السماء ونخاف جهنم ونؤمن بيوم القيامة » .

وهذا سقراط [287] يحدث تلاميذه قائلا « يجب أن تعرفوا أن إلهكم واحد » ويأتي بعده أفلاطون الذي يعلن أن الله واحد لا شريك له ولا يثبت له الكمال إلا إذا كانت سلطته لا حد لها . ويأتي أرسطو فيقرر أنه مما يدل على وحدانية الله انتظام العالم وتناسق حركاته ... ويؤكد الفيلسوف اليوناني « مليسوس » أن اللامتناهي واحد فقط أن يمتنع أن يكون هناك شيء خارج اللامتناهي .

ومن التوراة « يقول موسى عليه السلام » الرب هو الإله في السماء من فوق ، وعلى الأرض من أسفل ، ليس سواه » [288] ويقول موسى أيضا في سفر الخروج « إنه ليس مثل الرب إلهنا » [289] .

ولقد كانت أولى الوصايا العشر التي أنزلها الله على نبيه موسى وشعبه

---

(287) جواهر القرآن، ج 10، ص : 28.

(288) محمد مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص : 134.

(289) سفر التثنية فصل 4 رقم 39.

معنى قوله سبحانه « أنا الرب إلهك لا يكن آلهة أخرى أمامي » [290] .

وفي مزمور داود « يا الله من مثلك » [291] من قبل أن توجد الجبال أو ابدأت الأرض والمسكونة ، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله » « لأنك عظيم وصانع عجائب ، أنت الله وحدك » .

ونحميا [292] النبي يخاطب الله قائلا : « أنت هو الرب وحدك » وأيوب الصديق يتحدث عن ربه فيقول « الباسط السماوات وحده والماشي على أعالي البحار » [293] وفي أشعيا يقول الرب « أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غير » [294] .

ومن الأناجيل يقول القديس يوحنا « الله لم يره أحد » [295] ويقول القديس بولس في رسالته الأولى إلى تيما شاوس إن « الله لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » [296] وفي رسالة بولس إلى أهل روميه يقول « لأن الله واحد » [297] وفي رسالته إلى أهل غلاطية يقول أيضا « ولكن الله واحد » [298] ويقول يعقوب الحواري « أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل » [299] . ويقول أيضا « واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك » [300] .

---

(290) فصل 18 رقم 10.
(291) سفر الخروج فصل 20.
(292) فصل 19/71، 17/90، 10/86.
(293) فصل 6/9.
(294) سفر أيوب فصل 8/9.
(295) فصل 6/44.
(296) فصل 18/1.
(297) 16/6.
(298) فصل 20/3.
(299) فصل 20/3.
(300) فصل 19/2.

3 ـــ الرسائل :

وفي رسائل بولص إلى (رومية)[301] (لأن الله واحد) وإلى (غلاطية)[302] (ولكن الله واحد) .
وكذا يعقوب في رسالته[303] يقول (أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل) ثم يقول[304] (واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص أو يهلك) .

4 ـــ الآباء :

أ ـــ (آريوس) الذي يقر بالوحدانية ويقول ان الله هو الإله الأصلي الواجب الوجود ، أما الابن والروح القدس فهما كائنان من خلق الله .

ب ـــ (أوريجانس) يعلن أن الله روح لا يدركه الفهم . وهو أعلى من يكون على صورة البشر ، والله لا يحد ولا يجزأ ولا يحصر .

ج ـــ (ترتليان) أعلن براءته من الذين ابتدعوا مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية بعد المسيح والانجيل ويقول : (لسنا بحاجة إلى شيء من هذا) .

د ـــ (الأسقف نسطور) ينكر ألوهية المسيح ويقرر أنه إنسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة ويؤيده في هذا (تولستوي) ، ورينان وسابليون وبولص الشمشاطي ومقدونيوس ، كما ذكرت سابقا .

هـ ـــ (سرفيتيوس) الذي جهر بالوحدانية في إسبانيا فحرق حيا سنة 1553 م[305] .

---

(301) فصل 12/4.
(302) فصل 3 رقم 30.
(303) فصل 3 رقم 20.
(304) فصل 2 رقم 19.
(305) فصل 4 رقم 12.

ثم جاء القرآن الكريم وبين لنا عقيدة الرسل الذين سبقوا محمدا عليهم السلام على الحقيقة الأولى التي أنزلها الله عليهم وهي حقيقة التوحيد ، فهذا نوح يقول عنه القرآن ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (306) . والتوحيد نداء هود وصالح وشعيب عليهم السلام ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ (307)﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (308) ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (309) .

والتوحيد دين يعقوب وأبنائه فيقص القرآن سؤال يعقوب لأولاده وردهم قائلين ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا﴾ (310) . ويوسف حين خاطب دعاة الشرك والتعدد ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (311) .

والتوحيد دعا إليه موسى ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم﴾ (312) وعيسى عليه السلام إذ قال لقومه ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا سراط مستقيم﴾ (313) .

والتوحيد رسالة محمد عليه السلام ﴿ قل هو الله أحد ، الله

(306) محمد مرجان، الله أم ثالوث، ص : 147.
(307) سورة الاعراف آية 59.
(308) سورة الأعراف آية 65.
(309) سورة الأعراف آية 61.
(310) سورة الأعراف آية 85.
(311) سورة البقرة آية 133.
(312) سورة يوسف آية 39.
(313) سورة المائدة آية 20.

الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد﴾[314] .

وفي ختام سورة الأنبياء وبعد أن قص كثيرا منهم قال تعالى ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾[315] ، قال ابن عباس[316] ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم في قوله إن هذه أمتكم أمة واحدة ، يقول دينكم واحد .

---

(314) سورة آل عمران آية 51.
(315) سورة الاخلاص.
(316) سورة الأنبياء آية 93.

فصل ملحق

اليهود والمسيحية المعاصرة

المبحث الأول : حركة الاصلاح .
المبحث الثاني : أثر اليهود على المسيحية المعاصرة .
المبحث الثالث : الأمريكيون يتجرون بالمسيح .

المبحث الأول

حركة الاصلاح

لقد كان للظروف التي مرت بها الكنيسة ، وبخاصة مواقفها العدائية ضد العلم والعلماء وتعذيبهم ، وتولي كافة السلطات ، واشتراط الرجوع إليها في كل صغيرة وكبيرة وقضية الاعتراف وصكوك الغفران وفرض الضرائب على الأفراد والسيطرة على تفسير الأناجيل وما قالته عن العشاء الرباني واستحالته إلى جسد المسيح ودمه وانغماس رجال الكنيسة في الشهوات وارتكاب الموبقات ، واستغلال سلطانهم الديني . كل هذا أوجد حركة تدعو إلى الاصلاح والتغيير والعودة إلى تعاليم المسيح الصحيحة . وكان من دعاة هذه الحركة كل من : أرزم ومارتن ولوثر واسبنوزا .

ولقيت دعوة لوثر في أوروبا انتشارا واسعا بين المفكرين ، وبخاصة زونجلي (1484 ـ 1531 م) الذي تبنى فكرة لوثر في سويسرا وكلفين المولود سنة 1509 الذي تبنى الفكرة في فرنسا .

1 ــ أرزم (1465 ــ 1530) .

دعا أرزم إلى قراءة الكتب المقدسة ، وتهذيب العقول ، وتنمية المدارك لاستخراج العقيدة من مصادرها لأنه حق كل مسيحي ، وليس الحق محصورا على الكنيسة في تفسير الكتاب كما تقول . وكان صديقا للبابا (ليون العاشر) الذي قدر آراءه ووافقه على وجهات نظره .

2 ــ لوثر :

ولد سنة 1482 ودرس اللاهوت ثم عين مدرسا للفلسفة . وكان محبا للدين حج إلى روما فوجدها على عكس ما توقع من الصلاح . وعاد يدعو بالصلاح وعندما أراد (ليو) إعادة بناء كنيسة بطرس في روما شاء أن يكون تمويلها من (صكوك الغفران) وعندما وصلت هذه الصكوك إلى ألمانيا بلد (لوث) ثار ضدها وبين أن الغفران يكون بالاقلاع والندم ورجاء رحمة الله . وحارب هذه الصكوك بما علقه على أبواب الكنيسة من انتقاد حتى تنبه الرأي العام . ولكن البابوية غضبت ، وأرادت محاكمته [317] واستطاع أمير (سكسونية) حمايته . وفي سنة 1529 حاولت القبض عليه فمنعته القوة الشعبية التي احتجت على ذلك وسموا بعدها بالبروتستانت أي المحتجين .

وتقوم دعوة لوثر على المبادىء التالية : [318]

1 ــ البابا ما هو إلا كبير المرشدين ، وليس خليفة للمسيح .

2 ــ رجل الدين يعزل إذا لم يقم بواجبه كاملا .

3 ــ زواج الأساقفة ورجال الدين يصلح نفسيتهم .

(317) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص : 194.

(318) أمام محاكم التفتيش التي أسست بطلب الراهب (توركاندا) لمقاومة العلم والفلسفة عندما خافت الكنيسة من ظهورهما. وقد باشرت عملها في مدة ثمانية عشر عاما (1481/1499) حكمت على (10220) بالحرق فحرقوا أحياء وعلى (6860) بالشنق بعد التشهير فشنقوا و (97023) بعقوبات مختلفة ثم احرقت كل توراه بالعبرية، انظر محمد عبده، الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص : 34. انظر أيضا أبو زهرة محاضرات في النصرانية، ص : 77.

4 ــ لكل مسيحي الحق في فهم الكتاب المقدس بدون رجوع إلى رجال الكنيسة .

5 ــ العشاء الرباني ما هو إلا رمز تذكاري ، وفكرة تحول جسم المسيح ودمه إلى خبز وخمر أضحوكة .

ولقيت دعوة لوثر انتشارا كبيرا في أوربا على يد كل من زونجلي (1484 ــ 1351) في سويسرا وكلفين المولود سنة 1509 م في فرنسا .

آثار الاصلاح :

اختلف المفكرون في الآثار التي نجمت عن حركة الاصلاح :
أ ــ فذهب بعضهم إلى إيجابية هذه الحركة عندما تحققت النتائج التالية :

1 ــ إنشاء كنائس منفصلة عن سلطان البابا في روما عرفت باسم الكنيسة الانجيلية ، وصارت تأخذ تعاليمها مباشرة من الكتاب المقدس .

2 ــ إنهاء قداسة وسلطان الكنيسة وشفاعة القديسين .

3 ــ عدم استعمال الصور في الكنائس .

4 ــ إنهاء نظام الرهبنة الذي كان يعين على المعصية ويفسد رجال الدين [319] .

ب ــ وذهب فريق آخر من العلماء والمفكرين إلى سلبية حركة الاصلاح للأسباب التالية :

1 ــ أصبح الكتاب المقدس هو المعصوم بدل الكنيسة قبل الاصلاح [320] .

---

(319) انظر، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص : 77، متولي شلبي، ص : 135.
(320) نوفل جرجس، سوسنة سليمان، ص : 156.

2 ــ كثرة الفرق التي قامت بعد الاصلاح نتيجة حرية النظر التي نادى بها حركة الاصلاح في الكتاب المقدس فقد تحدثت جريدة نيويورك الصادرة في أول نوفمبر سنة 1928 م عن البروستانتية في الولايات المتحدة فقالت : « من الظاهر وجود خمس جماعات من المهديين ــ فرق مسيحية تعتقد بظهور المسيح مرة أخرى وقرب نهاية العالم (المترجم) وثمانية عشرة فرقة من (التنصيرية) وخمسة من الاخوان والالمان التنصيريين وست فرق من إخوان بليموث وثلاثة فرق من إخوان النهر ، وثلاثة فرق من الاخوان الاتحاديين ، وست فرق من أنصار الكنيسة الأرثودكسية الشرقية ، واحد عشرة فرقة الجبلية ، وأربع فرق من الأصحاب ، وثلاث وعشرين من الاوثريين وسبعة عشر من المنيوبين ، وتسعة عشر من المنهجيين ، وتسع من المشيخيين ، وأربع من الكنيسة المصلحة ، وأصناف أخرى متعددة كل صنف منها يبلغ من فرقة إلى ثلاثة مثل : التنصيرية من أصحاب المبادىء الستة العامة ، والتنصيرية الاختيارية ، والتنصيرية الألمانية اتباع يعقوب أمان أو أملين وهو مينوي ظهر في سويسرا في القرن السابع عشر والمحافظة والمينويين العزل ، والمينويين المستقلين عن الكنيسة ، ونجد من المنهجيين هذه الأصناف : البدائيين والمجمعيين والمقدسيين ، والمصلحين) انتهى [321] .

3 ــ ذهب الامام محمد عبده إلى أن حركة الاصلاح بقيت امتدادا لما كان قبلها واستدل على ذلك بما يلي :

أ ــ استمرت عقوبة الموت قانونا يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة . وقد أمر (كلفان) ــ الزعيم الثاني بعد لوثر ــ بأحراق (سيرميت) في جنيف ، لأنه كان يعتقد أن الدين المسيحي ، كان قد دخل عليه شيء من الابتداع ، قبل مجمع نيقية ، وكان يقول : إن روح القدس ينعش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا أن شوى على النار حتى مات . وكذا أحرق (فايتي) في تولوز سنة 1620 م .

(321) ول ديورانت، مناهج الفلسفة، ج 2، ص : 244.

ب ــ كان لوثر أشد الناس إنكارا على من ينظر في فلسفة أرسطو . وكان يلقبه (بالخنزير الدنس الكذاب) وكان علماء المسلمين يلقبونه (بالمعلم الأول) .

جـ ــ صحيح قام الاصلاح بحرية الفهم للكتب المقدسة ، وإبطال السلطة على غفران الذنوب ، وإبطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئا من الاعتقاد ، بأن الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري ، ولا يباح للعقل مخالفة ما حوته [322] .

4 ــ كانت الحركة سببا في ظهور دين جديد عرف بدين الطبيعة .

يذكر العقاد أن الأوربيين الذين خرجوا على سلطان الكنيسة ، قد ظهر منهم أناس يؤمنون بالله ، ولا يؤمنون بالكتب ولا بالشعائر الكنيسية . وتسمت منهم طائفة (بالربانيين وسموا دينهم بدين الطبيعة ، تمييزا له من دين الكنيسة .

واشتهر من هؤلاء في البلاد الانكليزية (لورد هربرت هربري) المتوفى قبيل منتصف القرن السابع عشر . والذي دعا إلى (دين طبيعي) يقوم على أركان خمسة هي :

ــ الايمان ــ العبادة ــ الفضيلة ــ التوبة ــ اليوم الآخر .

ثم تلاه (انتوني كولنس) الذي يعتبره الكثيرون ، أستاذا لفولتير وبنيامين فرنكلين في حرية الفكر . ويحسبون كتابه (محاضرة في الحرية الفكرية) إنجيل هذه النحلة .

ثم تلام « تندال » فألف كتابه الذي جعل عنوانه (المسيحية قديمة كقدم الخليقة) ليثبت به أن الايمان سابق للكنائس والمذاهب سنة 1730 م.

---

(322) انظر، ول ديورانت، مناهج الفلسفة، ج 2، ص : 248، ترجمة أحمد فؤاد الاهواني.

ثم ظهرت طائفة الالهيين التي تختلف عن الربانيين بعلاقة الانسان مع الله . حيث يقولون بأن الله قد أحكم خلق الكون ووكله إلى شريعته وقدره . بينما يقول الالهيّون بعمل الله المتواصل ، في تدبير الكون [323] .

وظهر غير هاتين الطائفتين ، دعاة ومفكرون لا ينتمون إلى طائفة ، ولا يعترفون بالاديان ولكنهم يدينون بالإله والفضيلة ، ويسمون أنفسهم أحرار الفكر ، أو أحرار العقيدة [324] .

3 ــ هيمنة اليهود على حركة الاصلاح :

أ ــ ذكر رسل أن الكنيسة ، كانت قبل حركة الاصلاح ، تستمد من مصادر ثلاثة : تاريخها المقدس يهودي ، ولا هوتها يوناني ، وحكومتها وقانونها ــ على الأقل بطريق غير مباشرة ــ رومانيان .

وعندما جاء الاصلاح نبذ العناصر الرومانية . وحد من العناصر اليونانية ، وزاد من قوة العناصر اليهودية زيادة كبرى [325] .
ب ــ وذهب الزعبي إلى أن الحركة اللوثرية من التخطيط الماسوني اليهودي ، استهدف المسيحية فأصاب الكرسي البابوي بأكرم أبنائه . واستعمل الدين للمصلحة اليهودية استغلالا فخما منذ ربط العهد الجديد بالقديم .

ويستدل على ذلك بقوله ، لقد كان العهد القديم قبل لوثر مهجورا مصفدا في اقبية بعض الأديرة . ثم أخذ بالظهور منذ الحركة اللوثرية ، وفاز بالترجمة والانتشار [326] .

---

(323) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص : 40.
(324) عقائد المفكرين في القرن العشرين ص : 75.
(325) عقائد المفكرين في القرن العشرين ص : 77.
(326) تاريخ الفلسفة الغربية، ج 1، ص : 15.

4 ـــ سبينوزا :

يرفض سبينوزا وجهة النظر المحافظة التي تثبت المصدر الإلهي (327) للكتاب قبل تطبيق قواعد المنهج التاريخي . ويرفض سلطة الكنيسة في التفسير (328) ويقترح تفسيرا يقوم على قواعد اللغة وضبط الحروف والاعراب ، وهو الشرط الذي يطلبه الأصوليون في ضرورة العلم بمبادىء العربية لتفسير نصوص القرآن كشرط أول له .

ثم يشترط جمع النصوص في الموضوع الواحد ، ومعرفة ظروف وملابسات الكتابة وهو ما يعرف بعلم أسباب النزول عندنا ، ويميز بين النبي والحواري (329) وقال اختار كل حواري الطريقة التي تلائمه لنشر الدعوة وتحذير الناس وأشار إلى أن بولص أقام المسيحية على أسس خاصة به ، مغايرا أسس سائر الحواريين ، حين دعى إلى الايمان وحده بعكس يعقوب الذي دعى إلى الايمان والعمل معا ، والايمان بدون العمل إيمان ميت .

وكان هذا هو أساس التشيع في المسيحية إلى طوائف مختلفة ، وساعد على ذلك تكوين بولص الرباني ومعرفته بتاريخ الانبياء ودراسته لطرق التأويل وإحاطته بثقافة العصر اليوناني خاصة وأن دعوته موجهة إليهم ، حتى سمي حواري الأمم .

ويقول أن الكتاب المقدس (330) جمعت نصوصه من كتب التاريخ والسير وتغيرت وتبدلت وحرفت للوقائع الآتية :

أ ـــ لم تكتب أسفار العهدين بتفويض من الله مرة واحدة وفي عصر واحد بل كتبها مؤلفون كثيرون صدفة وفي عصور متعددة طبقا لروح العصر وآراء الكتاب وأغراضهم .

---

(327) الماسونية في العراء ص : 106.

(328) سبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة ترجمة د. حسن حنفي ص : 21.

(329) نفس المصدر السابق ص : 36.

(330) نفس المصدر، ص : 71.

ب ـــ اختلاف الوحي وهو كلام الله عن تفكير الأنبياء فيما عدا النصوص التي تدعو إلى حياة الفضيلة .

ج ـــ تقنيم أسفار العهد الجديد بقرارات المجامع الكنيسية . واستبعاد أسفار كثيرة أخرى كانت أيضا مقدسة في ذلك الوقت .

ولم يكن أعضاء المجالس أنبياء ، ولم يكونوا نقادا بالمعنى الحديث بل كانوا لاهوتيين يستبقون أو يستبعدون النصوص وفقا لمعتقداتهم المطابقة لأهوائهم .

الايمان الشامل عند سبينوزا : (331)

1 ـــ يوجد إله خير ورحيم على الاطلاق ، نموذج الحياة الحقة ، يجب معرفته والايمان به من أجل طاعته والتصديق به كحكم عادل .

2 ـــ إله واحد جدير بالتبجيل والعظمة والمحبة .

3 ـــ حاضر في كل زمان ومكان لا تخفى عليه خافية وهو الموجود الكامل .

4 ـــ يسيطر على كل شيء ويسير كل شيء ، ولا عن قهر بل بمشيئته المطبقة وبفضله يطيعه كل فرد وهو لا يطيع أحدا .

5 ـــ عبادته التي تتم بممارسة العدل والاحسان .

6 ـــ يتم الخلاص للمطيعين وحدهم الذين يمارسون الطاعة في حياتهم ويضيع من يتبع الشهوات ، ويسير وراء الأهواء .

7 ـــ يغفر للتائبين ذنوبهم فكل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون .

(331) نفس المصدر، ص : 75.

ولا يهمنا البحث عن كنه هذا الإله ، لأن المهم هو الصدق مع هذا الاله ومن يعطي أفضل الحجج لا يكون بالضرورة أفضل المؤمنين ، ولا يدرك أهمية ذلك إلا من يفكر في المصلحة العامة .

العقل واللاهوت عند سبينوزا [332]

يستطيع العقل أن يفهم العقائد من حيث صحتها أو كذبها . لأنه النور الفطري الذي يحمي الذهن من الوقوع في الخطأ والأوهام . ويتفق العقل مع الوحي في الموضوع وهو الحقيقة ، وفي الغاية وهي السعادة . فالايمان ليس فوق العقل ، ولا تجبر بالايمان بدون فهم ، على عكس عقيدة الثالوث التي يجب عليك أن تؤمن بها ثم تحاول الفهم بعد ذلك .

5 ـــ المعارضون للكنيسة

أخطر معارضة في الوقت الحاضر ما قام بها علماء باحثون في أوائل القرن العشرين في مؤتمر الاديان المنعقد في باريس سنة 1913 م اتجه المؤتمرون إلى رفض العقائد المسيحية القائمة لأنها تقوم في رأيهم على أخطاء . ولكن قيام الحرب العالمية الأولى حالة دون إتمام الخطة التي رسمها المؤتمر .

وفي سنة 1917 م انعقد في كمبردج مؤتمر من رجال الدين برئاسة الأستاذ (بيرسي جاردنر) وكان موضوع المناقشة هو : هل أسس المسيح الكنيسة ؟ وكان من خطباء المؤتمر نائب أسقف (هوانج) الذي أعلن أن عيسى ليس إلا نبيا كما بدا لمعاصريه . ولم يحاول إطلاقا أن ينشأ نظاما داخل الكهنوت اليهودي أو ينشأ نظاما منافسا له ، ووافقه كثيرون من رجال الدين : ج . ر . ولكنسن ، س . و . امست ، ل . باترسون ، ف . مان ، هـ . سيموندست ، هـ .أ . ميجر ، ثم وافق المؤتمرون على هذا الرأي وعارض كبير الشمامسة (فورد) وحده .

---

(332) (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص : 80.

وأيد اتجاه مؤتمر كمبردج سنة 1917 م مؤتمر آخر انعقد في نفس المدينة سنة 1918 م . وفي سنة 1921 م اجتمع عدد كبير من رجال الدين في أكسفورد ورأس الاجتماع د . راشدل أسقف كارليل الذي أذهل خطابه العالم المسيحي . ذلك لأن قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن عيسى إله . إنه إنسان بكل ما يحتمل هذا اللفظ من معان نجمل أقواله في هذا المؤتمر بما يلي (333) :

1 ــ لم ينسب عيسى إلى نفسه الألوهية .

2 ــ يستتبع بشرية عيسى أنه جسد بشري عقلا وإرادة .

3 ــ وجود روح عيسى قبل وجوده زيغ وضلال .

4 ــ ولادة المسيح من عذراء ، وثبوته تاريخيا لا يدل على إلوهية المسيح .

5 ــ لا يستنتج من تأليه يسوع إحاطته بكل شيء .

وفي المؤتمر نفسه افتتح ميجر المناقشة بقوله : عيسى بنص الأناجيل لم يدعى أنه ابن الله بالمعنى الجسدي ولا بالمعنى الميتافيزيقي كما في عقيدة نيقية بل ادعى بالمعنى العادي الذي يكون البشر أبناء الله باعتبار أنهم ذووا صلة روحية بالله .

6 ــ تصريح حول علاقة الكنيسة بالديانة الاسلامية (334) .

« وتنظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضا إلى المسلمين الذين يعبدون الاله الواحد الحي القيوم الرحيم الضابط الكل خالق السموات والأرض المكلم البشر ويجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله الخفية كما يخضع له ابراهيم الذي يسند إليه بطيبة خاطر الايمان الاسلامي . وإنهم يجعلون

---

(333) نفس المصدر، ص : 84.

(334) محمد جابر الحيني / في العقائد والأديان (الديانات الكبرى المعاصرة) ص : 280.

يسوع كنبي وإن لم يعترفوا به إله ، ويكرمون مريم العذراء كما أنهم يدعونها أحيانا بالتقية ، وعلاوة على ذلك إنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت . ويعتبرون أيضا الحياة الأخلاقية ويؤدون العبادة لله ولا سيما بالصلاة والزكاة والصوم .

وإذا كانت قد نشأت على مر القرون ، منازعات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين ، فالمجمع المقدس يحضر الجميع على أن يتناسوا الماضي وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل ، ويصونوا ويعززوا سوية العدالة الاجتماعية والخيور الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة جميع الناس » .

المبحث الثاني

أثر اليهودية على المسيحية المعاصرة

1 ــ تطاول اليهود على الكنيسة :

أ ــ السماح للكهنة بدخول الماسونية :

لقد كان الكرسي البابوي حتى سنة 1951 يرتاب في صحة الايمان بالماسون . ويرى إيمانهم بالمسيح معرضا للشبهات ، ويقرر حرمان الكاثوليكي الماسوني ولو انسحب . ثم أخذ يعدل الأنظمة فيلغي الحرمان ويمنح الكهنة حق الالغاء ويستقبل بعض أعضاء الروتاري الايطالي رغم عدائهم للأديان .

وفي مؤتمر 1903 الذي عقده هرتزل وضم ماسونييت كونيين تقرر فيه :

أ ــ إبادة البشرية والأجناس والأديان .

ب ــ الاكثار من الجمعيات التي تتفق مع الماسونية بالهدف وإن اختلفت الأسماء .

ج ـــ حصر الأديان بالمعابد ، تمهيدا لازالتها حتى من المعابد .
د ـــ يجب سحق عدونا الأزلي ـــ الدين ـــ مع إزالة رجاله .
هـ ـــ لا بأس أن يدخل الماسون بين المتدينين ويؤسسوا الجمعيات الدينية ليلعبوا على السذج .
و ـــ سوف نقضي على العقائد الباطلة [335] .

ب ـــ فصل الدين عن الدولة :

يذكر الزعبي أن فصل الدين عن الدولة اقتراح ماسوني ، سبق الجميع بحمل رايته مجلة (أكاسيا) الماسونية الايطالية . مع أن اليهود يقيمون دولتهم الآن على الدين بصفتهم وكلاء أمناء عن المسيح . أدرك الخدعة الكبرى [336] .

ج ـــ الاحتيال باعتناق المسيحية (نلسون روكفلر) .

يهودي مستتر بالمسيحية ، أسس لجنة تزعم مساعدة اليهود الذين يعتنقون المسيحية وأخذ يجبي لها من المسيحيين مالا ، وينفقه في سبيل اليهود العازمين على الذهاب إلى فلسطين [337] .

عرض في سنة 1926 م على مصر 10 ملايين دولار لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية تنفيذا للتخطيط اليهودي العميق الذي يرى إعادة مصر لأحضان الفرعونية ، سلخا من عروبتها . وهذا يساوي قطعا التمهيد لسلخها عن إسلامها [338] .

د ـــ تطاول اليهود على السنة البابوية :

تغلغل اليهود في كل ناحية من نواحي حياة المسيحيين في الغرب ،

(335) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، الوثائق المجمعية ج 2، ص : 391.
(336) محمد علي الزعبي، الماسونية في العراء، ص : 108.
(337) نفس المصدر السابق، ص : 110.
(338) المصدر نفسه، ص : 111.

حتى أخذ المسيحيون يتقبلون توجيهاتهم وإرشاداتهم . وأكثر من هذا صار على رأس كثير من المعاهد الدينية يهودي يحتل كرسي الرئاسة [339] .

وفاخروا بهذا وعلى الخصوص ، إزالة الكتابات الخاصة بصلب السيد المسيح واتفاقهم في هذا الموضوع مع البروتستانت ، وهم في طريق الاتفاق مع الكاثوليك على ذلك [340] .

وليس هذا فقط بل أصبح يتخرج من معاهد اليهود الدينية رجال الدين المسيحي فقد نشرت صحيفة (الكولون سنس) الأمريكية الصادرة في أيلول 1962 ، النبأ التالي : (أعلن أن ايرل وارن) قاضي القضاة الأمريكي سيتوجه إلى إسرائيل ليتلقى في المعاهد الدينية اليهودية شيئا من التقاليد والتعاليم الدينية اليهودية .

وليس هذا في مكان واحد كأمريكا ، بل حتى في بريطانيا حيث نشرت الصحف في 21 آذار 1964 ، ونقلت وكالة الأنباء العالمية رسالة خطيرة للدكتور (مايكل رمزي) رئيس أساقفة (كانتر بوري) في بريطانيا جاء فيها : إنه من الخطأ الالقاء باللائمة على اليهود في صلب المسيح . ومن الخطأ دائما أن يحاول الناس تحميل اليهود صلب يسوع المسيح [341] .

هـ ــ اعتداء اليهود على رجال الكهنوت والمقدسات المسيحية في إسرائيل :

تحدث الدكتور عزت طنوس في اللجنة السياسية الخاصة للأمم المتحدة في 19 كانون الأول سنة 1861 ، فقال : لقد استعمل الغرب الأرض

(339) نفس المصدر، ص : 112.

(340) ايليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ص : 11.

(341) ورد في التقرير السنوي الذي قدمته الجمعية الأمريكية اليهودية سنة 1952 : إن الانتصارات التي حققناها في السنوات الماضية وسنة 1950 ازالت كل إشارة معادية في الكتب الدينية المسيحية، وكتب التدريس ولاسيما ما يتعلق منها، بقصة الصلب ... فبفضل جهودنا أصبح 85% من الكتب البروتستانية خاليا من العبارات العدائية والمحقرة لليهود، وقد توصلنا إلى نتائج مماثلة في الكنائس الكاثوليكية.

المقدسة ، ومهد المسيحية صفقة رابحة لمكاسبه السياسية والمالية . وأنا كمسيحي عربي أحرم هذه الدول المسيحية ، لأن ما فعلته في الأرض المقدسة يشكل أسود نقطة في تاريخها الاستعماري الطويل . لقد باعت بعض الدول المسيحية الغربية الأراضي المقدسة بثلاثين من الفضة ، ثم برأت نفسها كما فعل بيلاطس في زمن المسيح .

وأكد الدكتور طنوس الواقع الذي حصل من احتلال اليهود للاديرة والمؤسسات الدينية ، وبعض الكنائس والأديرة والمعاهد التي ضربها اليهود وخربوها في الحرب وفي السلم . ومن الهجوم على الارساليات المسيحية ، وفرض الضرائب على الأماكن الدينية يؤكد هذا كله ما طبعوه من منشورات بجسم الليرة الاسرائيلية ، وكتبوا عليها (أطردوا المبشرين القذرين من بلادنا) فكان المسيحيون في أوضاع محزنة كما يرويها المطران (برازيلي) حينما زار إسرائيل في سنة 1956 واسمه (فراي البرتو بارينتوس) [342] .

و ــ صحيفة يهودية تكشف عن مدى اضطهاد المسيحيين في إسرائيل :

ذكرت صحيفة (جويش كرونيكل) اللندنية الأسبوعية الصادرة في 1973/4/19 نقلا عن مراسلها في القدس المحتلة أن السلطات الاسرائيلية ، تدرس حاليا مسألة جندي يبلغ من العمر 24 سنة وذلك بسبب استمرار شكوى من الاضطهاد الذي يلاقيه ، لأن أمه مسيحية ، ولم تعتنق اليهودية دين أبيه .

وقالت الصحيفة ، أن أشقاء هذا الجندي اعتبروا من غير اليهود أيضا لأن الأم ، وهي بولندية الأصل لم تعتنق اليهودية منذ هجرتها إلى إسرائيل سنة 1954 ، وذكر والد الجندي أن أسرته لقيت الاضطهاد منذ لحظة وصولها إلى إسرائيل ، وأن هذا الاضطهاد كان يطاردهم أينما حلوا ، ومن مظاهر هذا

(342) ايليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ص : 12 و 13.

الاضطهاد ، مهاجمة الأم ، وتهديدها بالقتل قبل دخول إبنها الجيش بيومين [343] .

ز ـ استخدام رجال الدين المسيحيين لصالح اسرائيل :

أعدمت الحكومة السورية في سنة 1940 ثلاثة بتهمة الخيانة العظمى لصالح إسرائيل منهم القس جميل القرح ، الذي تبرأ منه المسيحيون في الأردن ببيانات سنة 1964 .

وفي نفس السنة ، صدر قرار عن الهيئة العلمية الاسلامية ، يبين أن القس جميل القرح هذا يتستر بالتبشير للدين المسيحي الذين يعيثون فسادا بحجة التبشير المزيف [344] .

ل ـ وزارة لمحاربة الأديان :

يتبين اهتمام إسرائيل بمقاومة الأديان ، بإنشاء وزارة خاصة سموها وزارة الأديان ، وجعلوا فيها دائرة خاصة لمكافحة الأديان . والارساليات المسيحية . ونشر الحركات الدينية على شاكلة جماعة (شهود يهوه) [345] .

2 ـ التبرئة :

أ ـ التقرب من الكنيسة :

بدأ التفكير في التقرب إلى الكنيسة من قبل اليهود منذ القرن الخامس عشر في جنوب فرنسا . عندما زاد اليهود على صلواتهم ، يوم السبت صلاة خاصة بالبابا كانت تعرف (با أميشبراس) وترجمة هذه الصلاة (فلتحا) بركة الرب الذي بارك آباءنا ابراهيم وإسحق ويعقوب وداود

(343) ايليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ص : 37، 51.
(344) صحيفة الرأي الأردنية، 1973/4/20(التاريخ).
(345) ايليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية.

وسليمان ، وسائر أنبياء بني إسرائيل ...لتحل بركته على البابا ، وتنمي جميع أعمال يديه [346] .

وعندما دعى البابا لعقد مجمع فاتيكاني ، اشتركت الكنائس الانجيلية والشرقية مراقبين فقط . وتقدم الحاخام (مارك تاننبوم) بطلب مشاركة اليهود في المجمع بحجة أن اليهود أصل الديانات ، واليهود مستعدون إلى إزالة الخلافات المستحكمة بين الكنائس والعمل على توحيدها [347] .

وكان هدف اليهود فشل المجمع من الحصول على وحدة المسيحيين بمراوغة دهائية عن طريق طرح مشكلة صلب المسيح ، ومحاولة تبرئة اليهود منها . وتذرع لهذه المهمة (داغسطين بيا) مستنصرا ببعض آراء الديانات الأخرى .

ب ــ مجمع 1962 .

كان مجمع سنة 1962 في عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين ، الذي كانت له فلسفة خاصة . وهي أن تتوسع الكنيسة الكاثوليكية ، وتمد يدها للأطراف الأخرى وخاصة اليهود . لأنه كان صديق سفير إسرائيل (فيشر) يوم كانا في تركيا .

ج ــ التبرئة :

وفي أيلول سنة 1963 جرت عملية جس النبض لقضية وثيقة (بيا) المقدسة بخصوص العفو الشامل عن اليهود . فكانت ثائرة الحرب فأسقطت من البحث . وادعى (بيا) أن هذا بوحي من يوحنا (23) واعترض على هذا بعض القساوسة ، اضطر (بيا) إلى تعديله حتى حاز

(346) نفس المصدر السابق، ص : 156.

(347) بشير كعدان، التبرئة قضية سياسية، ص : 15.

الموافقة بالأغلبية حيث كان القساوسة معظمهم أمريكان ، والبالغ عددهم 240 وقرر 170 إبقاء الوثيقة كما هي والتي تنص : إن يهود العصر الحاضر غير مسؤولين عن صلب المسيح ، وكذلك يهود زمن الصلب . والوثيقة المنتظر النظر فيها بعد 23 أيلول يجب تعديلها صراحة بأن اليهود شعب غير مذنب .

وتحول بيا أحد أبطال السلام في شهور وذلك بسبب الدعايات والاعلام الأمريكي والصهيوني وما يخيمان عليه من دور النشر . وفي سنة 1965 أقر قرار بأغلبية 1957 ضد 89 وموافقة 242 مع التحفظ [348] .

وفي تعليق للأستاذ محمد باقر ، حيث قال فيه والغريب أن هذا القرار قد تجاوز أشياء من صميم العقيدة المسيحية ، ومن أسس تعاليم الكنيسة ، بل إنه بحد ذاته نسف لقضايا أساسية بني عليها الدين المسيحي . وإذا كان القرار دينيا فهذا يعني إعادة النظر في قضايا جوهرية وفي طريقة العبادة وفي أداء الصلوات [349] .

وكذلك تحدث (مكسيموس الرابع) فقال : إن تبرئة اليهود من دم المسيح كلام صبياني ، ولن يصدر قرار من هذا النوع ، ولا يحق للمجمع أن يتخذ مثل هذا القرار [350] .

د ــ إبعاد التبرئة :

* ــ القريبة :

1 ــ فشل المجمع الذي كان من أهدافه الكبرى التي عقد من أجلها هو الوحدة المسيحية .

2 ــ حدوث ثورة وبلبلة دينية يشترك فيها اليهودي والمسيحي

(348) نفس المصدر السابق، ص : 17.

(349) بشير كعدان، التبرئة قضية سياسية، ص : 19 إلى 32.

(350) نفس المصدر، ص : 57.

والمسلم . وربما يؤدي ذلك إلى إسالة الدماء ، فتكون الحجة قوية على أن الدين عامل مساعد على هدم الحضارة الانسانية .

3 ــ كسب تأييد بعض الكنائس ، التي تدور بفلكها بتبرئة اليهود من صلب المسيح وبالتالي يتم التلاحم اليهودي المسيحي . وقد أعلنوا أن اليهودية أصل الديانات .

4 ــ ابعاد الفكر العالمي ، والاسلامي خاصة عن قضية فلسطين والانشغال بقضية مضى عليها عشرون قرنا من الزمن .

* ــ **البعيدة :**

1 ــ التبرئة انحراف ديني لما فيها من تحريف للكتب المقدسة ونصوصها ومفاهيمها العامة والخاصة . لأن التبرئة تدفع الكنيسة بالضرورة إلى إهمال بعض النصوص واضعاف المعاني فيها ، وهذا قابل للتحريف في المستقبل بأيد يهودية ، حتى تتمكن اليهودية من السيطرة غير المباشرة على الفاتيكان .

2 ــ التبرئة طمس لمعالم تاريخية ، وتذكير بسلطان الكنيسة الزمني . وبالتالي فإن هذه التبرئة تعيد إلى الأذهان وصمة صكوك الغفران التي لوثت تاريخ الكنيسة ، وأدت إلى ثورة الاصلاح الديني . وهي جزء من مخطط صهيوني واسع يلتقي مع الاستراتيجية الأمريكية للشرق الأوسط عن طريق استغلال العامل الروحي لصالح الصهيونية العالمية وتوجيه الكنيسة لذلك [351] .

هـ ــ اكتشاف جديد بخصوص قصة الصلب :

عرفت دوائر الفاتيكان أخيرا نشاطا غير معتاد لمواجهة أحدث اكتشاف علمي يبين أن المسيح عيسى بن مريم لم يصلب ولم يقتل .

---

(351) نفس المصدر السابق، ص : 64.

ويستند هذا الاكتشاف العلمي على القماش الذي يقول المسيحيون ، إن جثة السيد المسيح ــ عليه السلام ــ قد لفت به بعد إنزاله عن الصليب ...

والقماش هو عبارة عن نسيج من الكتان ، طوله 438 وعرضه 110 سنتم ... وكان هذا القماش في فلسطين حتى عام 1204 م حيث حمله أحد جنود الحرب الصليبية إلى فرنسا ، ويوجد اليوم في « تورين » بإيطاليا ، منذ نقله إليها في عام 1572 م . ويفتح الصندوق الفضي الذي يحويه كل (33) سنة للجمهور المسيحي .

وقد قام العالم الألماني الكاثوليكي ، بأبحاث على القماش بلغت تكاليفها (150) ألف دولار . حوالي (700) ألف درهم مغربي ، خرج منها بنتائج تؤكد في مجملها أن السيد المسيح الذي يزعم المسيحيون أنه صلب وقتل لم يصلب ولم يقتل .

وتذكر تفاصيل تلك الأبحاث ، أن القماش يحتوي على نقط من الدم منها (27) بقعة دماء فعالة ، تبرهن على أن القلب كان ما يزال ينبض بالحياة عند إنزاله من الصليب . وأن الدماء استمرت في التدفق من الجثة ، ومن مواضع الجروح ، وهو أمر لا يمكن أن يحدث في جثة شخص ميت ، حسب القوانين العلمية ، وهذا يعني أن القلب كان مستمرا في النبض محدثا ضغطا دمويا يؤدي إلى حدوث الدورة الدموية والتي بدورها تسبب في خروج الدماء بشكل غزير من الجروح .

وتقول المؤسسة المسيحية التي قامت بالأبحاث بأنه بعد نصف ساعة من صلب السيد المسيح وإنزاله من الصليب كان في حالة إغماء . حتى أنه كان يتنفس بصعوبة ، ومثل هذه الحالة لوحظت في عمليات التخدير العام ، ففي أثناء وجود تنفس كاف للبقاء على الحياة يكون الصدر والحجاب في هدوء كامل ، لا يمكن معه ملاحظة التنفس .

وفي هذا يقول الطبيب الاسكتلندي « و .ب . بريمروز » إن قدرة الدم على نقل الأكسجين كانت في حالة جيدة . وحيث كان استهلاك الأوكسجين قليلا للبقاء على المواد القليلة التي تفرزها أعضاء الهضم واللازمة للجسم أو العمل ، فقد كان التنفس ــ على أساس علم الأحياء ــ ليس ضروريا .

و ــ أبحاث سابقة :

وهذا البحث الذي قام به « كورث برناليس » لم يكن بالبحث الأول ، فلقد قامت الكنيسة عام 1959 م بفحص علمي للقماش المقدس في ظل سرية كاملة . وفي عام 1968 نظم البابا بولس ، فحصا آخر استخدم فيه أحدث الأجهزة الفنية ، ولم تعلن أيضا نتائج هذا البحث ...

وفي عام 1939 قام عشرة أخصائيين مكلفين من قبل الفاتيكان منهم عالم متخصص في أبحاث جثث الانسان والحيوانات والنباتات ، وعالم كيميائي ، وعالم آثار ، وعالم تاريخ ، قاموا بإجراء فحوص وأبحاث استمرت ثلاثة أيام استعانوا فيها بالمجاهر الكبيرة ، وأخذوا مئات الصور الملونة لأجزاء القماش ، غير أن الفاتيكان احتفظ مرة أخرى بنتائج هذا الفحص .

ز ــ موقف الفاتيكان :

وكانت للنتائج التي أعلنها كورتث برناليس : « أثر بعيد في أواسط الصحافة العربية والشرقية فلقد نقلت تفاصيله ، وكالة « اليوناتييد بريس » ووكالة « رويتر » وعدد من الصحف في أوربا وأمريكا .

وقد تحركت دوائر الفاتيكان لازالة هذا القماش الذي ظل لقرون طويلة مقدما لديهم والتخلص منه بأي ثمن كان ، وصرح « انيبالي بوصنيني » سكريتير الفاتيكان « بأن الفاتيكان ليست لديه النية لأن يأخذ على عاتقه مشكلة القماش المقدس المحفوظ في « تورين » وقال الفاتيكان أيضا : إن القماش المقدس ليس ملكا لنا ...

وفي شهر أكتوبر 1972 أعلن بوليس مدينة « تورين » الايطالية بأنه ضبط أحد الأشخاص وهو يقتحم الكنيسة ، ويحاول سرقة أو إحراق القماش ، وقام بالفعل بإحراق أحد أغطية مذبح الكنيسة بعد فتحه للصندوق الذي يوجد فيه القماش ..[352]

ويمكن القول في هذه القصة التي استثيرت بعد قضية التبرئة السابق ذكرها ، على يد اليهود في محاولة لتبرئتهم من دم المسيح عليه السلام ، زيادة في التقرب من الكنيسة ، وتنفيذا لمخططاتهم كما في بروتوكولات صهيون اللاحق ذكرها . ويمكن أن يكون هذا حجة جديدة لتدعيم التبرئة وردها إلى الاكتشافات العلمية .

وهو بنفس الوقت يذكر بهيمنة القرآن الكريم الذي أخبرنا بعدم وقوع الصلب على المسيح نفسه عليه السلام . وهذا لا يعني أن اليهود بريئون من دمه لأنهم خططوا ودبروا كافة الوسائل لتحقيق القتل والصلب للمسيح ، حتى آخر لحظة كما تذكر كتبهم المقدسة ــ وسبق تفصيل ذلك ــ ولكن الله نجى رسوله . فهم يتحملون مسؤولية القتل والصلب وأن لم يقع ذلك على شخص المسيح عليه السلام .

(352) بشير كعدان، التبرئة قضية سياسية، ص : 80 إلى ص : 164.

المبحث الثالث

الأمريكيون يتجرون بالمسيح عليه السلام

1 ـــ استثمار شخصية المسيح :

لقد أصبحت شخصية عيسى عليه السلام ، تثير اهتمام الشبيبة الأمريكية والأوربية بما تحمله من طابع إنساني كبير ... غير أن هذا الاهتمام تلقفته المؤسسات التجارية لاستثماره من أجل الاستغلال التجاري ، سواء عن طريق المسارح والسينما والفنون أو التجارة الأخرى كالملابس الخاصة التي كان يرتديها المسيح عليه السلام .

وقد أجرت الصحافة تحقيقا لهذه الظاهرة ، وبواعثها والظروف المحيطة بها ، كانت النتيجة أن انقسم المسيحيون بالنسبة لهذه الظاهرة بين مؤيد ومعاد لها ، وتفصيل ذلك :

1 ـــ العلماء ورجال الدين ، وتمثل ذلك بقول (اندريه دوماس) الأستاذ في معهد التيولجيا البروتستانتية في باريس : ـــ منبت هذه الموضة هو العالم الأنكلوساكسوني الذي تحتل التوراة مركزا مرموقا من تراثه الثقافي

العام ، وتؤثر فيه أكثر من تأثيرها بالعالم اللاتيني ، والتوراة إذ تتطعم بحكاية المسيح ، تصبح وسيلة فعالة لمخاطبة جماهير المسارح والسينما والفنون إجمالا ، جعلت هذه الموضة المسيح موضع اهتمام المعاصرين ، وصورته تارة ثائرا ضد مجتمع عادل وتارة راهبا يعيش على مجتمع عادل وتارة راهبا يعيش على مجتمع القرن العشرين .

ثم علق على ذلك بقوله ، واستغلال يسوع على هذا الشكل ليس بالطبع عملا صالحا إذ أنه يبعدنا عن الاصغاء إلى تعاليمه واستيعابها ، ويجعله مرآة تعكس غضبنا وشهواتنا ، لم يعد المسيح هو الذي يرشدنا بل صار ـــ شيئا ـــ نتصرف به حسب أهوائنا .

2 ـــ الشبيبة المسيحية الثائرة التي تقول : إن التيارات المعاصرة لا تمت إلى روح الديانة المسيحية بأي صلة أنها هروب من معالجة القضايا الواقعية المطروحة على أبناء العصر بحدة بالغة .

وعزوا ذلك إلى أن هدف مولي الصحف ووسائل الاعلام التي تواكب هذه الظاهرة وتغذيها ، من كبار الصناعيين الأمريكيين هو محاربة أتباع المسيح الثائر ، من إلهيين ومؤيدي العنف ، المسيح يعلمنا أن نعيش الحب ، لكن الحب لا يكون في الهروب من مواجهة معارك واقعية يتعلق بنتائجها مصير الانسان . والتحقيق كما جاء في صحيفة الصحافة الأسبوعية المغربية ، العدد 17 ص : 9 . منذ سنتين فقط قال أحد أعضاء فرقة البيتلز ـــ أصبحنا مشهورين أكثر من المسيح ـــ .

لكن البيتلز اليوم مجبرون على إنشاد أغنية المسيح مثلهم مثل بوب ديلان ، وداليدا وسواهما من المغنيين البارزين ، وذلك حتى يحافظوا على شهرتهم .

وسبب التمحور الثقافي حول المسيح هو شباب العالم ، وشباب أمريكا بنوع خاص ، إن شخصية المسيح تصلح كنموذج مثالي يحيطونه بإعجابهم ويحملونه ما فاض عن قلوبهم الفتية من حب وتوق إلى المثل العليا والأحلام العظيمة .

الهيبيون أتباع المسيح :

وبنتيجة هذا الاكتشاف بررت ــ ظاهرة المسيح ــ في السنوات الأخيرة بين مجموعات الهيبيين المنتشرين على طول شاطىء المحيط الهادي وفي أرجاء ولاية كاليفورنيا وانتقلت الظاهرة إلى أوربا ، ولكنها لم تبرح أمريكا بل لا تزال تزداد ترسخا وانتشارا لتهم جميع الولايات .

يقدر أتباع المسيح ــ الجدد ــ من الأمريكيين وحدهم ، بنحو خمسمائة ألف نسمة ، وتراهم في الشوارع يرتدون قمصانا كتب عليها ــ أحب يسوع ــ وتقام باستمرار حفلات عمادة جماعية على طول الشواطىء وضفاف الأنهر ، وكثيرون هم الشباب المدمنون إدمانا مرضيا ، والذين أقلعوا عن تناول المخدرات معلنين توبتهم الصادقة بعد انضمامهم لأنصار يسوع .

التجار يستغلون الظاهرة :

وكان لابد أن تقع الظاهرة في أيدي التجار ، والشبان في جميع أنحاء العالم ، عنصر استهلاكي يحسب له ألف حساب ، دخل التجار الحلبة فزرعوها منشورات مختصة تلاحق تطورات الظاهرة وتنشر أخبارها ، وتغذيها بوسائل الاعلام المعروفة .

وأنشئت ــ لأول مرة في تاريخ المسيحية ــ مقاه وملاه ليلية توفر الجو الملائم لاجتماعات ــ أنصار يسوع ــ وتمدهم بوسائل التسلية واللهو الخاصة بهم .

أما باعة ملابس يسوع ، من رداء أبيض وصليب تقليدي فقد بلغت تجارتهم قمة الازدهار .

السينما والمسرح والاذاعة :

ولم يفت البرامج الفنية استغلال الظاهرة فامتلأت المسارح والملاهي الليلية بذكر يسوع ، وكانت أبرز الأعمال الفنية ، خلال العام الماضي ، مسرحيتان من نوع الكوميديا الغنائية على ألحان الروك بطل كل منهما هو يسوع ، عنوان الأولى « يسوع المسيح سوبر ستار » وعنوان الثانية « مشيئة الله » وبلغ من نجاحهما أن دام عرض الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية أشهرا غدة وأن انتقلت الثانية بعد عرض مديد إلى باريس ، حيث لا تزال تجذب جمهورا ضخما كل ليلة .

حتى الذين تناولوا الموضوع نفسه بسخرية لاقوا نجاحا كبيرا ، ومنهم جان يان في فلمه « الجميع يقولون إنه جميل ولطيف » ،وألان سكوف في مسرحية ,« جيزو فريك » أي « يسوع المال » .

وقفزت الكتب التي تتحدث عن المسيح إلى الصفوف الأولى في واجهات المكتبات ، وكان كتاب « النجم » والذي تجمع حوله أكبر عدد من الفضوليين ، والمعجبين في معرض الكتاب الأخير الذي أقيم في فرانكفورت كتابا عن سيرة المسيح .

وشاهد الأوربيون وسمعوا خمسا وعشرين حلقة مذاعة من راديو وتلفزيون لوكسمبورغ تروي قصة يسوع المسيح منذ ولادته في الناصرة إلى صلبه ، كاتب الحلقات كان روجيه موج أما منشدو النصوص فشخصيات ومشاهير بينهم جوني هوليداي وشارل أزنفور والجنرال الفرنسي سالان .

استغلال ...أعظم النجوم

وتستعد السينما لتبني الظاهرة مجندة أضخم طاقاتها ، وقد أعلن عن قرب انتهاء تصوير مقتبس عن مسرحية « يسوع سوبر ستار » من إخراج هنري هاتاوي ، كما باشر المخرج الايطالي فرانكو زيفرللي تصوير فلمه « اغتيال المسيح » .

ويبدو أن الشركة الألمانية بوهلاند فيلم تعد مشاريع أفلام كثيرة تدور كلها حول السيد يسوع ، وستبدأ بتنفيذها حالما يتأكد لها استمرار انتشار الظاهرة ونجاحها .

2 ــ المؤامرة كما عرفها وليام غاي كار :

لقد عرف المؤامرة كل من بحث بحق ، وأراد أن يصل إلى الحقيقة التي غابت عن الناس ، وعلى الخصوص أولئك الذين يتعصبون للمسيح عليه السلام ، ويذكرون أنهم يسيرون على نهجه وطريقه .

فهذا على سبيل المثال الاميرال « وليم غاي كار » الذي عمل رئيسا « لاتحاد الرجال المسيحيين المتيقظين » وضع في متناول الجماهير كل المعلومات ، التي استطاع الحصول عليها ، ليلقي الضوء على الأوجه المختلفة للمؤامرة ، ونشرت هذه المعلومات في كتابين هما : « أحجار على رقعة الشطرنج » « وضباب فوق أمريكا » بالاضافة إلى المطبوعات الأخرى ...[353] .

ويذكر الأميرال أنه شرع في تأليف « أحجار على رقعة الشطرنج » . من سنة 1911 مستهدفا الوصول إلى كنه السر الخفي ، الذي يمنع الجنس البشري من أن يعيش بسلام ، ولكنه لم يستطع النفاذ إلى قلب هذا السر ، حتى عام 1950 حيث عرف أن الحروب والثورات التي

(353) جريدة العلم المغربية، ص 3 بتاريخ 22 مارس 1973.

تعصف بحياتنا ، والفوضى التي تسيطر على عالمنا ، ما هي إلا نتائج مؤامرة شيطانية مستمرة بدأت من ذلك الجزء الذي نسميه « الفردوس » [354] .

أ ـــ جذور المؤامرة :

يذكر لنا تاريخ الشيطان ، كيف كان آدم وزوجه في الجنة ، واستزلهما حتى خرج الجميع منها إلى الدنيا . وتقوم عقيدة الشيطان على أن الحق هو القوة ، ولا عبرة بوسائل تحقيقها . وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر يالطغيان أو الحكم المطلق [355] .

وما هذه التوراة إلا تمثيلا لقصة الشيطان ، حين ساد العالم ، وأغرى السلف بمجانبة الصواب . وبدأ الشيطان بمحاربة الدستور الالهي . فكانت حكمته تعالى بإرسال عيسى عليه السلام ، ليفضح هذا التآمر ويدل الناس على الطريق السوي بعد أن موهت اليهودية الحقائق [356] .

وليس هذا فقط بل أمر أتباعه بالذهاب إلى جميع الأمم والشعوب ليعلموهم حقيقة المؤامرة ، ولكن تآمر الكنيس الشيطاني ، وإهمال التابعين للمسيح القيام بالواجب كان ذلك السبب في تطور المؤامرة إلى هذه الدرجة .

ب ـــ استمرار المؤامرة :

ولا ينسى الاميرال بذكر حلقات هذه المؤامرة المتصلة ببعضها البعض منذ عهد المسيح عليه السلام ، حتى يومنا هذا ، متشكلة بأشكال مختلفة في المظهر ، متفقة في الجوهر وهو تنفيذ أوامر الشيطان .

---

(354) أحجار على رقعة الشطرنج، ص : 29.
(355) أحجار على رقعة الشطرنج، ص : 7.
(356) أحجار على رقعة الشطرنج، ص : 8.

ففي الماضي كان حاخامي اليهود ، يدعون لأنفسهم السلطة المطلقة في تفسير ما يسمونه بالمعاني السرية لكتابات الكتب المقدسة ، بواسطة الالهام الالهي الخاص ، ولتمكينهم من السيطرة تماما ، اجتمع عدد من حاخامات الكنيس اليهودي ، وكبار المربين ، ورؤوس الأموال اليهودية العالمية ، وقرروا تأسيس مجمع سري يعمل على تحقيق غرضهم أطلقوا عليه إسم « المحفل النوراني » (357) .

حدد عدد أعضاء هذا المحفل بثلاثة عشر عضوا ، يعتبرهم الكنيس اليهودي الهيئة التنفيذية للمجلس الأعلى . وما كان هذا العدد إلا ليتذكروا دائما أن هدفهم الأول هو تدمير الديانة المسيحية ..الديانة التي أتى بها السيد المسيح والحواريون الاثنى عشر .

ولهؤلاء النورانيين طقوس خاصة في غاية من السرية والكتمان ، حتى يقضوا على أي احتمال من نوع خيانة يهوذا للمسيح . وتكفل هذه الطقوس ، الخضوع المطلق لرئيس المجلس والاعتراف بمشيئته العليا ، التي لا تفوقها أية مشيئة أخرى على الأرض ، كائنة ما كانت (358) .

ج ــ نداء الأميرال :

وبصوت مرتفع ممن عرف المؤامرة ، مع دراسة طويلة صدر هذا النداء مستنصرا بالمسيحيين كي يقفوا على حقيقة الأمر ، ويوقفوه عند حده ، ويقيموا حق الله في أرضه ، التي دنستها كنيسة الشيطان ...

أما آن الأوان للعالم المسيحي لكي يستفيق على الخطر الذي يحيق به ؟ أما آن الأوان للآباء لكي يمنعوا أطفالهم من أن يصبحوا يوما ذخيرة في

---

(357) يقول الاميرال : وقد عرف المسيح كنيس الشيطان، بأنهم الذين يسمون أنفسهم ــ اليهود ــ قائلا : إنهم كاذبون لا يدينون بأي دين، كما عرف كبار صرافي النقود آنئذ ــ وهم يرادفون كبار أصحاب البنوك الحاليين ــ وفي الفريسيين، عرف فيهم من يسميهم اليهود بالنورانيين.

(358) أحجار على رقعة الشطرنج ص : 105، اشتقت كلمة النوراني من كلمة (لوسفر) وهي اسم الشيطان في الأناجيل اللاتينية. ومعناها الحرفي، حامل النور. والنوراني معناها الشخص الذي يتقي النور.

مدافع الصهيونية ومبادئها الشيطانية . ألم يحن الوقت بالنسبة إلينا في الغرب لكي نصبح أخيرا بناة لعالم يسوده الحق الالهي عوضا على أن نبقى كمستمعين فقط للكلام الالهي والمؤامرة العالمية ؟ [359] .

3 ــ بروتوكولات حكماء صهيون :

ولعل ما سبق الحديث عنه يؤكد ما جاء في بروتوكول رقم 17 ، الخاص بالأديان والذي ينص : « وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين ، من الأمميين ــ غير اليهود ــ في أعين الناس . وبذلك نجحنا في الاضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا في طريقنا . وأن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوما بعد يوم .

اليوم تسود حرب العقيدة في كل مكان ، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهيارا تاما . وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى . على أن مناقشة هذه النقطة أمر سابق جدا لأوانه .

سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جدا من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس . حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها . حينما يحين الوقت كي نحطم البلاط البابوي تاما ، فإن يدا مجهولة مشيرة إلى الفاتيكان ، ستعطي إشارة الهجوم . وحينما يقذف الناس أثناء هيجانهم بأنفسهم على الفاتيكان ، سنظهر كحماة له لوقف المذابح .

وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط ، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض ، أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية . إن ملك إسرائيل سيصير البابا الحق للعالم ، وبطريرك الكنيسة الدولية .

---

(359) نفس المصدر السابق، ص : 106.

ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم إعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة ، بل سنحاربها عن طريق النقد الذي كان وسيظل بنشر الخلافات بينها .

وبالاجمال ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الأممية الدينية وغيرها ، عن طريق كل أنواع المقالات البذيئة لنخزيها ونحط من قدرها إلى مدى بعيد لا تستطيعه إلا أمتنا الحكيمة [360] .

4 ـــ المؤامرة كما كشفها القرآن :

قرآن كريم

﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم إثنى عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوات وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين . ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾

آية 12 إلى 16 من سورة المائدة.

---

(360) أحجار على رقعة الشطرنج، ص : 29.

﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون . وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا يالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله إن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ .

آية 69 إلى73 من سورة آل عمران

4 ــ المؤامرة كشفها القرآن الكريم :

ما من موضع ورد ذكر أهل الكتاب فيه في القرآن الكريم ، إلا وكانت الاشارة واضحة إلى الدور الذي لعبه اليهود في التآمر والتحريف لما أنزل الله ، وقتل الأنبياء . والافتراء على الله بوسائلهم المتعددة ، للقضاء على معالم الخير والتوجيه الصالح ، سواء كان ذلك مع الأنبياء ، أو مع تعاليمهم وأتباعهم .

ودورهم هذا الذي كاد البحث أن يقتصر على إظهاره وإبرازه وعلى الخصوص تآمرهم على المسيح عليه السلام وتعاليمه ، لأنه كشف مؤامرتهم وزيفهم على لسان ربه عز وجل نجد القرآن قد سلط عليه الضوء الكاشف . ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، أو قل لا يصدقون حتى تحل بهم المصيبة ، يومئذ يعض المرء على يديه ويقول : يا ليتني اتبعت القرآن الكريم . خصوصا بعد أن عرفنا نتائج تآمرهم البغيض في محاولة الوصول إلى أعلى سلطة دينية ، تابعة للمسيح عليه السلام مع استمرار مراوغتهم وتآمرهم كلما رأوا لهم منفذا ينفذون منه .

أما هذه الآيات ، فهي من سورة المائدة [361] ، حيث ذكر تعالى أنه

(361) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي، بروتوكلات حكماء صهيون، ص : 187.

أخذ العهد على بني إسرائيل بالنصر والتأييد ، ما داموا يؤدون حقه تعالى ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ... ﴾ الآية ، ولكنهم نقضوا العهد ﴿ فبما نقضيهم ميثاقهم لعناهم ... ﴾ ثم زادهم ﴿ ..وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به .. ﴾ وفي هذا الخطاب هل ينتهي تآمرهم وينتهي مع ذلك عذابهم ؟

لا أبدا إنهم مستمرون على ما هم عليه ، فاحذروهم ولا تأمنوا لهم ، وذلك من قوله تعالى ﴿ ..ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم .. ﴾ وهذا كشف واضح لاستمرار التآمر والعداء والخيانة حين قال تعالى : ﴿ ولا تزال تطلع .. ﴾ وكشف واضح إلى أن غالبيتهم متآمرة ، حيث لم يستثن تعالى إلا قليلا منهم ..

وإن لم يذكر تعالى نوعية هذه الخيانة في هذه الآيات ، فقد ذكرها في آيات أخرى وقفنا عليها خلال البحث .

ولم يكن هؤلاء وحدهم في معركة التآمر ، إذ هناك جماعة تساندهم وتوآزرهم من الذين تنصروا ويتنصروا ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى .. ﴾ صنعوا صنيعهم مع الله حيث نقضوا الميثاق ... ﴾ ﴿ ...أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ..﴾ ﴿ فكانت النتيجة التي يستحقونها﴾ ﴿ ...فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ وهذا تصريح من الله لهؤلاء الذين ادعوا « أنهم نصارى إنهم متآمرون على المسيح وعلى أتباعه وتعاليمه ، ليزدادوا ألما وفجيعة .

وسبقت رحمته تعالى عذابه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . حين أرسل تعالى رسولا يوضح الأمور ويضع النقاط على الحروف . ونادى أهل الكتاب وعلى الخصوص أولئك عشاق الحقيقة الذين تاهوا عنها ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب .. ﴾ وهناك الشيء الكثير الذي أخفته يد التآمر البغيض لم يذكره تعالى ﴿ ..ويعفوا

عن كثير.. ﴾ لأن العبرة أن تعرف القضية الأصل وهي نقض العهد والضلال عن الطريق السوي الذي دل عليه عيسى عليه السلام .

ثم أكد تعالى أن ما جاء به محمد عليه السلام ، هو النور الكاشف والكتاب الواضح الذي لا غموض فيه ﴿ ...قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ ومهمة هذا الكتاب أن يخرج أولئك من الظلمات إلى النور ، من الضلال والتيه والتآمر إلى الهداية والمعرفة والحرية ﴿ ...ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ .

ومن سورة آل عمران [362] حيث يقول تعالى ﴿ ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم .. ﴾ هذه فرقة معينة أرادت الكيد للمؤمنين من غير تعيين من اليهود أو من المتنصرين ، حيث تلاحم الفريقان على إضلال المؤمنين . ولكنهم بفعلهم هذا يضلون أنفسهم وهم لا يشعرون لأنهم يقودون أنفسهم إلى الهلاك .

ثم يذكر تعالى أن فعلهم هذا طمس لمعالم الارادة الالهية ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ﴾ يخلطون الباطل بالحق ، ويكتمون الحق وهم على علم بذلك . وفي هذا دليل على تبييت مدبر وتآمر مقصود حين قال تعالى : ﴿ ...وأنتم تعلمون ﴾ .

وتآمر أخطر هو التظاهر بالايمان لرد المؤمنين وضربهم من جنس إيمانهم ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب ، آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره لعلهم يرجعون ، وهذا يكون منه أو من نوعه ، التخطيط الماسوني لدخول الجمعيات الدينية بقصد محاربتها والقضاء عليها .

وهم في فعلهم هذا كله ، يعملون بسرعة تامة ، وكتمان عجيب لا يعلمه إلا من صار على طريقهم ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾

---

(362) الآيات من 11 إلى 15 من سورة المائدة.

ثم ماذا بعد هذا الضوء الكاشف من الله تعالى ، وقد أكدته دراسات الباحثين بما ضبط من وثائق سرية تكشف هذه المخططات كالذي ورد في بروتوكولات حكماء صهيون ، واحجار على رقعة الشطرنج .

النتائج

لعلك إذا قرأت هذا البحث المتواضع ، عرفت أن مدلول لفظتي المسيحية والنصرانية بينهما تباين شاسع ، إذ المسيحية هي تلك التعاليم التي أنزلها الله على عيسى بن مريم ، بالكتاب المعروف بالانجيل ، كما ذكر تعالى ﴿ ...وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ﴾[363] .

والنصرانية : إنما هي تلك التعاليم والأقوال المنسوبة إلى من ادعوا النصرة لتعاليم عيسى من بعده . ولذلك ترى العقائد الضالة التي حكم عليها تعالى بالكفر منسوبة إلى النصارى ، كعقيدة الثالوث والألوهية والنبوة .

أما إذا قلت العيسوية فإنها تعني المسيحية ، اختلفت النسبة فجاءت المسيحية نسبة إلى الصفة ، والعيسوية نسبة إلى الاسم والمسمى واحد هو عيسى بن مريم كما ذكر تعالى ﴿ ...المسيح عيسى بن مريم .. ﴾[364] .

فالمسيح بن مريم هو رسول الله ، المسلم الذي دعا إلى الاسلام ضمن سلسلة الرسل والأنبياء الذين أرسلوا بدعوتهم المسماة الاسلام — أي العبودية لله وحده ، لا إله إلاّ هو الفرد الصمد — .

إذ الأنبياء والرسل كلهم دينهم الاسلام ، بغض النظر عن شرائعهم ومنهاج كل من زمنه . وإن كان مجيء كل رسول في عصره مرحلة تنهيدية للوصول إلى المرحلة الأخيرة التي ختمها محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

---

(363) الآيات 60 إلى 73.

(364) الآية 110 من سورة المائدة.

ولا يمكن أن نقول في عيسى غير الحق ، فهو عبد الله ، ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، كما ذكر تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .. ﴾ [365] .

وأمه مريم من سلالة الأنبياء المصطفاة على العالمين بعنايته تعالى ورعايته ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾ [366] .

ثم قال من بعد ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ [367] فما هي إلا مجرد مخلوقة من مخلوقاته تعالى ، طاهرة نشأت في بيت النبوة لتكون أما لعيسى الرسول عليه السلام .

ثم كان يحيى عليه السلام مصدقا ﴿ بكلمة من الله ﴾ (أي عيسى) سواء بولادته من الشيخين الفانيين ، حتى ما إذا كانت الكلمة (كن) لخلق عيسى ، كان القوم قد عرفوا مولدا على غير العادة هو مولد يحيى عليه السلام ، أو ناصرا له وداعيا بدعوته إلى الله سبحانه [368] .

ومثل الله خلق عيسى بخلق آدم فقال : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ..﴾ [369] فإذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى بدون أب ؟ بل هو أقرب إلى العقل ، فإن تولد الحيوان من الأم ، أقرب من تولده من التراب اليابس .

وكفر تعالى الفرق الثلاثة الكبرى التي اختلفت في حقيقة المسيح عيسى بن مريم :

---

(365) الآية 45 من سورة آل عمران.
(366) الآية 171 من سورة النساء.
(367) الآية 34 من سورة آل عمران.
(368) الآية 44 من سورة آل عمران.
(369) الرازي، التفسير الكبير ج 2 ص : 195 وتفسير ابن كثير والبقوي ج 5، ص : 352.

1 ــ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم [370]

2 ــ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ..

3 ــ وقالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوفكون [371] .

ثم أكد تعالى حقيقة عيسى فقال : ﴿ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يوفكون﴾ [372] .

ويقيم تعالى الحجة على أصحاب العقائد الضالة ، حين يسأل عيسى يوم القيامة عن هذه العقائد ، فلا يقرها ولا يعترف بها لأنه دعا إلى توحيد الله وحده .

وقد أبان لنا أن هذه العقائد الضالة ، والتي قيلت بعد المسيح إنما هي عقائد سبق القول بها ، عند اليهود ومن سبقهم من الأمم القديمة في مصر والهند وغيرها ، وتوارثها الناس عن بعضهم البعض .

أما خلق عيسى عليه السلام من غير أب فهو أمر واضح ذكره تعالى حين سألت مريم المبشر عن كيفية وجوده ، ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا﴾ .

فولادة عيسى من غير أب تعلن قدرة الله تعالى ، وأنه الفاعل المختار ، يفعل ما يشاء كيف شاء . له الأمر كله ، لا كالمخلوقات التي تتقيد بقانون الأسباب والمسببات .

ثم أراده الله رحمة منه ، لهداية الناس إلى الطريق السوي ، وإخراجهم مما كانوا فيه من سيطرة الوثنية ، وضلال الهيكل .

---

(370) آية 59 آل عمران.

(371) آية 72 المائدة.

(372) آية 30 التوبة.

وهكذا قضت حكمته فكان عيسى عليه السلام . ولا يسأل تعالى عما يفعل ونسأل عما نفعل .

أما ما جرى على يديه من الأمور التي ليست باستطاعة البشر أن يأتوا بمثلها ، فما هي إلا معجزات للتصديق به كرسول ، وتطبيق ما يقوله من تشريع ينقله عن ربه — عز وجل — فكانت سبع آيات من الله وهي :

1 — كلامه في المهد مع أمه ومع قومه [373] .

2 — تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل [374] .

3 — إيجاد طير من الطين بإذنه تعالى فيطير [375] .

4 — إبراء الأكمه والأبرص .

5 — إحياء الموتى .

6 — إخبار الناس في زمانه بما يأكلون وما يدخرون .

7 — نزول المائدة [376] .

ولم يكن هذا الرسول بدون تلاميذ أو أصحاب يأخذون عنه . فقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ...﴾ فهم الذين آمنوا بعيسى وبرسالته . وناصروه بإيمانهم وبنشر دعوته .

﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [377] وكانوا على دين عيسى وهو الاسلام حين قالوا : ﴿ ...واشهد بأنا مسلمون﴾ .

---

(373) آية 76 المائدة.

(374) آية 21 سورة مريم.

(375) آية 46 من سورة آل عمران.

(376) آية 48 من سورة آل عمران و 110 المائدة.

(377) آية 49 من سورة آل عمران.

ثم تعرض عيسى للتآمر الخفي المدبر من قبل الهيكل والسلطة الوثنية الرومانية الحاكمة ، حفاظا على سيادتهم ، حسدا من عند أنفسهم ، كيف لا يكون المسيح الذي كانوا ينتظرونه منهم .

ووصل بهذا الأمر إلى المواجهة الفعلية ، ومحاولة القبض عليه وصلبه بتهمة طلبه الملك إلا أن الله نجاه من كيد الماكرين كما ذكر تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا﴾ [378] فقد هيأوا الأسباب لتنفيذ الجريمة ، بل نفذوا ...فهم يتحملون مسؤولية جريمتهم وإن وقعت على غير المسيح . لأن قدرة الله هي التي فوتت وقوع المقصود بالمسيح عليه السلام . ليزدادوا حسرة وكمدا ، وقد أخبر تعالى بذلك كما في الآية السابقة .

وعاش الحواريون من بعده حياة التعذيب والاضطهاد ، حيث استمر التآمر اليهودي الروماني ، فمنهم من قضى في سبيل الله ، ومنهم من فر بدينه إلى الكهوف والانعزال . حتى كادت أن تتكون الرهبانية التي تكونت من بعد .

وقد فند المؤرخون صنوف الاضطهاد التي كانت تحل بأنصار المسيح وتعاليمه من بعده ، حتى جاء القسطنطين الذي اضطهدها سياسيا بعد ثلاثة قرون وربع من رفع عيسى ، وتحكمت السياسة في العقيدة .

وفي تلك الفترة فقد الانجيل ، وفر المؤمنون بدينهم ، وكثر الوضع على عيسى وأتباعه حتى تعددت الأناجيل بشتى اللغات والأساليب على مر العصور . ونسبت هذه الأناجيل للحواريين الذين عاصروا عيسى عليه السلام حتى يقبلها العامة .

فكان بعضها من قبيل الاسلائيليات المتآمرة على المسيحية، لأن

(378) آية 112 إلى 115 من سورة المائدة.

عيسى عليه السلام جاء كاشفا تحريفهم وتزويرهم للحقائق حيث قال تعالى : ﴿...وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ..﴾ [379] .

وكان بعضها الآخر من صنع بعض المتنصرين ، من كافة الثقافات ، الذين أرادوا أن يكون منهم المسيح المنتظر ، أمثال بولس وتلاميذه لوقا ويوحنا ، ومرقس تلميذ بطرس . عدا الأناجيل غير المعتبرة ، التي وضعت نظرا لمتطلبات العصر والبيئة في ذلك الوقت كما مر الحديث عنه . تمثلت فيها الآراء المختلفة من اليهودية الماكرة ، والوثنية الضالة والفلسفة الظنية .

وتمت السيطرة لمن سموا أنفسهم نصارى ، طمعا في المركز والسيادة ، وهم يضحكون على العامة ، بأنهم أنصار المسيح ، وحملة دعوته إليهم ، فكان قوله تعالى شارحا تلك الحالة : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [380] .

وعلى الخصوص بعد مؤتمر نيقية سنة 325 م حيث وضع قانون الايمان ...ومن هنا بدأت المشكلة الخلافية العظمى ، واتسع مداها بعد أن أصبحت السياسة تلعب دورها الفعال في تأييد هذه العقيدة أو دحض تلك . بعد أن عاشت النصارى قرونا طويلة في العذاب والاضطهاد ، فجاء الذين قالوا إنا نصارى ...وكان منهم قسطنطين ابن العدوة الوثنية الرومانية .

ويحدثنا التاريخ عن ترأسه لمؤتمر نيقية الأول ، وطرده ثلثي الأعضاء ليصدر القرار الذي يريده ، وهو الوثني المعروف وإن صدق في تنصره ، فلا يجوز له أن يترأس المجالس العلمية ، وإن كان الأمبراطور ، وخصوصا علوم الشريعة ، فلا سلطان لأحد عليها ، لأنها من عند الله سبحانه .

---

(379) الآية 52 و 53 من سورة آل عمران.

(380) آية 157 من سورة النساء.

وكان له ما أراد من وضع عقيدة لم يعترف بها كافة العلماء في ذلك الوقت بل انقسمت الكنيسة إلى ثلاثة أقسام في روما والأسكندرية والقسطنطينية واستمر النزاع والاجتهاد . فمرة تؤيد السياسة هذه العقيدة ، وتارة تؤيد الأخرى ، وهكذا استمر الحال بعقد المجامع وفرض العقائد على الناس إلى أن تاه الناس بين من قلدوهم أمرهم الذين ضلوا وأضلوا ، ووصلت البلاد إلى حال لا تحسد عليها .

إلى أن رحم الله الأرض ومن عليها برسول جديد بشر به المسيح عليه السلام في حياته وهو محمد رسول الله وعبده ، وورد ذكره في الأناجيل واعترف به أهل العلم من أهل الكتاب ممن عاصروه كما مر الحديث عن ذلك .

فإذا كان الانسان يبحث عن خالقه ، ومدبر شؤونه وجاءه من عرفه ذلك بالوحي المنزل من الله على رسوله ، والذي دون وضبط ، وتواتر ذلك ، بأن رسول الله ، كان حينما ينزل عليه الوحي يتلو ذلك على كتاب خاصين ، فيكتبون ويعيدون عليه ما كتبوا قصد التوفيق خوفا من التحريف والزيادة أو النقص ، بالاضافة إلى حفظ ذلك في الصدور آية آية ، منظما بآياته وفق الارادة الالهية .

وشاء الله أن تختلف البيئة ، فلا يكون اضطهاد وتعذيب لأهل دين ولا ملاحقة . وتقوم دولة هذا الدين ، وتنسخ الكتاب لجان خاصة عدة نسخ لتوزع على الأمصار المختلفة ويتولى أصحاب رسول الله تعليم الكتاب بأنفسهم وهم أصحاب السلطان بضبط المؤرخين واتصال السند . بعكس ما لاقته تعاليم المسيح من ملاحقة وتعذيب ، وفقدان للسلطان ، حيث كان الأمر للرومان أهل الوثنية الضالة ، تساندهم دسائس اليهودية الماكرة .

وكم حاول تلاميذ الهيكل أمثال (ابن سيناء) وغيره من الكيد لرسول الله ولأصحابه ولكن بيان الوحي ، الذي كان يخبر رسول الله

بتآمرهم ، يعززه سلطان الدولة للاسلام قد جعل كيدهم وتآمرهم معروف إلى أن ضبطت الأمور .

ورغم ذلك بقي مشكل العصبية في تقليد الخلف للسلف دون اعمال العقل . فقد استمرت المجامع حتى بعد مجيء المخلص ، بما هي عليه من العصبيات والأهواء الشخصية لحفنة من الناس ، ولا حرج عندهم أن يموت الباقي على الجهل وعدم المعرفة .

فكانت مقاومة العلم ، ومحاربته وملاحقة الباحثين ورواد الاكتشاف . وكانت محاكم التفتيش ، وصكوك الغفران تمنح الجنة ، وتدفع عن النار مقابل دراهم معدودة مع أن هذا كله بريء منه عيسى بن مريم عليه السلام .

ورغم ذلك فإن العقل المفكر لم يقبل هذا ، وثار في وجهه ، يوم رأى تلك العقيدة الواضحة ، التي لا توسط فيها بين الخالق والمخلوق ، ولا تبيع الجنة أو تدفع عن النار لأن المغفرة موكولا أمرها إلى الله سبحانه ، لا يملكها راهب أو شيخ .

فكانت حركة الاصلاح التي تصدت لها العصبية والسلطة بالمقاومة ، حتى صدرت العصمة للبابا سنة 1869 م ، وانشقت الكنيسة وتفرق الناس طرائق قددا ، لا يعرف لهم اتجاه بما في ذلك حركة الاصلاح ، التي دنستها يد الحركات السرية الماكرة (الماسونية) التي تشكلت سنة 43 م لهدم المسيحية وملاحقتها بكافة الوسائل العلنية والسرية [381] .

ثم كانت في القرن الثامن عشر مدرسة الشك المطلق التي جهرت بالقول بأسطورية شخصية المسيح ، لأنه لم يذكر في التواريخ القديمة التي فصلت أخبار عصره ، وما نقله التلاميذ عنه من روايات قيلت في

(381) الآية 110 من سورة المائدة.

شخصيات الزمن القديم ، بعضها أقرب إلى الأساطير والفروض [382] .

وفي القرن العشرين صار الأمريكيون يتجرون بالمسيح عليه السلام ، على شاشة السينما والمسرح والاذاعة . ويدعي الهيبيون أنهم أتباع المسيح ، وبرزت مسرحيتان من نوع الكوميديا الغنائية ، بطل كل منهما هو يسوع ، الأولى يسوع المسيح — سوبرستار — والثانية — مشيئة الله — .

واستغلال يسوع على هذا الشكل ليس بالطبع عملا صالحا ، إذ إنه يبعدنا عن الاصغاء إلى تعاليمه واستيعابها ويجعله مرآة تعكس غضبنا وشهواتنا ، لم يعد المسيح هو الذي يرشدنا بل صار — شيئا — نتصرف به حسب أهوائنا .

بينما القرآن ، يعطي المسيح صفة عظيمة ، وهي أنه رسول الله . والايمان به جزء من الايمان بالقرآن ، إذ أي مساس بكرامته مساس بكرامة القرآن الكريم ، فهو رسول الله وعبده ﷺ .

ولا يمكن أن نصدق أن عيسى عليه السلام دعا إلى الزهد مطلقا ، إذ الرسالة السماوية دائما تتصف بالتكامل في شؤون الحياة الخاصة والعامة . تبدأ بالعقيدة فتركزها ثم تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات في كافة أعمالهم وشؤونهم [383] .

أما ما ينسب إلى عيسى من أنه فصل الدين عن الدولة فهذا من ضمن التآمر على عيسى ودعوته الاسلامية [384] . ولا مانع أن يكون هذا القول مصنوع من الأحبار والرهبان لضمان السيطرة واقتسام الحياة بين رجال الدين ورجال السلطة . ليفعل كل بما شاء كيف شاء . ومثل هذا لا

(382) آية 31 و 32 من سورة التوبة.
(383) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، ص : 15.
محمد علي الزعبي، الماسونية في العراء، ص : 106.
عباس محمدو العقاد، عبقرية المسيح، ص : 80، ديورانت قصة الحضارة، ج 11، ص : 202.
(384) سيد قطب، ظلال القرآن، مجلد 3، ص : 500

يمكن أن نسميه دينا منزلا من عند الله على رسول ، لأن هذه نسبة نقص إلى الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

أما رسالة عيسى فهي :

1 ــ الدعوة إلى الله وتوحيده كاملا ، وذلك من قوله تعالى : ﴿..وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا سبحانه عما يشركون﴾ (385) .

2 ــ التصديق بمن سبقه من الرسل ﴿مصدقا لما بين يدي من التوراة﴾ (386) .

3 ــ الحكم بين الناس ، بما علمه الله ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون﴾ (387) .

4 ــ نسخ بعض الأحكام الشرعية التي كانت قبله ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ (388) .

5 ــ لا وساطة بين الخالق والمخلوق ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا سبحانه عما يشركون﴾ (389) .

6 ــ القيام بالعبادات ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ (390) ولا شك أنه بين كيفية الصلاة وأداء الزكاة .

7 ــ حسن المعاملة والأخلاق الفاضلة وجعلني مباركا أين ما

---

(385) محمد الزعبي، الماسونية في العراء ص : 110، عبد الله التل، جذور البلاء، ص : 229.

(386) آية 31 سورة التوبة.

(387) آية 51 من سورة آل عمران.

(388) آية 62 من سورة الزخرف.

(389) آية 51 من سورة آل عمران.

(390) آية 31 من سورة التوبة.

كنت .. ﴾ ﴿وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ .

8 ــ التبشير برسول يأتي من بعده يخلص الناس مما سيحل بهم من الضلال والضياع ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي أسمة أحمد ..﴾ [391] .

وكل هذا وارد في الانجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام ، لا هذا الانجيل الذي نرى ، بل هو الانجيل الذي يمكن تعريفه « إنه كتاب الله المنزل على عيسى ، المشتمل على التوحيد والتنزيه ، والأحكام الشرعية ، وكان مصدقا لما بين يديه من التوراة ، ومبشرا برسول الله محمد عليه السلام » .

لذلك كان هذا البحث من القرآن ، لأنه المصدر الذي أعطى لعيسى الصفة الحقيقية ، وشرح رسالته ودينه ، في وقت ذهبت تعاليمه وإنجيله بيد التآمر الوثني وغلاة أحبار اليهود . خوفا على مناصبهم ، وطمعا في سيادتهم .

فكان القرآن خير ضابط لهذا كله ، مع بيان العقيدة التي تاه عنها الناس مدة ستة قرون . واستمرت العصبية والتآمر بعدها يحافظان على ما لم يقل به عيسى حتى وقتنا الحاضر الأمر الذي أدى بكثير من أبناء هذا الجيل إلى الشك في هذه العقيدة ، ونبذها والبحث عن الآراء والمذاهب المادية الملحدة، حتى حل دين الطبيعة عند أولئك الذين فقدوا العقيدة الصحيحة ، وقد غاب عنهم أن ما يتبعون الآن ، إنما هو من ضمن تلك الأساليب القديمة لأبعادهم عن عقيدتهم ، وإحلال الشك والزعزعة عندهم ، وهو حاصل الآن وانتشرت آثاره حتى وصل إلى أبناء المسلمين .

إن الدين الحق هو الذي يجمع بين المادة والروح بانسجام واتزان متوافقين لا يعلو أحدهما على الآخر . وهذا سر لا يستطيع ضبطه إلا الذي خلق المخلوقات وقدرها . وهو ما جاء على لسان محمد عليه السلام ، وتعهد

---

(391) آية 31 و 32 من سورة مريم.

تعالى بحفظه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [392] حيث فيه النجاة والاستقرار والحياة . وقد اعترف بهذا أكابر علماء الغرب عندما درسوا القرآن واطلعوا عليه .

ومن ذلك ما اعترف به القيصر لوزون في خطبة عن الدين الاسلامي في الأديرة الخديوية في 21 يبراير 1896 م فقال : (لا يخفى أن المسيحيين بوجه العموم لا يعرفون الاسلام بل وكثير من المسلمين قليلوا المعرفة بدينهم ، أو هم يعرفونه على غير وجهه الحق . وحينئذ فلابد للوصول إلى حقيقة هذا الدين من الرجوع إلى أصله ...) [393] .

ومن هؤلاء العلماء توماس كارليل الفيلسوف الأنجليزي في كتابه الابطال ردا على تهمة الكذب التي يوجهها المستشرقون والمبشرون للاسلام . وكذلك الأستاذ (سيديو) و (أدوارد ميدايرل) أحد أساتذة التاريخ في جامعة كولومبية في الولايات المتحدة . والمؤرخ الهندي (رينهارفت) والعلامة الفرنسي (جوستاف لوبون) وكذلك (جوهان فون جيته) الشاعر الألماني الذي قرأ القرآن الكريم وقال « لو كان هذا هو الاسلام فإن كل مفكر في العالم مسلم ...إن هذه التعاليم لا تقتصر على أن تؤدي رسالتها والغرض منها ، ومع كل ما توافر لنا من أساليب ونظم فإننا لا نستطيع اللحاق بها » [394] .

---

(392) آية 60 من سورة الصف.

(393) الآية 9 من سورة الحجر.

(394) انظر عبد الله كوبليام، العقيدة الاسلامية، ص : 45. تعريب محمد ضيا.

(395) انظر عبد الله التل، جذور البلاء، ص : 231 — 234.

الخاتمـــة

﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾

أهم المصادر والمراجع

محاولة ترتيب المصادر والمراجع ترتيبا تاريخيا بالنسبة لمؤلفيها .

- التوراة .
- الانجيل .
- القرآن الكريم .
- سيرة ابن هشام م (218) هـ، مط، مصطفى البابي الحلبي، مصر 1375 هـ .
- طبري، محمد بن جرير م (310 هـ)، تفسير الطبري، دار المعارف مصر .
- طبري، محمد بن جرير م (310 هـ) تاريخ الرسل والملوك .
- المسعودي، علي بن الحسن م (345 هـ) التنبيه والاشراف ، دار الصاوي للطبع ، 1357 هـ .
- البطريق، سعيد بن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1905 م .
- ابن النديم، م (377 هـ)، الفرست، مطبعة الأستقامة، القاهرة .
- القمي، بن بابويه، م (381)، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف 1383 هـ .
- الهمذاني، عبد الجبار، م (415 هـ) تثبيت دلائل النبوة، دار العربية بيروت ، 1966 م .
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، م (429 هـ)، الفرق بين الفرق، مطبعة المعارف مصر 1380 هـ .
- الثعلبي، أحمد محمد ابراهيم، م (427 هـ)، عرائس المجالس دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

ـــ الاسكافي، أبو عبد الله محمد، م (431 هـ)، درة التنويل وغرة التأويل، مطبعة محمد الوراق مصر ، ط 1 سنة 1327 هـ .
ـــ البيروني، أبو الريحان محمد، م (440 هـ) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، مطبعة ليبزخ ، 1923 م .
ـــ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، م (456 هـ) الفصل في الملل والأهواء والنحل .
ـــ الطوسي، إبو جعفر محمد بن الحسن، م (460 هـ) التبيان في تفسير البيان، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف 1376 هـ .
ـــ النيسابوري، علي بن أحمد الواحدي، م (468 هـ)، أسباب النزول، ط 1 البابي الحلبي ، مصر .
ـــ الزمخشري، محمود بن عمر، م (528 هـ)، الكشاف، ط 1 مطبعة مصطفى محمد مصر .
ـــ الزمخشري، محمود بن عمر، م (528 هـ)، أساس البلاغة، ط 1، دار الكتب المصرية 1341 هـ .
ـــ الرازي، فخر الدين، م (543 هـ)، التفسير الكبير، ط 1 المطبعة البهية المصرية ، 1357 هـ .
ـــ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، م (548 هـ)، الملل والنحل، مطبعة البابي الحلبي ، مصر 381 .
ـــ ابن الأثير، مجد الدين محمد، م (630 هـ) الكامل في التاريخ، دار بيروت 1385 هـ .
ـــ ابن الأثير، مجد الدين محمد، م (630 م) النهاية في الحديث والأثر، دار إحياء الكتاب العربية .
ـــ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، م (728 هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبعة المدني مصر 1379 م .
ـــ ابن تيمية، تفسير سورة الاخلاص، د 1 مطبعة الحسنية مصر 1327 م .

ـــ النووي، محيي الدين أبو زكرياء، م (676 هـ) شرح صحيح مسلم ، ط 1 ، المطبعة المصرية ، 1347 هـ .
ـــ المقدسي، أحمد بن سها، م (663 هـ)، البدء والتاريخ، مطبعة برطوند 1907 م .
ـــ القرطبي، أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية ، القاهرةئ، 1937 م .
ـــ أبو الفداء، المؤيد، م (732 هـ)، تاريخ أبو الفداء .
ـــ ابن كثير، إسماعيل ابن كثير القرشي، م (774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، إحياء الكتب المصرية .
ـــ ابن كثير، إسماعيل ابن كثير القرشي، م (774 هـ) البداية والنهاية، ط 1 مطبعة السعادة ، مصر 1351 هـ .
ـــ ابن كثير، إسماعيل ابن كثير القرشي، م (774 هـ)، عملة التفسير ، تحقيق أحمد شاكر دار المعارف ، مصر 1377 هـ .
ـــ ابن كثير، إسماعيل ابن كثير القرشي، م (774 هـ)، قصص الأنبياء ، ط 811 دار الكتب الحديثة ، مصر ، 1388 هـ .
ـــ ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى من اليهود والنصارى، مطبعة الموسوعات المصرية ، على هامش الفارق بين المخلوق والخالق .
ـــ الترجمان، الشيخ عبد الله، م (823 هـ) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، مطبعة التمدن عابدين مصر .
ـــ المقريزي، تقيي الدين أحمد، م (845 م) الخطط المقزيرية .
ـــ ابن ياس، أبو البركات محمد بن أحمد، م (1099 هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار بيروت ، 1379 هـ .
ـــ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د . حسن حنفي، نشر الهيئة المصرية للتأليف والنشر 1971 م .
ـــ طهطاوي، رفاعة، م (1282 هـ)، بداية القدماء ونهاية الحكماء .
ـــ الوردي، زين الدين عمر، م (1285 هـ)، تاريخ ابن الوردي .

ـــ الهندي، رحمة الله، م (1284 هـ)، إظهار الحق، للمطبعة السلطانية 1284 هـ .
ـــ زاده، عبد الرحمان باجه جي، م (1322 هـ)، الفارق بين المخلوق والخالق، مطبعة الموسوعات مصر .
ـــ بورتر، هارفي، النهج القويم في التاريخ القديم، بيروت 1884 م .
ـــ النابلسي، بكر عمر التميمي، السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، مطبعة المحروسة، مصر 1313 م .
ـــ نيكيبوروس، ثيوطوكس، بهجة الفؤاد في تفسير أناجيل الآحاد، مطبعة القبر المقدس ، القدس ، عربه الخوري يوحنا حزبون وغطاس 1898 م .
ـــ سليمات،مارس أخبار بطاركة كرسي المشرق، في رومية الكبرى 1895م
ـــ المطبعة الأنكليزية الأمريكية، منار الحق، ط 2 بولاق مصر 1909 م .
ـــ بروكلين، روفائيل بروكلين، الأفخر لوجي الكبير، جريدة مرآة الغرب اليسوعية نيويورك ، 1913 .
ـــ الكيلاني، وجيه فارس، الدعاء من المتألهين والماديين، المطبعة العربية ، مصر 1923 م .
ـــ جرجس، نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان 1922 م .
ـــ قزاقيا، خليل ابراهيم، تاريخ الكنيسة الرسولية الأرشليمية، المقتطف والمقطن مصر 1924 م .
ـــ أمين، أحمد، ضحى الاسلام، ط 7 ، مكتبة النهضة المصرية 1933 م .
ـــ مصطفى،محمد علي، تاريخ الفلسفة، ط 1، المطبعة الرحمانية 1933م.
ـــ الزيات، حبيب، الصليب في الاسلام، مطبعة القدس 1935 .
ـــ الخولي، أمين، صلة الاسلام بالمسيحية، مطبعة الأزهر 1935 م .
ـــ الزيات حبيب، الروم الملكيون في الاسلام، المطبعة البوليسية ، لبنان ، 1953 م .
ـــ طوسون، عمر، وادي النطرون وربانه، مطبعة السفير، مصر 1935 م .

فهرس الموضوعات

الباب الثاني
المسيحية بعد المسيح

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 707-08.09.15.38 : ☎

ـــ اللبان، مصطفى الرفاعي، مباحث بريئة في الانجيل، المطبعة السلفية 1937 م .
ـــ العقاد، عباس محمود، موسوعة العقاد الاسلامية، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1970 م .
ـــ العقاد، عباس محمود، عبقرية المسيح، سنة 1953 م .
ـــ العقاد، عباس محمود، مطلع النور، مكتبة دار العروبة القاهرة .
ـــ العقاد، عباس محمود، عقائد المفكرين في القرن العشرين، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1969 م .
ـــ العقاد، عباس محمود، الله، دار المعارف ، مصر .
ـــ جوهري، طنطاوي، الجوهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة البابي الحلبي، مصر 1350 هـ .
ـــ عبده، محمد، الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة، دار المنار ط 8، مصر 1373 هـ .
ـــ عبده، محمد، رسالة التوحيد، مطبعة المنار ، ط 5، 1346 هـ .
ـــ أ . ب . سمسون، التعليم الشامل للتقدير الشامل، مطبعة النيل المسيحية، 1940 م .
ـــ أميل، لودفيغ، ابن الانسان، دار أحياء الكتب، 1947 م ترجمة عادل زعيتر .
ـــ حرب، أميل الخولي، مؤامرة اليهود على المسيحية، دار العلم للملايين ، بيروت 1947 م .
ـ الطويل، د . توفيق، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مطبعة الاعتماد، مصر 1947 .
ـــ جمعية مارمينا، الرهبنة القبطية، 1948 م .
ـــ العارف، عارف، المسيحية في القدس، مطبعة دير الروم، القدس 1951م
ـــ هنان، محمد عبد الله، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ط 2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1954 م .

ــ المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مصطفى البابي الحلبي، مصر 1953 م .
ــ مدكور، إبراهيم بيومي، دروس في تاريخ الفلسفة، مطابع مدكور، مصر 1954 م .
ــ رستم، د . أسد، آراء وأبحاث، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت ، 1967 م .
ــ رستم، د . أسد، الروم، ط 1 ، دار المكشوف، بيروت 1955 م .
ــ رستم، د . أسد، حرب الكنائس، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1958 م .
ــ رستم، د .أسد، مخطوطات البحر الميت، هدية المسرة السنوية، 1959م
ــ لابوم، جول، تفصيل آيات القرآن الكريم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1 1955 م .
ــ ديورانت، ول، قصة الحضارة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، ط 2 1963 م ، ترجمة محمد بدراني .
ــ خلف الله، محمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1957 م .
ــ صالح، زكي، الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن، البابي الحلبي، مصر 1957 م .
ــ رسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، 1957 ترجمة د . زكي نجيب .
ــ جمعه، محمد لطفي، ثورة الاسلام وبطل الأنبياء، مكتبة النهضة المصرية 1958 م .
ــ قراعة، محمود علي، الثقافة الروحية في إنجيل برنابا، دار مصر للطباعة 1958 م .
ــ خالد، محمد خالد، معا على الطريق محمد والمسيح، دار الكتب الحديثة 1958 م .

- شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، دار القلم القاهرة .
- شلتوت، محمود، الفتاوي، الثقافة العامة الاسلامية بالأزهر 1959م .
- شلتوت، محمود، الاسلام عقيدة وشريعة، الثقافة العامة الاسلامية بالأزهر ، 1959 م .
- ندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مطبعة المدني، مصر 1959 م .
- رضى، محمد رشيد، الوحي المحمدي، مكتبة القاهرة، مصر ط 1 ، 1960 م .
- رضى، رشيد محمد، تفسير القرآن الحكيم، مكتبة القاهرة، مصر ط 4، 1960م .
- توينبي، أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1960 ترجمة فؤاد شبل ، ط 1 .
- أمير علي، سيد، روح الاسلام،،دار العلم للملايين، بيروت، 1961 ، تعريب الديواوي .
- البهي، محمد، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، / مكتبة وهبة 1960 ، ط 3 .
- رضا، محمد، محمد رسول الله، دار إحياء الكتب العربية، ط 4، القاهرة ، 1961 م .
- أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية 1961 م .
- أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الاسلامية .
- الحايك، د . مشيل، المسيح في الاسلام، 1961 م .
- الخطيب، عبد الكريم، قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، ط 1 دار الفكر العربي ، 1962 .
- شلبي، متولي يوسف، أضواء على المسيحية، الدار الكويتية، 1968 .
- عبد العزيز منثور حسين، دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام، ط 1 ، الشرق للطباعة ، القاهرة ، 1963 م .

ـــ زركان، محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية دار الفكر 1963م .
ـــ كايير، جوزيف، حكمة الأديان الحية، مكتبة الحياة، بيروت، 1964 ترجمة حسين الكيلاني
ـــ إيمار، أندريه، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، بيروت 1964 ، ترجمة يوسف داغر الشرقاوي
ـــ الشرقاوي، محمد، الدين والضمير، دار العلم للملايين، بيروت ط 2 ، 1964 م .
ـــ أبو الروس، إيليا، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، دار الاتحاد بيروت ط 1 ، 1964م .
ـــ أحمد، ابراهيم خليل، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والاسلامي ، مكتبة الوعي العربي ، 1964 م
ـــ أحمد ابراهيم خليل، محمد في التوراة والانجيل والقرآن مكتبة الوعي العربي، مصر، 1965
ـــ أوث، لودفيغ، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، مطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1965 ترجمة الأب جرجس المارديني عن الألمانية .
ـــ شيخو، لويس، أسرار الماسونية، دار منشورات البصري، 1965 م .
ـــ محمد أحمد، عبد السميع، قوانين الملوك، مطبعة جامعة القاهرة ، 1965 .
ـــ التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، دار القلم، بيروت، 1965 .
ـــ سلامة، أحمد، الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين، دار الفكر العربي ط 1 1965 . بيروت .
ـــ دروزة، محمد عزة، سيرة الرسول، ط 2، عيسى البابي الحلبي، مصر 1965 .
ـــ دروزة، محمد عزة، القرآن والمبشرون، المكتب الاسلامي ط 1 1972 .
ـــ العوا، عادل، تجربة الفلسفية، مطبعة جامعة دمشق، ط 2 1964 .

ـــ كعدان، بشير، التبرئة قضية سياسية، دار الجمهور دمشق ط 1 ، 1965 .
ـــ الجكني، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن مطبعة الملايين ، 1965 .
ـــ شلبي، د . أحمد، مقارنة الأديان ـــ المسيحية، لجنة التأليف والترجمة ط 2، القاهرة . 1965 .
ـــ الخطيب، عبد الكريم، المسيح في القرآن والتوراة والانجيل، ط 1 دار الكتب الحديثة 1965 .
ـــ اليسوعي، بولس الياس، يسوع المسيح، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1965 .
ـــ النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، مؤسسة الحلبي والشركاء القاهرة، 1966 .
ـــ العابدي، محمود، مخطوطات البحر الميت، دار الثقافة والفنون، عمان ، 1967 .
ـــ جومبير، جاك، المسيح بن مريم، دار الحكمة، بيروت 1966 .
ـــ سمث، د . بترس، حياة يسوع المسيح، تعريب حبيب سعيد، نشر المعارف المسيحية بولاق مصر .
ـــ أبو صادق، الماسونية بلا قناع، منشورات دار البصري 1967 .
ـــ غرديه، لويس وقنواتي، فلسفة الفكر الديني، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1 ، 1967 ترجمة د . صبحي الصالح ود . فريد جبر .
ـــ الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي ، القاهرة 1967 م .
ـــ الزعبي، محمد علي، دفائن النفسية اليهودية خلال الكتب المقدسة ، بيروت ، 1968 .
ـــ حسن، د . عفيف، الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، دار الفتح ، 1968 .

ـــ العش، عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، الدار الكويتية للطباعة ، 1969 الكويت .
ـــ الطنطاوي، محمد سعيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، نشر جامعة البصرة 1969 .
ـــ السوداني، موسى جعفر، البرهان لعلوم القرآن، مطبعة الآداب النجف الاشراف ، 1970 .
ـــ البغدادي، عبد اللطيف، قبس من القرآن في صفات الرسول مطبعة الاداب النجف الأشرف ، 1970 .
ـــ نعناعة، د . رمزي، الاسرائليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم، دمشق، 1970 .
ـــ دراز، عبد الله، الدين، دار الكتب، بيروت 1970 ط 2 .
ـــ خان، ظفر الاسلام، الاسلام ضرورة عالمية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، 1971 .
ـــ الحيني، محمد جابر، الديانات الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1971 .
ـــ الزعبي، محمد علي، الماسونية في العراء، بيروت 1972 .
ـــ إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة، مطبعة محمد علي صبيح، مصر 1908 م .
ـــ نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون .
ـــ اتلخان، جواد رفعة، إسرار الماسونية، ترجمة نور الدين رضا وسليمان محمد ابن أدهم، علي .
ـــ أدهم، علي، الجمعيات السرية، دار المعارف مصر .
ـــ هلر، و .م، مجمل تاريخ العالم، ترجمة ابراهيم ميخائيل شوشة .
ـــ لاكرانج، ج، إنجيل يسوع المسيح، ترجمة أ . س . ومرجي الدمنكي .
ـــ مرجان، محمد مجدي، الله أم ثالوث، دار النهضة العربية .

- الصادقي، محمد، حوار بين الالهيين والماديين، مكتبة الصدق النجف الأشرف .
- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف .
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط 5 ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- القرافي، شهاب الدين، الأجوبة الفاخرة، على هامش الفارق بين المخلوق والخالق .
- مول رامسي، أرشالد، الحرب غير المسمى، ترجمة صياح الروسان، المطبعة الوطنية عمان .
- منشورات مؤتمر العالم الاسلامي، الاستعمار اليهودي الحديث وحرية على الاسلام .
- كمال الدين، خ، الملاعب في الأنبياء، ترجمة أمين محمود الشريف المطبعة النموذجية .
- ؟ ؟ ، بمختصر من كتاب الماسونية أقدم الجمعيات وأخطرها .
- جردنر، القس و . ت، منفى الوحي باعتبار التوراة والانجيل والقرآن، ط 3 ، الجمعية الأسقفية بولاق، مصر .
- عنبر، محمد عبد الرحيم عيسى ومحمد، دار الجامعيين القاهرة .
- الغزالي، محمد، التسامح بين المسيحية والاسلام، دار الكتاب العربي مصر .

المخطوطات :

- السبتي، عبد الحق الاي، الحسام الممدود في الرد على أحبار اليهود، خزانة الرباط رقم 3395 د .
- ابن زيان، الحاجب أبرياء يحيى، رسالة السائل والمجيب، خزانة الرباط رقم 178 ج .

موسوعات :

ـــ وجدي، محمد فريد، د . معارف القرن العشرين، ط 2 ، 1925 م .

ـــ غربال، محمد شفيق، موسوعة العربية الموسعة، دار القلم القاهرة ، 1965 م .

المعجمات :

ـــ الزاوي، طاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، ط 1 مطبعة الأساقفة، القاهرة 1959 .

ـــ الزبيدي، محمد مرتض تاج العروس، دار ليبيا للنشر، بنغازي معلوف، لويس، الوافي في اللغة .

ـــ البستاني، عبد الله مستان، المطبعة الأمريكانية، بيروت 1927 .

ـــ الصعيدي، عبد الفتاح، الافصاح في فقه اللغة، دار الفكر العربي .

ـــ المصري، بن منظور، العرب، دار صادر ودار بيروت، 1955 م .

ـــ مصعود، جبران، دار العلم للملايين، بيروت .

ـــ أ .ي . ونسنك دي . معجم المفهرس للألفاظ الحديث النبوي ، مطبعة بريل، لندن 1967 .

الدوريات :

ـــ المشرق : 6، 99 13 ، 17 ، 1، 1900 ، 8 ، 8، 1901 ، 17 ، 22 ، 4، 11 11، 1922 ، 12، 1924 ، 6، 1930 ، 8، 1931 ، 1، 2 .

ـــ رابطة العالم الاسلامي : 4، 1971 ، دعوة الحق : 5 ، 6، 1970 ، منبر الاسلام : 7، المجتمع : 52، 1 ، 66 ، 80 ، 83 .

ـــ البلاغ : 153، 1972 ، 191، 1973 ، مجلة الجامعة : ج . ج . 4. 1901 مجلة الفتح : 353، 1352 هـ 355، 52 . 397، 1353 هـ 898 .

فهرس الموضوعات

الباب الأول
المسيحية والمسيح

الباب الثاني
المسيحية بعد المسيح

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 707-08.09.15.38 :☎

مطبعة المعارف الجديدة
☎: 707-08.09.15.38 الرباط